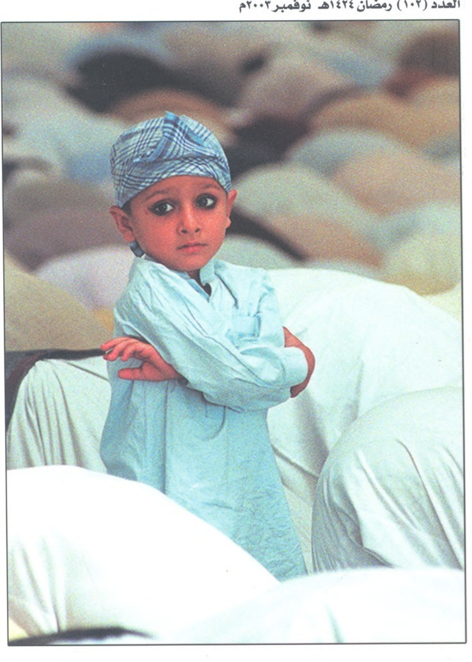
المعرفة 102

العدد (١٠٢) رمضان ١٤٢٤هـ نوفمبر ٢٠٠٣م



منير شفيق:
الإسلام جدد شبابي

محمد أسد
الطريق إلى مكة

دليل تقييم العنف
في المدارس الأمريكية

موضة الميكروبيوتيك
تحرم بعض الطيبات وتكره بعضها!

باكستان
قصر له ألف باب


بنتل
ماكسيفلو .. للسبورة البيضاء
MAXIFLO White Board Marker

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي القارئ

الإسلام هويتنا الوطنية، يستحيل أن يكون لنا هوية سواه.
لهذه المملكة ضرورة أن بلادنا مركز الإسلام وقبلة
المسلمين، وأن كل مواطنيها مسلمون، وأن كل مسلم لا يكون
مسلماً حقاً دون أن يعترف بالإسلام منهجاً شاملاً للحياة.

هل حاولت أيها القارئ أن تعبر عن حقيقة الإسلام
بجملة واحدة؟

لقد حاول ذلك ابن تيمية رحمه الله فقال عن الإسلام إنه:
"يدور كله حول أمرين: الإخلاص للحق، ورحمة الخلق"

قبل ابن تيمية عبر الرازي عن هذا المعنى نفسه ولكن
بعبارة أكثر ألفاظاً وأقل رشاقة.

وقبل ذلك وبعده وفي مختلف العصور والأمكنة تكرر
هذا المعنى في عبارات علماء الإسلام.

كمهتم بهويتنا ألا ترى أن هذا المعنى يجب أن
لا يغيب أي لحظة عن وعي أي عامل في أي مجال من
مجالات التربية والتعليم؟

صالح الحصين



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة التربية والتعليم
المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٠٢) - رمضان ١٤٢٤ هـ - نوفمبر ٢٠٠٣م

إدارة النشر
Rawnaa
Specialized Communication
رونـــاء للإعلام المتخصص

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الحصة الأولى

ها هو شهر رمضان الكريم، بنفحته الروحانية المكثفة، يطل في النفس يجلو صدأها ويزكي صداها الإيماني بعد أن أُخذت أحد عشر شهرًا عن ذاتها - إلا من رحم الله... رمضان شهر الفرص الباقية وهو للبعض شهر الفرص الفانية، وهم الأخسرون، هؤلاء هم الراكضـون خلف أنواع المآكل والمشارب وأشكال المسابقات والفوازير مخلفين وراء عقولهم وأذهانهم «الفزورة» الأكبر: لماذا خلق الجن والإنس؟

أما نحن فنستطيع أن نقول إن شهر شعبان الفائت كان «معرفيًا» فالاتصالات المحملة بالثناء والشكر تارة، والنقد والملاحظة تارة أخرى لما أحدثته المجلة من تجديد وتطوير وإضافة وحذف كانت بمنزلة حوافز الفرحة والانتشاء لنا وتيجانًا من السرور لبسناها متباهين أمام الآخرين، فاتصالاتكم - أعزاءنا القراء - التي جاءت من كل مناطق المملكة، ومن خارجها فرحنا بها كثيرًا، وصفقنا لأنفسنا ولكم كثيرًا، وعرفنا أن الحب لا يخيب، كما هو الجد، أملاً وعملاً.

نعم.. رمضان هو مركز العام ومحوره وهو النقطة الأفضل لانطلاق الإنسان تجاه ربه يطلبه الفوز الأكبر، وتجاه نفسه يطلبها الفوز الأكبر أيضًا، هو أبو الفرص وأثمنها، فلا تغفلوا الخير يغفلكم، ولا تنسوا الله ينساكم واذكروا - أيها المترددون - أن هناك أناسًا كل عامهم رمضان. المعرفة

المراسلات

باسم: رئيس التحرير
ص.ب ٢٣٠٠٠٧ - الرياض ١١٣٢١
هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩
فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠
Letters should be sent to:
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،
الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،
البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠ بيسة،
اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،
الأردن ١,٢٥ دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،
مصر ٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،
المغرب ١٥ درهمًا.

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال
وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.
سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.
سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض: هاتف: ٤٧٢٧٨٥٨-٤٧٢٧٨٤٦
فاكس مجاني: ٨٠٠١٢٤٢٢٧٧

Subscribtions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض:٤٧٢٧٧٩٢ - ٤٧٨٥٣٢٢ - فاكس: ٤٧٢٧٨١٨
جدة: ٦٤٢٦٧٧٨ - ٦٤٢٧٨٨٩ فاكس: ٦٤٢٨٧٠٠
Advertising@rawnaa.com

روناء للإعلان والتسويق

ص . ب ٢٦٤٥٠ الرياض ١١٤٨٦
ص . ب ٤٠٧٠٣ جدة ٢١٥١١

الوطنية للتوزيع


باكستان

قصر له ألف باب

باكستان «تبهرك» بتنوعاتها.. في كل شأن لها اختلافات وتناقضات بدءًا من البهارات والتوابل وانتهاء باقتصادها ومرورًا بثقافاتها ولغاتها ومناخاتها. تحوي أرضها السهل والجبل الرطوبةوالجفاف الصحاري والأنهار والبحيرات، ولكن أغرب حقيقة يمكن الإشارة إليها أن جبالها تنمو بمعدل خمسة سنتيمترات سنويًا! إلا أنه يمكن القول أن كل شيء في باكستان ينمو ولكن بمعدل مختلف. تأذت باكستان من الحملة الدولية على الإرهاب واستفادت. نما اقتصادها المعتمد على الزراعة وفي الوقت نفسه ارتفع معدل الفقر.. جهود توسيع رقعة التعليم تزداد ولكن مساحة الأمية شاسعة. الباكستانيون يتكلمون ٧٠ لغة دارجة ويستقبلون ٢٠٠ ألف سائح أجنبي سنويًا، ويرون أن الطعام لا يصلح بدون «التوابل» إلا للمرضى!

باكستان محمد إقبال ومحمد جناح وعبدالقدير خان و«البرياني» و«كي تو » وحدائق «شاليمار» تاريخ مديد من الجمال ومن النضال في صناعة الإنسان وعمارة التحضر الإسلامي. ومثلما تتقاطع بها - وهي الوحيدة في العالم - أكبر ثلاث سلاسل جبلية في العالم تتقاطع في باكستان خطوط العرض (!) القادمة من الحضارات المجاورة والعالم برمته، وخطوط الطول الناتجة من مكون المجتمع الباكستاني.

إنها بلد الـ٩٠ مليون أمي والـ٥٠٠ عالم ذرة... هل تريدون المزيد؟ المعرفة

التعليم في باكستان

٩٠ مليون أميّ و ٥٠٠ عالم ذرة!!

ناديا عدنان . إسلام آباد*
ترجمة : محمود عبدالسلام

* مدرسة سابقة في مدارس بكن هاوس البريطانية .

رغم أن باكستان دولة نامية، وعدد سكانها يربو على الـ ١٤٠ مليون نسمة، فإن نسبة التعليم فيها تعتبر إلى حد ما جيدة، حيث الانتشار الواسع للجامعات والمعاهد والمدارس بأنواعها: الحكومية والدينية والخاصة في أرجائها كافة. وربما كانت التسهيلات التي تمنحها الحكومة من تعليم مجاني للطلبة في مراحل التعليم المختلفة، وكذلك شيوع مؤسسات التعليم الخاصة الدينية والعصرية، ساهم بشكل كبير في الوصول إلى هذا المستوى من محو الأمية ونشر التعليم، مقارنة بغيرها من الدول التي لها المواصفات والعدد السكاني.

وقد أنتجت باكستان إنتاجًا نوعيًا من العلماء المتخصصين في مجالات مختلفة كالذرة والطب والهندسة وعلم الحاسوب الآلي وغيرها. وقد قدرت بعض المصادر عدد علماء الذرة الباكستانيين وحدهم ما بين ٤٠٠ - ٥٠٠ عالم تتفاخر بهم باكستان أمام الأمم.

ومن الواضح عراقة جامعات وكليات باكستانية كثيرة، يمتد بعضها إلى أكثر من مئتي سنة، كجامعة البنجاب التي تأسست في عام ١٨٨٢م، والكلية الإسلامية، والكلية الحكومية وغيرها.

التعليم الديني

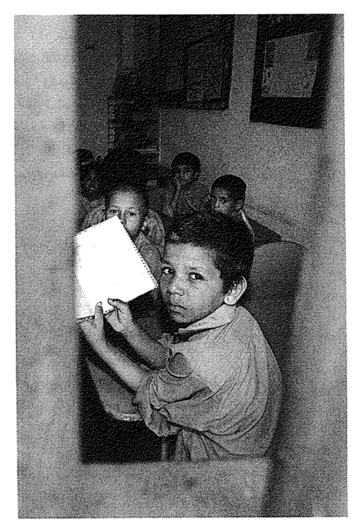
ومن الأهمية بمكان، وللإنصاف العلمي يجدر الإسهاب في دور التعليم الديني المنتشر على نطاق واسع في باكستان، والذي أخذ حيزًا من الأهمية لدى العامة والخاصة في باكستان، خصوصًا أنه قد كفى وزارة التعليم جانبًا كبيرًا من استيعاب الطلبة وكفالتهم الكاملة. وهو الأمر الذي دفع الرئيس الباكستاني «برويز مشرف» ومسؤولين حكوميين آخرين إلى الاعتراف والتفاخر بجهود القائمين على الجامعات والمدارس الدينية، وتثمينهم للدور الذي قاموا به في رفع مستوى التعليم في البلد، رغم الأزمة التي تتعرض لها هذه المؤسسات التعليمية، في ظل الحديث المتنامي عن خطورة سيناريو «طلبنة» المنطقة الجنوب أسيوية، على خلفية وصول حركة طالبان في أفغانستان إلى السلطة، وعلى اعتبار أغلب قياداتها من خريجي هذه الجامعات والمدارس، وبالخصوص بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١م التي تحولت نتيجتها هذه المدارس إلى معضلة حقيقية أقلقت طلابها الذين لا سبيل لهم لاستكمال دراستهم في المدارس الحكومية أو الخاصة لاختلاف المناهج، كما أقلقت تبعات تلك الأحداث العلماء القائمين على تلك المدارس، بعد أن مورست ضغوطات داخلية وخارجية ضدها لتغيير سياستها ومناهجها.

حصة الأسد

ورغم وجود هذه الصورة الإيجابية - النسبية - فإن الميزانيات المخصصة للتعليم تبقى أقل من حاجيات التعليم المطلوبة، حيث ميزانيات الدفاع والأمن السنوية تستحوذ على حصة الأسد من ميزانية الدولة، على اعتبار باكستان تواجه منذ استقلالها في عام ١٩٤٧م عدوًا لا يستهان به، يتمثل في الهند، وهو الأمر الذي يتطلب منها تخصيص ميزانيات دفاع إضافية بعد أن اختارت دخول سلك الدول النووية، في حين أن ميزانيات التعليم والصحة ضاقتا بسبب توسع ميزانية الدفاع في هامشهما.

وفي حال قياس باكستان بميزان التعليم المثالي أو شبهه، فيكون الوضع في حالة متدنية إلى ما تحت الوضع الطبيعي، وتبقى معضلة التعليم هاجسًا حقيقيًا للحكومة نفسها وللشارع الباكستاني معًا، ولا سيما أن نسبة الأمية آخذة في التمدد على حساب السباق التكنولوجي والمعلوماتي الذي دخلت فيه باكستان، وربما يزيد من حجم هذه الثغرة وتدني مستوى التعليم معوقات تتمثل في:

- انتشار المدارس التجارية التي تهدف بالدرجة الأولى إلى النفع المادي، وتجميع أكبر عدد ممكن من الطلاب، على حساب المدارس النموذجية التي يجب أن تتوفر للطلبة، بغض النظر عن الهدف السامي الذي على هذه المؤسسات الاضطلاع به، فهي لم تقدم الفوائد المرجوة لطلابها لانعدام الكفاءات من المدرسين، ولانشغالها بالمظاهر والكماليات أكثر من التعليم الذي أنشئت



باسمه، بحيث انعكست هذه السلبيات على مستوى الطلاب.

- فقر الأرياف والقرى البعيدة في متطلباتها من المدارس، والذي يعود سببه إلى ضحالة الميزانيات المخصصة للتعليم، فثمة أعداد كبيرة من القرى النائية والأرياف، وخصوصًا في المناطق الجبلية الواسعة الانتشار في غرب وشمال غرب باكستان، لا تتوفر فيها مؤسسات تعليمية تفي بحاجات أبنائها، الأمر الذي أفرز نسبة كبيرة من الأمية في تلك المناطق.

- انتشار المدارس الخاصة التي استقطبت الكفاءات من المدرسين بعد أن أغرتهم بمرتبات عالية لا تتوافر لهم في المدارس الحكومية، وهو ما دفع بأولياء أمور الطلبة الميسوري الحال إلى اعتبارها البديل الأفضل لأبنائهم عن المدارس الحكومية التي يشككون في مستواها وكفاءتها، رغم أن انتشار هذه المدارس وبأعداد كبيرة في المدن، كانت مرحلة تحول إيجابي استأثر به المتحدرون من أسر لا تجد صعوبة مادية في دفع الرسوم العالية لأبنائها في هذه المؤسسات، كانت انعكاساتها سلبية على الطبقة الفقيرة من الطلبة التي لا حيلة لها للالتحاق بها، وهو الأمر الذي كرس الطبقية التعليمية في البلد.

- عدم فرض قانون التعليم الإلزامي، فبسبب عدم مقدرة الحكومة الباكستانية على تغطية ميزانيات التعليم ونفقات المتطلبات الدراسية، نتيجة ضعف إمكاناتها المادية، خصوصًا والدراسة في المدارس الحكومية مجانية، تمخض ذلك عن عدم إمكانية استيعاب الحكومة لجميع أبناء القرى والمدن لتدريسهم.

المدارس والجامعات الحكومية

التعليم في المدارس الحكومية غير مختلط، وهو عمليًا غير إلزامي، خلافًا للعديد من بلدان العالم الثالث. ويلاحظ نتيجة ذلك عدم التحاق نسبة كبيرة من الأطفال بالمدارس لأسباب متفاوتة، يندرج تحتها الفقر، وإهمال الأسرة، وعدم توفر فرص عمل كافية لخريجي المدارس الحكومية، وقلة عدد المدارس في المدن والقرى الباكستانية.

صراع اللغتين

والتدريس في المدارس الحكومية باللغة المحلية (الأوردو)، رغم أن اللغة الرسمية في دوائر الحكومة الباكستانية، واللغة الثقافية هي اللغة الإنجليزية وليست لغة الأوردو، وجميع المناهج مكتوبة بلغة الأوردو، وهي تشتمل على مادة الرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافيا والعلوم والدراسات الاجتماعية واللغة العربية، والدراسات الإسلامية، إضافة إلى اللغة الإنجليزية كمادة.

وأما المراحل التعليمية فهي:

- المرحلة الابتدائية ومدتها خمس سنوات، يحق للطفل الالتحاق بها منذ سن الخامسة.
- المرحلة المتوسطة ومدتها ثلاث سنوات تبدأ من الصف السادس إلى الصف الثاني المتوسط.
- المرحلة الثانوية ومدتها سنتان.
- الكلية ومدتها سنتان، وهي تساوي مرحلة الثانوية في البلدان العربية.
- مرحلة الليسانس وهي نوعان
- مرحلة الليسانس (باص)، ما يساوي الدبلوم، ومدتها سنتان.
- مرحلة الليسانس (شرف)، مدتها من ثلاث سنوات إلى أربع سنوات حسب نظام الجامعة.
- مرحلة الليسانس المعروفة، ومدتها أربع سنوات.

ـ مرحلة الماجستير، تستغرق الدراسة فيها من سنة إلى سنتين، ويعتمد ذلك على طريقة نيل الليسانس.

ـ مرحلة الإنفل (التحضير لمرحلة الدكتوراه)، وهي سنتان بعد الماجستير.

ـ الدكتوراه ومدتها سنتان على الأقل.

وقد أجرت وزارة التربية والتعليم في عام ٢٠٠٠م إحصائية للمدارس الحكومية في القرى وفي المدن، استندت فيها إلى سجلاتها الرسمية، فكان عددها (١٩٩٦٧٦) مدرسة، وتضم (١٦٢١٣٤٣٨) طالبًا وطالبة بمعدل ٨١,٢ طالب في كل مدرسة، وهو ما يعكس وجود عدد كبير من المدارس التي تضم عشرات الطلاب فقط في الأرياف والقرى الباكستانية.

وكانت نتيجة إحصائية عدد المدارس الابتدائية في العام الدراسي ١٩٨٩ - ١٩٩٠ مدارس البنين في المناطق الريفية (٥٦٨١٠) مدارس، وفي المدن (٦٨٣٢) مدرسة.

و مدارس البنات في المناطق الريفية (٢٣٢٠٠) مدرسة، في حين كانت في المدن (٤١٣٣) مدرسة.

وأما عدد المدارس المختلطة في القرى فبلغت (٤٠٨) مدارس، وفي المدن (٦٠٥) مدارس.

بينما كان عدد المدارس الابتدائية في العام الدراسي ١٩٩٨ - ١٩٩٩ مدارس البنين في المناطق الريفية (٧١٩١٣) مدرسة، وفي المدن (٥٩٦٩) مدرسة.

و عدد مدارس البنات في المناطق الريفية (٣٧٣٣٤) مدرسة، في حين كانت في المدن (٤١٠٢) مدرسة.

والمدارس المختلطة في القرى (٥١٩) مدرسة، وفي المدن (٦٨٧) مدرسة.

وهذه الإحصائية تبلور القفزة النوعية في تزايد عدد المدارس الحكومية خلال عقد من الزمن، ولكن مع ذلك تبقى هذه النسبة غير متوازية مقارنة مع القفزة في عدد السكان لنفس المدة.

المدارس والجامعات الخاصة

تختلف المدارس الخاصة اختلافًا كبيرًا من حيث مستواها ومنهجها عن المدارس والجامعات الحكومية، إذ يعتمد التدريس فيها على المناهج العصرية الحديثة، بما فيها الأجنبية بشقيها المناهج الأمريكية أو البريطانية، فبعض المدارس الخاصة اختارت مناهج بريطانية، في حين بعضها الآخر اختار المناهج الأمريكية، والدراسة فيها مختلطة بين الجنسين إلى الصف الثاني المتوسط ـ في الغالب ـ والتدريس فيها مقصور على اللغة الإنجليزية وليس بلغة الأوردو المحلية، وتدرس اللغة الأوردية فيها كمادة لغة

لقد أنتجت باكستان إنتاجًا نوعيًا من العلماء المتخصصين في مجالات مختلفة كالذرة والطب والهندسة وعلم الحاسب الآلي وغيرها . وقد قدرت بعض المصادر عدد علماء الذرة الباكستانيين وحدهم ما بين ٤٠٠ - ٥٠٠ عالم تتفاخر بهم باكستان أمام الأمم

فقط، ولا تشتمل مناهجها على مواد اللغة العربية كالمدارس الحكومية، في حين أن مراحلها تتناسق مع مراحل المدارس والجامعات الحكومية، وتدرس فيها المواد الرئيسة التالية: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافيا والعلوم والدراسات الإسلامية، إضافة إلى لغة الأوردو.

تكريس الطبقية العلمية

رغم الانتشار الواسع للمدارس الخاصة الذي طال معظم المدن الباكستانية، ومساهمتها بشكل واضح وملموس في محو جزء كبير من الأمية في البلد، فإن بعض خبراء التعليم يأخذون على هذه المدارس سلبية تكريس الطبقية العلمية بصورة مباشرة أو غير مباشرة في المجتمع الباكستاني، إذ تستأثر وتتميز هذه المدارس بالمناهج المتطورة، وبتعليم اللغة الإنجليزية التي من خلالها يمكن لطلابها الوصول إلى الوظائف المرموقة في الحكومة، وذلك على حساب أبناء الطبقة الفقيرة.

وثمة ميزة أخرى للمدارس الخاصة عن المدارس الحكومية، بأن الأولى تتوفر فيها المراحل التمهيدية الثلاث، والتي تبدأ من سن الثالثة قبل الالتحاق بالمرحلة الابتدائية وذلك لتقوية مستوى الطالب قبل التحاقه بالمدرسة.

وكما هو الحال في هذه المدارس، فكذلك الوضع بالنسبة للجامعات الخاصة التي تتطلب رسومًا عالية حال الالتحاق بها، وبخاصة الدراسات العلمية كالطب والهندسة والتخصصات العلمية الأخرى، إذ تصل الرسوم السنوية فيها ـ

على الغالب - إلى ما يقارب العشرة آلاف دولار أو يزيد، بينما في الجامعات الحكومية التي مقاعدها محدودة للغاية، ولا تستوعب خريجي المدارس، فالدراسة فيها مجانية أو شبه مجانية مقارنة بالجامعات الخاصة.

وحسب الإحصائيات الرسمية التي أجرتها وزارة التربية والتعليم في عام ٢٠٠٠م، فإن عدد المدارس الخاصة قد بلغت (٣٦٠٩٦) وتضم (٦٠٨٩١٣٩) طالبًا وطالبة، أي بمعدل ١٦٨ طالبًا وطالبة في كل مدرسة، أي ضعف معدل عدد الطلاب في المدارس الحكومية.

المدارس والجامعات الدينية

لم تكن المساجد في شبه القارة الهندية يقتصر دورها على العبادات وأداء الصلوات فقط، بل كان لها دور كبير في التعليم، فقد كان التعليم فيها مجرد حلقات تعقد في المسجد لتعليم القرآن أو لتدريس الكتب الدينية المختلفة، وعادة ما تشتمل على (الفقه والحديث والتوحيد والفلسفة والمنطق وعلم النحو والصرف)، إلى أن تحول الأمر بعد ذلك إلى إنشاء غرف دراسية خاصة وملحقة بحرم المسجد، مع المحافظة على حلقات التدريس داخله، وكان هذا التحول الكبير الذي تواصل امتداده إلى اليوم من إفرازات هذه القفزة. وقد ترافق هذا التغيير مع دخول البريطانيين إلى بلاد شبه القارة الهندية، ووضع أيديهم على المفاصل الحساسة للبلد كالتعليم وغيره، وكما هو الحال في كل بلد يدخله المحتل الأجنبي، فلم يركز الاستعمار البريطاني على رفع مستوى التعليم الذي يتماشى مع قيم وعادات الشارع المسلم في شبه القارة، والتي كانت رقعة واحدة قبل انشطارها إلى الهند وباكستان والبنغال فيما بعد.

ولجأ المسلمون إلى الاعتماد على قدراتهم الذاتية وإمكاناتهم المحدودة، حين أدركوا أنهم مستهدفون في مناهجهم، وهو الأمر الأخطر على مستقبل ناشئتهم، بعد أن أدخلت عليها تغييرات وتعديلات كثيرة مست جوهرها بفعل المستعمر، وأخذت تتجه نحو التغريب.

دار العلوم ديوبند

وعلى هذه الخلفية أنشأ علماء شبه القارة الهندية أول مدرسة لهم في منطقة «ديوبند» شمال العاصمة الهندية «نيودلهي» في عام ١٨٥٧ م قبل استقلال باكستان، وسموها بـ (دار العلوم ديوبند) نسبة إلى المنطقة التي أنشئت فيها، وذلك للحفاظ على الهوية والثقافة الدينية، ومواجهة موجة التغريب، وكرد طبيعي على محاولة المستعمر الإنجليزي الذي سعى إلى فرض ثقافته ولغته في المنطقة، كبديل عن الثقافة والتعليم الديني، ومن خلال دار العلوم تفرعت آلاف المدارس في شبه القارة الهندية.

وتأسيًا بهذا السيناريو فقد انتشرت المدارس التي تنتمي إلى المسلك البريلوي الأقرب إلى الصوفية، وكذلك مدارس الجماعة الإسلامية الأقرب إلى فكر الإخوان المسلمين، ومدارس السلفية المعروفة بـ (مدارس أهل الحديث)، إضافة إلى مدارس طائفة الشيعة الذين يشكلون ما يقارب الـ ٨٪ من عدد السكان.

وتوسعت دائرة الجامعات والمدارس الدينية باعتبارها تتميز ببساطتها وقلة تكاليفها، إذ يمكن إنشاء مدرسة دينية، والحصول على اعتراف رسمي لها من وزارة التعليم في زاوية المسجد، أو في غرف عادية بسيطة من ملحقات المسجد، ودون الحاجة إلى مقاعد وطاولات وغيرها من المستلزمات الدراسية الحديثة، وهو الأمر الذي ساهم في تكاثرها وتزايد أعدادها بشكل لافت، الأمر الذي سهل لها الاستمرار والثبات، فهي حسب تصريحات القائمين عليها تتأقلم مع ما يتوفر لها من إمكانات وأجواء وظروف اقتصادية أو سياسية، خصوصًا أن غالبية هذه المدارس تقتات على المساعدات الأهلية التي يقدمها المتعاطفون معها، وكذلك أموال الزكاة والصدقات.

ولقد تطورت هذه المدارس إلى دور تعليمية منظمة في باكستان منذ انفصالها عن الهند في عام ١٩٤٧م، وأصبح لها اعتبارها ووزنها لدى الحكومات التي تعاقبت على السلطة في البلد، وتم تسجيل معظمها والاعتراف بها رسميًا لدى الحكومة، ولاسيما أنها تستوعب الأخيرة جانبًا كبيرًا من مئات الآلاف من الطلاب وتعليمهم مجانًا، إضافة

> توسعت دائرة الجامعات والمدارس الدينية باعتبارها تتميز ببساطتها وقلة تكاليفها . إذ يمكن إنشاء مدرسة دينية ، والحصول على اعتراف رسمي لها من وزارة التعليم ، في زاوية المسجد أو في غرف عادية بسيطة من ملحقات المسجد

إلى تأمينها لهم المأكل والمشرب والمسكن.

اختلاف المشارب

ومن المعروف في باكستان اختلاف المشارب الفكرية والمذهبية بين المسلمين، فهناك الديوبنديون، الذين يتمذهبون بالمذهب الحنفي، وينتسبون إلى فكر مدرسة دار العلوم في ديوبند الهندية، وهناك البريلويون الأحناف، والسلفيون، وطائفة الشيعة.

وعمومًا فإن ٦٣٪ من المدارس الدينية في باكستان ديوبندية المسلك.

بينما ٢٥٪ منها مسلكها بريلوي.

و ٦٪ لأهل الحديث.

وللجماعة الإسلامية ٣٪.

في حين ٣٪ للمذهب الشيعي.

الإحصائيات الرسمية

وقد بلغ عدد المدارس الدينية المسجلة رسميًا لدى الحكومة الباكستانية حسب إحصائيات وزارة التربية والتعليم في العام ٢٠٠٠ م (٦٧٦١) مدرسة، وتضم (١٠٦٥٢٧٧) طالبًا وطالبة.

رغم أن القائمين على هذه المدارس يؤكدون أن مدارسهم تصل إلى (١٢٠٠٠) مدرسة، وتضم خمسة ملايين طالب وطالبة.

وبحسب الدراسة التي أجرتها وحدة التحقيق التنموية التابعة لجريدة (جنك) الباكستانية الصادرة باللغة المحلية الأوردو، فإن المدارس الدينية في باكستان كانت في عام الاستقلال ١٩٤٧ م حوالي (٢٤٥) مدرسة، بينما بلغت في عام ١٩٨٨م (٢٨٦١) مدرسة، أي تضاعفت بمعدل ٦٣,٨ مدرسة سنويًا.

في حين وصل عددها بحسب وحدة (جنك) إلى (٦٧٦١) مدرسة مسجلة في عام ٢٠٠٠م، أي بمعدل ٣٢٥ مدرسة سنويًا.

ففي إقليم البنجاب هناك (٣١٣٥) مدرسة دينية.

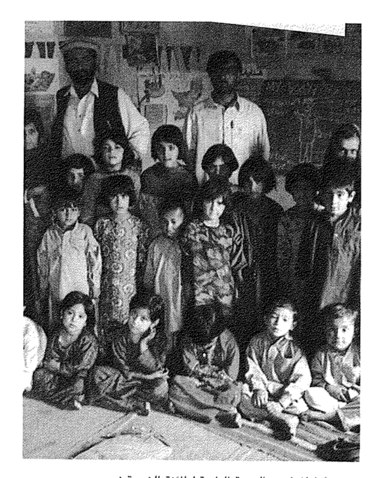
وأما إقليم الحدود الشمالية الغربية فعدد مدارسه(٩٠٥) مدارس.

وقد بلغ عدد المدارس في إقليم بلوشستان (٩٢) مدرسة.

وفي إقليم السند عدد المدارس هو (١٢٨١) مدرسة.

وفي إقليم كشمير الواقع في الأراضي الباكستانية فعدد المدارس قد وصل إلى (١٥١) مدرسة.

وفي العاصمة إسلام أباد فمجموع المدارس الدينية (١٩٤) مدرسة.



وأما المدارس الدينية التابعة لطائفة الشيعة في باكستان، فقد سجلت رقمًا قياسيًا في زيادة عددها خلال الـ ١٢سنة ماضية، وهي فترة الصراع الطائفي الذي تمثل بين الشيعة والسنة، وحصد الآلاف من الجانبين، حيث زادت بنسبة تتجاوز الـ (٧٧)٪.

في حين مدارس أهل الحديث (السلفيون) قد وصلت نسبة تزايدها خلال نفس المدة إلى (١٣,١)٪ فقط.

وحسب إحصائيات وحدة جنك فإن عدد طلاب المدارس الدينية في باكستان يصل إلى مليون وثلاثمئة ألف طالب وطالبة، من بينهم ٧٣٪ من الأجانب، ومعظمهم من الأفغان في إقليم بلوشستان ، و ١٠٪ في إقليم الحدود الشمالية الغربية من الأجانب، و ١٪ في إقليم السند، بينما في إقليم البنجاب نسبة ضئيلة لا تذكر من الطلبة الأجانب.

ويرى خبراء في مجال التعليم أن السبب الحقيقي في طفرة تزايد وانتشار المدارس والجامعات الدينية في باكستان، كانت فترة الجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفييتي، وتدفق ما يقارب الـ ٦,٥ مليون أفغاني إلى الأراضي الباكستانية،

والتحاق العديد من الأفغان فيها للدراسة.

مراحل التعليم الديني

نظام المراحل الدراسية في المدارس الدينية يختلف نوعًا ما عن نظام الجامعات والمدارس الحكومية، رغم معادلة شهاداتها لدى وزارة التعليم بالشهادات الحكومية والخاصة، وتتمثل مراحلها في:

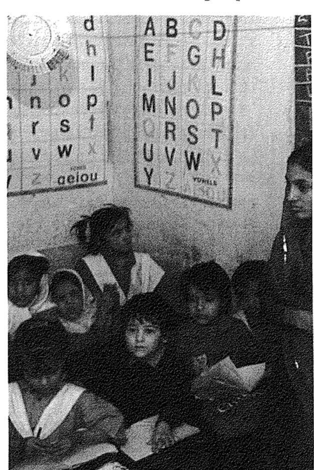
ـ المرحلة الابتدائية ومدتها خمس سنوات، تبدأ من الصف الأول إلى الصف الخامس، والطالب غير مقيد بدقة في عمر محدد للالتحاق بها.

ـ المرحلة المتوسطة ومدتها ثلاث سنوات بعد الابتدائية إلى الصف الثامن.

ـ الثانوية العامة، ومدتها سنتان ما بعد المرحلة المتوسطة إلى الصف العاشر.

ـ الثانوية الخاصة، ومدتها سنتان بعد العامة إلى الصف الثاني عشر.

ـ مرحلة العالية ومدتها سنتان والتي تعادل الليسانس.



ـ مرحلة العالمية ومدتها سنتان وتعادل الماجستير في اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

مؤسسات التعليم الديني

وهناك خمس مؤسسات للتعليم الديني، معترف بها ومسجلة لدى الحكومة الباكستانية، وتشتمل على جميع مراحل التعليم، ومراكزها جميعًا في إقليم البنجاب، وهي

– وفاق المدارس العربية، والتي أسسها أهل السنة في عام ١٩٥٩م، حنفية المذهب، ومسلكها ديوبندي المنسوب إلى دار العلوم، وإدارتها في مدينة (ملتان) بإقليم البنجاب.

– تنظيم المدارس، وهي تابعة لأهل السنة، حنفية المذهب، ومسلكها بريلوي، تأسست في عام ١٩٦٠م ومركزها مدينة (لاهور) في إقليم البنجاب.

– وفاق المدارس السلفية، وهي سلفية المذهب، ومسلكها أهل الحديث، تأسست في عام ١٩٥٥م ومركزها مدينة (فيصل آباد) في إقليم البنجاب.

– رابطة المدارس الإسلامية، أسستها الجماعة الإسلامية الباكستانية في العام ١٩٨٣ م ومركزها مدينة (لاهور) في إقليم البنجاب.

– وفاق المدارس الشيعية، وهي تابعة لطائفة الشيعة، تأسست في عام ١٩٥٩م ومركزها مدينة (لاهور) في إقليم البنجاب.

الأمية تتفوق

رغم الجهود المشتركة والمبذولة لمحو الأمية في البلد، إلا أن نسبتها بقيت شبحًا يهدد مستقبل الناشئة والتعليم في باكستان. وقد أجرت الحكومة الباكستانية دراسة دقيقة لنسبة المتعلمين في الأقاليم الباكستانية عام ١٩٨١م فكانت على النحو التالي:

في إقليم البنجاب نسبة المتعلمين من الذكور ٣٦,٨٪ في حين نسبتها لدى الإناث ١٦,٨ ٪.

إقليم السند نسبة المتعلمين من الذكور ٣٩,٧٪ في حين نسبتها لدى الإناث ٢١,٦ ٪.

إقليم الحدود الشمالية الغربية نسبة المتعلمين من الذكور ٢٥,٩٪ في حين نسبتها لدى الإناث ٦,٥ ٪.

إقليم بلوشستان نسبة المتعلمين من الذكور ١٥,٢٪ في حين نسبتها لدى الإناث ٤,٣ ٪.

والعاصمة إسلام آباد نسبة المتعلمين من الذكور ٥٩,١٪ في حين نسبتها لدى الإناث ٣٣,٥ ٪.

أي أن نسبة المتعلمين في باكستان لنفس العام كانت للذكور ما يقارب الـ ٣٥,٣٤٪ في حين نسبتها لدى الإناث ما يقارب الـ ١٦,٥٤٪ فقط.

بينما قفزت النسبة في عام ١٩٩٨ إلى:

إقليم البنجاب نسبة التعليم لدى الذكور ٥٧,٢٪ في حين للإناث ٣٥,١٪.

إقليم السند نسبة التعليم لدى الذكور ٥٤,٥٪ في حين للإناث ٣٤,٨٪.

إقليم الحدود الشمالية الغربية نسبة التعليم لدى الذكور ٥١,٤٪ في حين للإناث ١٨,٨٪.

إقليم بلوشستان نسبة التعليم لدى الذكور ٣٤٪ في حين للإناث ١٤,١٪.

العاصمة إسلام آباد نسبة التعليم لدى الذكور ٨٠,٦٪ في حين للإناث ٦٢,٤ ٪ .

أي أن نسبة التعليم للذكور قد وصلت إلى حوالي ٥٥,٥٤٪ في حين نسبتها لدى الإناث قد وصلت إلى ٣٣,٠٤٪.

برامج إصلاحية

لقد وضعت الحكومة الباكستانية خطة في العام ٢٠٠١م، وتمتد إلى نهاية عام ٢٠٠٤م بهدف رفع مستوى التعليم، نتيجة السلبيات التي أعاقت سير عجلة التعليم وتطوره، وقد اشتملت الخطة على:

- رصد مبالغ إضافية لصالح التعليم ومؤسساته، وتصل إلى ٦٣٢٤ مليار روبية.

- رصد مليار روبية لإعادة المدارس الدينية إلى مسار التعليم العام، بهدف تحسين أدائها التعليمي، وخلق فرص عمل لخريجيها.

كما تشتمل حزمة الإصلاحات الحكومية التغيرية على الآتي

أ - إدراج الرياضيات والعلوم واللغة الإنجليزية والدراسات الاجتماعية والدراسات الباكستانية في المرحلتين: الابتدائية والإعدادية.

ب - إدراج اللغة الإنجليزية والاقتصاد وعلوم الحاسب الآلي والدراسات الباكستانية في المرحلة الثانوية.

ج - دفع رواتب مدرسي المدارس الدينية.

د - القيام بدورات تدريبية لمدرسي المدارس الدينية.

هـ - تزويد هذه المدارس بالكتب المنهجية وأجهزة الحاسوب وما يتعلق بذلك.

وبموجب الخطة الحكومية ستتولى الحكومة الصرف على المدارس الدينية لمدة ثلاث سنوات حتى يتم التأكد من أنها باتت تسير ضمن مسار التعليم العام في البلد، وملتزمة بقوانين وزارة التربية والتعليم، وغدت تطبق المناهج الحكومية إلى جانب مناهجها الدينية.

غير أن القائمين على المدارس الدينية قد قرؤوا من خلال البرنامج الحكومي أجندة لا تصب في صالح استقلاليتهم وحريتهم الفكرية، وفسروا هذه المساعدات الحكومية والأجنبية التي استعدت بعض الدول لدفعها بأنها ثمن لشراء المناهج والمعتقدات والذمم

تشكيك في النوايا

غير أن القائمين على المدارس الدينية قد قرؤوا من خلال البرنامج الحكومي أجندة لا تصب في صالح استقلاليتهم وحريتهم الفكرية، وفسروا هذه المساعدات الحكومية والأجنبية التي استعدت بعض الدول لدفعها بأنها ثمن لشراء المناهج والمعتقدات والذمم حسب قولهم. واعتبروا هذه التطورات إفرازات لضغوطات دولية، وعلى رأسها الضغوطات الأمريكية ضد باكستان، لإخراج مدارسهم عن هدفها الذي أنشئت من أجله، وهو ما دفع معظم المدارس الدينية على اختلاف مشاربها إلى التعاضد والوحدة ومقاومة البرامج الحكومية، ورفض خططها، حتى في أبسط القضايا، كتزويد مندوبي الحكومة وأجهزتها الأمنية بإحصائيات عن عدد الطلبة، وجنسياتهم، أو مصادر التمويل، أو الكشف عن سجلات صرف الأموال التي تتعلق بالمدارس.

الأمر الذي جعل الحكومة - على ما يبدو - تقتنع مؤخرًا بسياسة الاحتواء بدلا من الصدام، إدراكًا منها لخطورة التصادم مع العلماء القائمين على هذه المدارس التي تحظى بدعم شعبي واسع النطاق، والمكانة التي يتمتع بها علماؤها وخريجوها في الشارع الباكستاني. وكانت الحكومة قد سبق أن حظرت على المدارس تلقي أية مساعدات مالية من أية جهة أجنبية مهما كانت الظروف، وأمرتها بعدم قبول الطلبة الأجانب إلا من خلال موافقة وزارة الداخلية والأجهزة الأمنية، وتسجيل المدارس رسميًا لدى السلطات الباكستانية.

باكستان بعيون المستشرقة الألمانية «أنيماري شيميل»:

قصرٌ له ألف باب

أسامة أمين - ألمانيا

زارت شيميل شبه القارة الهندية أول مرة عام ١٩٥٨م، ثم واظبت على السفر إلى هناك منذ عام ١٩٧٣م، مرة على الأقل كل سنة، لمدة ٣٥ عامًا. أصدرت في عام ١٩٦٥م كتابًا بعنوان: (باكستان ـ قصر ذو الف باب)، وأصدرت بعده حوالي مئة كتاب، ومئات المقالات، وألقت آلاف المحاضرات، بالإضافة إلى ترجماتها الوفيرة من الأشعار الشرقية من العربية، والفارسية، والتركية، والأوردية، والباشتوية، والسندية، والسيريكية، كما كتبت أشعارًا باللغتين الألمانية والإنجليزية. وقد تضمنت الكثير من أعمالها دراسات وتأملات في شبه القارة الهندية.

وبالإضافة إلى الكتاب السابق الذكر الذي طبعته شيميل في سويسرا، ولم تعد هناك نسخ متوفرة منه، هناك كتاب آخر واسع الصيت، اسمه: (جبال... وصحاري... ومقدسات.. رحلاتي إلى باكستان والهند)، نشرته أول مرة عام ١٩٩٤م، وأعيدت طباعته عام ١٩٩٧م، ويقع في حوالي ٣٠٠ صفحة، قسمتها مناصفة بين باكستان والهند. وهذا الكتاب هو المصدر الرئيس لما سيرد من تصورات عن باكستان في هذا المقال.

وقبل أن نخوض في تفاصيل هذا الكتاب، لابد من الإشارة إلى أن شيميل كانت تحرص دومًا على الإشادة بالتصوف والمتصوفين، قائلة إن «هناك وجه آخر للإسلام، غير الذي تنشره وسائل الإعلام، من تطرف وتشدد وأصولية، وهو الصوفية السمحة». إن غالبية الصور التي تنشرها لها وسائل الإعلام الألمانية تكون إما بجوار (يافطة) مكتوب عليها (خيابان اين مري شمل)، أي شارع أنيماري شيميل، أو وهي جالسة أمام ضريح أحد «الأولياء الصالحين من الصوفيين»!

كتاب (رحلاتي إلى باكستان والهند)

ليست شيميل صحفية تريد استعراض قضية محددة لا تخرج عنها، في مساحة محدودة من السطور والأوراق، كما أن كتاباتها ليست دراسات أكاديمية، تخاطب الباحثين والدارسين المهتمين بشؤون الشرق، ولا هي روائية تلتزم بعناصر الرواية، وأخيرًا ليس كتابًا تقريرًا عن رحلة، يهدف كاتبه إلى إعطاء نصائح للقارئ، أو يوضح أهم معالم مدينة ما. ربما أمكن اعتبار هذا الكتاب من ضمن ما يعرف باسم (أدب الرحلات). وهو يخلط بين ما تراه الكاتبة، وبين ما تشعر به، ثم تجتر في كل موقف كل ما سمعته، أو قرأته عن هذا الموقف أو ذاك.

ولكن ما يمكن أن يتعب القارئ الشرقي، أنه يستشعر الغيظ أحيانًا، من الإصرار على إظهار عالم شرقي تائه في أعماق الماضي، منفصل عن المدنية الحديثة في الإيجابيات، لكنه يستوعب السلبيات بسرعة متناهية. هو ما سبق ذكره من التمسك بالصور المقتبسة من عالم (ألف ليلة وليلة)، ولكنه لا يركز على شهريار وشهرزاد، بل على قطيع البشر الذي ينساق بلا إرادة وراء وهم، اسمه مقام لأحد الصالحين، وتبرك بالأضرحة، وأشعار صوفية تخلط مكونات الأديان كلها، لتخرج في النهاية (سلطة أديان)، تصلح للتطبيق على المسلمين والهندوس والسيخ، بنفس القدر ودون تعارض مع العقيدة التي أصبحت ممسوخة.

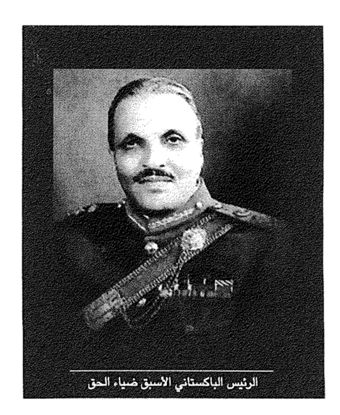
توضح شيميل أن بداية حبها لباكستان، نشأ بعد الاطلاع على كتابات الشاعر والسياسي العملاق محمد إقبال الذي ترى

فيه رمز العبقرية الفذة، القادرة على الجمع بين الغـرب الأوروبي، والشـرق، وذلك أثناء دراسته في ألمانيا، لأنه تمكن من المزج بين ما كتبه شاعر ألمانيا الأكبر يوهان فولفجانج فون جوته، وبين مولانا الرومي، وأعجبتها (رسالة الشرق)، التي كتبها إقبال باللغة الفارسية، أيما إعجاب.

بعد مقدمة الكتاب التي توضح للقارئ خلفية اهتمامها بهذا الإقليم، وتشيد بالصوفيين «الذين يرجع إليهم الفضل في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية، والذين استطاع شيوخهم أن يثروا الأدب باللغات المحلية»، تتحدث بما يشبه الاعتذار عن عدم قدرتها على تناول الدور الاقتصادي والسياسي للحركات الصوفية، وكذلك الدور التربوي الذي تقوم به هذه الطرق الصوفية، لأنها ليست عالمة اقتصاد أو سياسة، أو تربية، ولذلك يكون تركيزها دومًا على جوانب أخرى.

شيميل والرئيس ضياء الحق

ويبدأ الكتاب بمشهد يتكرر بعد ذلك



الرئيس الباكستاني الأسبق ضياء الحق

كثيرًا في الكتاب، وهي جالسة على طعام الغداء مع الرئيس الباكستاني الأسبق ضياء الحق، ويسألها عما إذا كان ينقصها شيء، فترد عليه بأنها تتمنى منذ زمن بعيد أن تزور (هنجلاج)، وطبعًا يتعجب الرئيس لأنه لم يسمع عن هذا المكان شيئًا، وكذلك يستغرب كل من حوله، لأنهم أيضًا لا يعرفون بلادهم، كما تعرفها السيدة القادمة من الغرب، ثم يتضح أنها تقع بالقرب من ماكران، شمال غرب كراتشي. وكما لو كانت قد عثرت على مصباح علاء الدين، يلبي لها ضياء الحق طلبها، مهما تكلف من عناء كبير، وأموال كثيرة.

وبعد أن استعد القارئ نفسيًا لأن تحكي له كيف كانت هذه الرحلة، تبدأ شيميل في استعراض معلوماتها، عن كيفية انفصال بنجلاديش عن باكستان عام ١٩٧١م، وكيف أن زياراتها تكون مكتظة بالمحاضرات، واللقاءات الصحفية، ولقاء كبار المسؤولين، إلى جانب زيارة أضرحة الصوفيين، وتفقد معابد الهندوس، والأماكن التي يحجون إليها.

ولا تمر شيميل على حجر، إلا وخطر لها ذكر قصيدة صوفية، أو أسطورة هندية قديمة، فمجرد رؤية بحيرة (هينجهار)، تستدعي ذكر أسطورة الأمير (تماشي)، الذي كان يعيش في القرن الخامس عشر، والذي أحب عروس البحر (نوري)، وكان يلتقيها عند هذه البحيرة، علمًا بأن (نوري) هي البطلة الوحيدة في أساطير شبه الجزيرة الهندية. ثم الانتقال إلى العصر الحديث، وذكر أن المهندسة المعمارية الشهيرة ياسمين لاري، قد صممت بيوتًا فاخرة لأثرياء الباكستانيين، على شاطئ هذه البحيرة.

ثم تعود إلى رحلتها، لتوضح للقارئ أن المكان الذي طلبت من الرئيس الباكستاني، أن تزوره، هو عبارة عن (قدس الأقداس) للهندوس، وأن أتباع الهندوسية يأتون إليه من أقصى البقاع، وأن الإعجاب والتقديس لهذا المعبد لا يقتصر على الهندوس، بل إن الشاعر الصوفي (المسلم!!) شاه عبد اللطيف، وهو أهم شعراء الصوفية في اللغة السندية، توجه مع مجموعة من المريدين، في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، إلى هذا المعبد، وبقي هناك، وكتب ديوانًا بعنوان (رسالو)، وهو الديوان الذي يحظى بمكانة كبيرة لدى المسلمين والهندوس على حد سواء.

وتكشف شيميل أن سر إعجابها البالغ بالهند

وباكستان، يرجع إلى قصيدة قرأتها لشاه عبد اللطيف، يقول فيها:

يا قرية الهضاب السماوية... من يسعد برؤياك مرة...يذوب جسده... في رحلة البحث عن الإله..... هناك يضل الطير طريقه... وتندلع شرارة من البرق... من ذا الذي قدر أن يشعلها... غير هذا الدرويش الصالح؟

تسافر أنيماري شيميل من إسلام آباد بالطائرة إلى مدينة كويتا، حيث شاهدت السجاد البديع والفواكه اللذيذة، وهي منطقة ليست بعيدة عن الحدود الأفغانية - الإيرانية، بالقرب من وادي نهر الأوندس.

وفي منطقة (ميهراج) اكتشف علماء الآثار الفرنسيون، بيوتًا أثرية تدل على حضارة عريقة قديمة، كانت في هذه المنطقة، ويتوقع العلماء أن تكون من الألف الخامسة قبل الميلاد، ويبدو أنها المدينة التي سبقت نشأة مدينة (موينجو دارو) من الألف الثالثة قبل الميلاد.

طبعًا كان بانتظارها أعلى مسؤول في الإقليم، ويسمى هنا (دي سي) اختصارًا للمسمى Deputy Commissioner، ويرحب بها أكرم الترحاب، ثم يذهب معها إلى طائرة خاصة صغيرة، تتسع لخمسة أشخاص فقط، يقودها ضابط طيار برتبة عميد، وهي رتبة عالية جدًا. تجلس هي إلى جوار الطيار في الأمام، وينحشر المرافقون الثلاثة في الخلف.

وتظهر الجزئية الطفولية في شخصية شيميل، وهي تصف سعادتها البالغة في رؤية الطبيعة البديعة من الجو، «وكدت أصرخ من فرط سعادتي، ولم أستطع أن أكتم ذلك، إلا بالعض على يدي بشدة». شعرت بأن ما كانت تحلم به منذ صغرها، قد أصبح حقيقة أمام عينيها، تخيلت نفسها على سطح القمر، أو في بلاد الجن، أو أنها الملكة سبأ، وهي في طريقها إلى النبي سليمان عليه السلام، الذي صنع له الجن عرشًا واقفًا بين السحاب. فكرت للحظة في أن سقوط الطائرة في هذه اللحظة، وموتها سيكون قمة السعادة، وتذكرت ما قاله شاه عبداللطيف عن الباحثين في الكون، الواقفين على الدرب:

اللارغبة هي دارهم... واللاوجود هو كوخهم... الرضا مملكتهم... ولا يبحثون عما لا يملكون.

تهبط الطائرة لتجد في انتظارها محافظ مدينة (بيلا)، علي رضا. وهو إنسان مثقف، من أصل

توضح شيميل أن بداية حبها لباكستان، نشأ بعد الاطلاع على كتابات الشاعر والسياسي العملاق محمد إقبال الذي ترى فيه رمز العبقرية الفذة، القادرة على الجمع بين الغرب الأوروبي، والشرق

أفغاني من منطقة هازارا، والذي يتحدث - إلى جانب الأوردو - باللغات الإنجليزية، والباشتوية والفارسية، والسندية. يدعوها إلى وليمة كبيرة، دعا إليها فرقة رقص تقليدي من الرجال والنساء، ومن بين الراقصين مجموعة من (المكراني)، وهن من ذرية العبيد الأفارقة، والذين يتمتعون بقدرات فائقة في الرقص، ولكنه رقص عنيف، يفوق في عنفه أي رقص شاهدته في الغرب.

وتخرج إلى البادية، حيث ترى الجبال الوعرة القاحلة، التي تثير الرعب في النفوس، رغم أن أعلاها لا يتجاوز ارتفاعه ١٥٠٠ متر، بسبب الأشكال النادرة التي تشكلت هناك، بفعل عوامل الطبيعة، وتذكرت ما كتبه أحد الفاتحين العرب، عندما وصل إلى هناك، في عام ٦٤٠، أي بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم بأقل من عشر سنوات)، حينما حاول الوصول إلى وادي الإندوس عن طريق البر، ولكنه توقف عند مدينة (مكران)، وفقد الأمل في الاستمرار في الفتوحات، وقرر العودة، وكتب إلى الخليفة كلمات مقتضبة، قال فيها: «الماء شحيح، والفواكه عطنة، واللصوص وقحاء. فإذا كان الجيش قليل العدد هلك، وإذا كان كبيرًا لم يجد المؤنة، مات جوعًا وعطشًا في هذه الديار».

ثم تحكي شيميل للقارئ أسطورة من منطقة (ماكراني) توضح أن الناس في باكستان، لا يقيمون أضرحة للصالحين فحسب، بل إنهم بنوا في (بلوخستان) مقامًا

كبيرًا لاثنين من العاشقين، هما فرهاد وشيرين، علمًا بأن فرهاد هذا كان قد انتحر عندما أبلغه غريمه الملك خسرو بأن حبيبته شيرين قد ماتت، فاستطاع بموته أن يلتقيها بعد الموت، وكان له ما تمنى.

ثم تفيق شيميل من رحلات الماضي السحيق الأسطوري، إلى عهد احتلال البريطانيين لمنطقة السند، عام ١٨٤٣م، موضحة أن الهدف من وراء ذلك الاحتلال، هو إنشاء نقطة انطلاق يهاجمون منها أفغانستان. ثم تشير إلى المكانة التي تحتلها هذه المنطقة عند الهندوس، مما جعل الكثيرين منهم يرفضون الانتقال إلى الهند، بعد انفصال دولة باكستان المسلمة عن دول الهند الهندوسية، علمًا بأن سكان المنطقة من الهندوس، كانوا يتمتعون دومًا بعلاقات طيبة مع جيرانهم المسلمين.

وتصف المستشرقة الألمانية تفاصيل دخولها المعبد الهندوسي في مدينة (هينجلاج)، الذي جاءت إليه من آخر بقاع العالم، وكان برفقتها المحافظ وكبار رجال الولاية، وهم من المسلمين، ولاحظت أنهم يزورون هذا المكان لأول مرة، وتوقعت أن تكون المرة الأخيرة أيضًا - أي أن الفضل كان لها، حتى يلتقي أتباع الإسلام والهندوسية، ويتعرفون على بعضهم بعضًا -. ولكنها تشعر عند مدخل المعبد بالضيق، لأن هناك صورًا حديثة معلقة لا علاقة لها بالمناخ التاريخي الذي يسود محيط المعبد الهندوسي.

يتمتم القديس المرافق لهم بصلوات، حتى يشعرهم برهبانية المكان، وقداسته، فيفعلون مثله في وقار، ثم يدخلون المعبد، لتجد على مذبح المعبد كتاب (أدي جرانت)، فتشعر بالاستغراب الشديد، ولا يفهم القارئ المسكين مثلي سبب الاستغراب، فتوضح له شيميل أن هذا الكتاب، هو الكتاب المقدس لدى السيخ، فما الذي أتى به عند الهندوس. ويزداد اندهاشها، عندما تجد القديس ينشر البخور حول كتاب السيخ، ويبدأ في الإنشاد منه، كما لو كان كتابًا لطائفته في الوقت ذاته. ولكن المفاجأة الكبرى، أن الترانيم والأذكار التي ترد في صلواتهم، وقداسهم، تشبه إلى حد بعيد الطقوس التي يتبعها المسلمون هناك. فتشعر من جديد أن الصوفية وحّدت الجميع في هذه البلدان.

تخرج شيميل ومن معها، وتريد مواصلة السفر، ولكنها تكتشف أن الطائرة لا تستطيع أن تواصل معها السفر لعدم وجود مطارات في المناطق التالية، كما لا يوجد طريق معبد تسير عليه السيارات الفارهة، التي جاءت من إسلام آباد، لتكون تحت إمرتها، ويبلغها المحافظ أن أفضل الطرق، هي مواصلة السفر على ظهور الجمال، تنظر شيميل إلى الطريق الوعرة، الشديدة الانحدار، وتشعر بأنها ستنزلق من على ظهر الجمل، وتسقط على الأرض، إن فعلت ذلك، لكن المحافظ يطمئنها، فتركب معه السيارة المكيفة، في فترة الحر القائظ، وتصل إلى بداية الطريق.

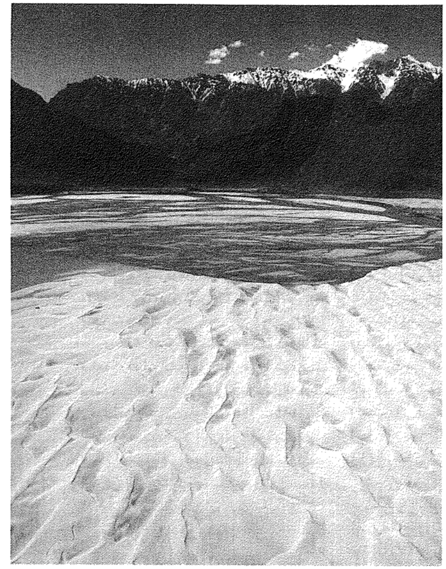
١٩ جملاً من أجل شيميل

وبدلاً من أن تجد جملاً في انتظارها، وجدت قافلة من الجمال، تضم ١٩ جملاً، وتتساءل في أعماقها، عن سر هذا العدد الغريب، عشرون جملاً إلا واحدًا لخمسة أشخاص، ولكنها لا تجد في البداية تفسيرًا منطقيًا لهذا العدد الضخم، وتفتش حولها عن الدرب الذي سيسلكونه، فلا تجد له أثرًا. تنظر للجمال، وللرعاة، فتجدهم جميعًا، ملتحين، وطبعًا نظرًا للأهمية القصوى التي تتمتع بها، فقد كان قائد جملها، هو أطول الرجال لحية، وأعظمهم مكانة.

ويودعها المحافظ ويتمنى لها رحلة سعيدة، فتستوقفه لسؤاله عن الطريق، الذي سيسلكونه، فيأخذ بيدها، ليدلها على طريق وراء الأشجار، جرى شقه خصيصًا لرحلتها، قبل يومين فقط، وأصبح مجهزًا بصورة لا تخطر على البال.

وتنتهز فرصة ذكر الجمال، لتستفيض في ذكر ما

وبدلاً من أن تجد جملاً في انتظارها، وجدت قافلة من الجمال، تضم ١٩ جملاً، وتتساءل في أعماقها، عن سر هذا العدد الغريب



ورد عن الجمل عند الشاعر الألماني فريدريش روكرت، الذي قرأ الكثير عن الشرق، وهو صاحب واحدة من ترجمات معاني القرآن، لكن بأسلوب شعري، ثم تعدد مناقب الجمل عند العرب، وعند سكان شبه القارة الهندية، وترى أن هناك الكثير من القواسم المشتركة بين تصوراتهم عن هذا الحيوان، الذي يمكن أن يكون هادئًا وديعًا، ولكنه حين يغضب يتحول إلى مارد شرير يهدد من حوله.

ثم لابد أن تعرج على الصوفية، لتذكر ما قاله الرومي فيه، من أن الجمل تلقى يومًا دعوة من الديك لزيارته في بيته، فلما دخل بيته، لم يتنبه إلى وقوف الديك أسفله، فداس عليه، وقتله، ويشبه ذلك بفرط الحب الذي يتمكن من القلب، حتى يقضي عليه، ويخلصه من الدنيا بأكملها.

وتعتبر أن الصحراء هي المكان الوحيد الذي يستطيع المرء فيه أن يخرج عن حدود الزمان والمكان. ويذكّرها جفاف الصحراء بأبيات لشاه عبد اللطيف، حين قال:

«أيتها السحابة، بالله عليك، امنحي العطاشى ماء.. واجعلي القمح أرخص سعرًا... واملئي القرب الفارغة... واجعلي الأرض تكتسي خضارًا... حتى يكتسي وجه المزارعين سعادة وبهجة».

كما يرى الصوفيون في السحابة التي هي مصدر الرحمة والحياة، رمزًا للرسول ﷺ، الذي قال الله عنه في القرآن في سورة الأنبياء الآية ١٠٧ ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾، وهو كذلك الذي يبث النور في القلوب المظلمة، كما يحيي المطر الأرض الجدباء بإذن الله.

وتذكر أن الشاعر محسن كاكوراوي من محافظة (لاكناو)، كتب في مطلع القرن العشرين، أشهر قصائده، وهي عن السحاب، وكانت القصيدة مقتصرة في رموزها على الصور الهندوسية، ولكنه يربطها دومًا بحبه للنبي محمد ﷺ، بما يتناسب معه، مستخدمًا إيحاءات الصوفية الإسلامية، وكان يقول دومًا إن هذه القصيدة، هي التي سيتلوها يوم القيامة، لتكون شافعة له عند الحشر.

لا يعجبها العجب

ورغم كل هذه الحفاوة، والكرم البالغ، فإن شيميل تستاء كثيرًا من المقابلات الصحفية، التي تجد أنها «عديمة ولا معنى لها»، وحينما يستقبلها وزير التربية والتعليم بنفسه، ويأخذها بسيارته، لتشارك في حفل زواج ابنته، تشتكي شيميل من أنها شعرت بأنها دخلت ثلاجة، كادت تتجمد فيها من فرط برودة التكييف، وطبعًا لا تكتفي بمعرفة وزير التعليم، بل إن أباه كان من معارفها الشخصيين، والذي كان مساعدًا للأغاخان، وكانت الموسيقا والشعر لا ينقطعان عن بيتهما.

وتوضح للقارئ أن كثيرًا من الأسر

الباكستانية تحرص على أن يتزوج ابن الأسرة الأولى، ابنة الأسرة الثانية، وابنة الأسرة الأولى، ابن الأسرة الثانية، بحيث تعوض زوجة الابن فقدان الابنة، ويعوض زوج الابنة فقدان الابن.

ثم تصف الاستعدادات للعرس من الحناء، وكيفية الفصل التام بين الجنسين، أثناء الاحتفال، ثم تصف ما حدث عند كل جنس، بحيث توقن أنها كانت تتنقل بين الاحتفالين بدون حرج، لتراقب الأوضاع وتعرفنا بما حدث.

وتصف بصورة مضحكة مبكية في الوقت ذاته، كيف أن العروس تلبس في أنفها حلقًا ضخمًا، يرمز إلى انتهاء مرحلة العذرية، وأنها أصبحت زوجة، ولكن هذا الحلق ضخم للغاية، بحيث تعجز العروس المسكينة عن أن تضع الطعام في فمها، الذي تضل يدها الطريق إليه، كما تصف الرموش السوداء



الطويلة التي وضعوها لها لتبدو أكثر جمالاً، جعلتها شبه عمياء، تحتاج إلى من يأخذ بيدها في الطريق. أما في الصباح فإنها تغادر بيت أهلها مع زوجها، بعد أن يأتي أفراد الأسرة جميعًا، ليودعوها بألف عناق وعناق، وبمئات الآلاف من القبلات.

وتسكن شيميل - طبعًا - في القصر الذي كان مخصصًا لأمير هذه المنطقة، وتفاجأ بوجود ضفدع أمام سريرها، وتنطلق تتخيل أن هذا الضفدع هو أمير أو أميرة تعرضا للسحر، بعد غضب إحدى الجنيات عليهما، وتذكر حكاية من الأدب في اللغة السندية، لضفدعة تأبى أن يخاطبها ضفدع يخطب ودها، بدون أن يبدأ كلامه بكلمة «أنستي المبجلة»، واضطرت في النهاية إلى أن تتزوج من فأر أجرب، لأنه الوحيد الذي وافق على أن يخاطبها كما تشاء. وتشير إلى أن هناك مثلاً شعبيًا في لغة الباشتو يقول: «عندما يقف الضفدع على صخرة، يصيح ها أنا قد وصلت كشمير بقفزة واحدة».

وكانت شيميل تشعر بنسمة هواء رقيقة، تنبعث من ناحية النافذة، تهتز معها الستائر المتدلية من أعلى الغرفة، ولكنها استغربت من أن حركة الستائر منتظمة، لا تتغير، ولا تتوقف، فتقف تفتش عن مصدر هذه النسمة، فتجد أن هناك خادمًا صغير السن يقبع خلف الستارة، ليحركها بهذه الصورة، وبدلاً من الشعور بالشفقة عليه، إذا بها تتوصل إلى أنه «على ما يبدو لا يتعب من هذه الحركة، لأنه لم يتوقف عنها مطلقًا». وأترك للقارئ الحكم على هذا التفسير. وعندما يأتيها الفطور يكون من الزبد المصنوع لتوه، والخبز الساخن الطازج، والعسل الذي جلبه العمال في هذه اللحظة من خلية النحل، والفواكه المقطوفة حالاً من الشجر.

وتعود للتاريخ لتقتبس من الضابط الإنجليزي هـ. ت. لمبريك في كتابه (الإرهابي)، يتكلم فيه عن مجموعة اسمها (هور) وهم وحدة من قوات الدراويش، كانوا يدينون بالولاء لمرشدهم، قلبًا وجسدًا، وهم الذين أعلنوا الجهاد في عام ١٩٢٨م ضد السيخ المسيطرين على البنجاب ومنطقة الحدود في شمال غرب البلاد، وقاموا بعدة حملات على البريطانيين، وتطورت أعمالهم بشدة في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، بل وفي أثنائها، وفجروا السكك الحديدية، ودمروا الطرق البرية، ونسفوا الكباري.

وفي معبد هندوسي آخر تجد رموزًا لا حصر لها، فالمغارة التي يقع فيها المعبد رمز لنزول الوحي، والماء المنساب الذي ينظف الزائر رمز للطهارة، والأشجار رمز للقوة الإلهية النابضة بالحياة.

وعند خروجها من المعبد، وعودتها إلى قافلة الجمال، تجد سجادة ضخمة مبسوطة على الأرض، ووسائد ومنضدة، وشايًا وحلويات، وأكوابًا وأطباقًا لا حصر لها، وخدمًا في كل مكان، فتعرف سبب حضور ١٩ جملاً محملين بالأثقال، لتوفير أكبر قدر من الراحة لها، أينما حلت. وتشعر وكأنما الجن مسخر لها، يأتيها بكل ما تشتهيه. وفي ذلك إصرار على البقاء في عالم ألف ليلة وليلة، كما أشرت من قبل.

ثم تقارن بين الكرم الباكستاني الرائع، المتناغم مع البيئة، وبين الكرم اليمني، حين أراد مضيفوها أن يقدموا لها مفاجأة، فأخذوها في الصحراء، وفجأة وجدت استراحة تابعة لمجموعة فنادق إنتركونتننتال العالمية، تقدم الأطعمة والمشروبات الغربية فقط، من الجمبري إلى الشمبانيا. لتسأل القارئ: أليس أهل هنجلاج أكثر ذوقًا وأعمق حسًا من سواهم؟

وتقارن شيميل كثيرًا بين ما كانت عليه مدينة إسلام آباد قبل ثلاثة عقود وبين وضعها الحالي، فتتذكر أن شوارع هذه المدينة كانت خالية، تسكنها الكثير من السلاحف، وكانت ترى بيضها، الذي يشبه كرة الجولف، والتي كانت الحيوانات تلتهمها، بل وتفترس صغار السلاحف عقب خروجها من البيض.

ماذا تفعل شيميل في باكستان؟

يفاجأ القارئ بأن شيميل التي تحظى بكل هذا الاهتمام والتدليل، لا يعجبها كثيرًا أن يطلب منها إلقاء محاضرة في جامعة هنا، أو معهد هناك، رغم أنه يكفيها أن تغلق عينيها، وتقرأ من كتابها الداخلي.

وللتدليل على أهميتها، تروي أن أحد مرافقيها أبلغها أن بعض المناطق لا تتمتع بالأمن، ولذلك انتشرت عصابات تخطف أفراد العائلات الغنية، وتطالب بفدية، مما جعل هذه الأسر لا تدع أبناءها يذهبون إلى المدرسة، أو حتى للعب، دون حراسة شخصية من فرق مدربة على ذلك. ويتساءل هذا المرافق عن المبلغ الذي يمكن أن تحصل عليه هذه العصابات من الحكومة الألمانية، كفدية لإطلاق سراح شيميل.

■ يفاجأ القارئ بأن شيميل التي تحظى بكل هذا الاهتمام والتدليل ، لا يعجبها كثيرًا أن يطلب منها إلقاء محاضرة في جامعة هنا ، أو معهد هناك . رغم أنه يكفيها أن تغلق عينيها . وتقرأ من كتابها الداخلي ■

ثم تذكر شيميل محادثة دارت بينها وبين وزير التعليم العالي في عام ١٩٧٥م، طالبته فيها بالعمل على افتتاح كلية لاهوتية، تختلف عن كليات العلوم الشرعية، يكون الهدف منها تعليم الدارس فهم الأديان الأخرى، على مختلف مذاهبها، ودراسة الفلسفة بصورة متعمقة، وعلوم الاجتماع وغيرها، إلى جانب الدراسات الشرعية التقليدية.

وتشير في هذا المضمون الذي يتعلق باحتمال إساءة الفهم، رغم أن المقصود هو الخير للآخرين - حسب زعمها- إلى أسطورة الأمير عمر من مدينة (أوماركوت)، الذي خطف الفتاة (ماروي)، أثناء جلبها الماء من النهر، وحاولت أن تصده، بأن تجعل نفسها في أقبح صورة، واستمرت على تلك الحال، حتى طردها، فعادت إلى أهلها فرحة بنجاتها، وقصت على أهلها ما حدث، لكن أحدًا لم يصدقها، وقتلوها على جريمة لم ترتكبها، حسب القصيدة التي كتبها الرومي، أما في قصيدة شاه عبد اللطيف فقد توقفت عند رجوعها إلى أهلها، دون ذكر للنهاية.

وتذكر شيميل أنها تناولت وجبة من الطعام الباكستاني الرائع، وكانت تشعر بأن هناك شيئًا ساحرًا فيه، وبعد الانتهاء شرح لها الطباخ أن كل ما تناولته هو عبارة عن توابل وفواكه وخضر، وردت في قصائد شاه عبد اللطيف، دون زيادة أي من المكونات التي

لم يرد ذكرها عند هذا الشاعر الذي تحفظ شيميل أشعاره الواردة في ديوانه (رسالو).

ثم تأخذ بيد القارئ إلى محاضرة تاريخية عن تاريخ مدينة (بهاولبور) التي ظهرت أول مرة على الخريطة في عام ١٧٤٨م، حين قامت فيها مملكة لقوم من شمال السند، زعموا أنهم من نسل العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولذلك تسمى فترة حكمهم بالعصر العباسي. وتوضح أن (بهاولبور) هي آخر الأقاليم المنضمة إلى الدولة الباكستانية، وذلك في عام ١٩٥٥م.

وتنبه إلى أن مصطلح الهند والسند عند علماء المسلمين، يشمل مناطق أكبر من المناطق الجغرافية لهذين الإقليمين في الوقت الحاضر. ويضم المصطلح التاريخي أيضًا، إقليم البنجاب (أي أرض الأنهار الخمس). وتشير إلى أن أقليم السند تمر عليه فترات جفاف، تشبه حال المسافر السائر في الصحراء، يتمنى الخروج منها، لما فيها من ألم، كما يتمنى المتصوف أن يخرج من الدنيا، التي لا يشعر فيها بالراحة، لزهده عنها.

وكما لم يعجب شيميل أسلوب الضيافة في اليمن، لأنه لا يتناسب مع البيئة، فإنها تعترض على بناء حديقة للحيوانات في بلوخستان، لأن ذلك «يضر بالبيئة، لما فيه من تدخل غير طبيعي في الأنماط المعيشية، لهذه الحيوانات». وطبعًا تستنكر بمنتهى الشدة السماح للزائرين العرب، الذين يأتون لصيد الصقور، فيهددون أنواعًا كثيرة من الحيوانات بالانقراض، ولكن المسؤولين هناك يسمحون بذلك، «لأن الزوار العرب يدفعون أموالاً كثيرة، مقابل ممارستهم الصيد هناك».

وفي خلوستان تروي قصة غريبة، تقول فيها إن الرجال تعودوا الذهاب، إلى أحد المعابد الهندوسية هناك، إذا لم يكونوا ينجبون، وذلك في موسم سنوي يحجون طلبًا للأطفال، وبخاصة البنون. فإذا ما تحقق هذا الحلم، يعودون في العام التالي للميلاد، وقد ارتدوا ملابس نسوة، كرمز للولاء وهبة النفس لهذا المعبود.

وتقول إن شعراء المسلمين في شبه القارة الهندية، كانوا يتحدثون دوما كنساء، لأن (النفس) لفظ مؤنث في اللغة العربية، وينتقلون بها من النفس الأمارة بالسوء، إلى النفس اللوامة، إلى النفس المطمئنة، وكلها صفات مأخوذة من القرآن، ولكنها تأخذ في التصوف أبعادًا كبيرة، ومراتب عديدة. ويصبح الشاعر متمسكًا بضمير الأنثى، تعلقًا بالسيد المحبوب.

ورغم أنها كانت تسكن هناك أيضًا في قصر أمير المنطقة سابقًا، فإنها لم تنعم بالهدوء لما تتمتع به من أهمية كبيرة، فتأتي إليها أسراب الضيوف، ومن بينهم شيخ طريقة، حذرها منه مرافقوها، ولكنها لم تعبأ بنصائحهم، لأنها وجدته محتاجًا للنقاش مع إنسان (عالم) مثلها، يستطيع التحاور معه في القضايا اللاهوتية المعقدة، بل إنه كان يرسل إليها بخطاباته المطولة أيضًا على عنوان جامعتها في هارفارد، يستجدي النصح منها!!!

ثم تجد بقرب القصر مسجدًا صغيرًا، فائق الجمال، ولكنها استغربت من أن المحراب به باب في وسطه، ولما سألت، قالوا لها إنه مخصص لهرب الإمام، إذا كان خطيبًا ناقدًا للأوضاع، أو حتى حاكمًا ثار عليه الشعب، أو غير ذلك. ولكن محدثها لا يكتفي بذلك، بل يخبرها بأن المسجد تحته سرداب مظلم، يشاع أنه كان مسكنًا لبنات الأمير غير المتزوجات، واللاتي يبقين فيه حتى يتزوجن. ثم يعقب على ذلك بقوله إن «أسعد سكان هذه المنطقة هم المقيمون بجوار المسجد في المقابر، أي الموتى، بسبب

لا أعرف إذا كانت باكستان قد فقدت بموتها صديقة، أم أن على إسلام أباد أن تبذل الكثير من الجهد، لتصحح الكثير من المفاهيم المغلوطة عن هذا البلد المسلم، والتي نشرتها عنه شيميل انطلاقًا من رؤية غربية، تصر على فهم الشرق، باعتباره عالم السحر، والخيال، والأحلام، عالم ألف ليلة وليلة

سوء الأحوال».

ثم وجدت شيميل امرأة تطاردها في كل مكان، وهي تحاول التخلص منها، بمساعدة مرافقيها. ولما يئست استمعت إليها، فعرفت أنها جاءتها بتوصية من شيخ الطريقة الذي يراسلها، وأنها تريد منها أن تساعد ابنها على الالتحاق بجامعة هارفارد. ولكن شيميل وجدت أن الابن غير مريح، وأن مثل هذا الطلب طالما سمعته، فحاولت إقناعها بعدم سهولة ذلك، ولكن صاحبة الطلب لم تقتنع.

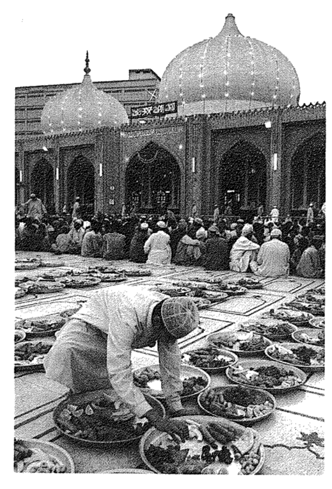
دروس في السياسة الباكستانية القديمة

توضح شيميل أنها تعرفت على الرئيس الباكستاني الأسبق، ذو الفقار علي بوتو، حين كان وزيرًا للخارجية بعد أن درس في الولايات المتحدة، وكانت ابنته بناظير طالبة في جامعة هارفارد، التي كانت شيميل تعمل فيها، وكانت تربطها بذي الفقار علاقة طيبة ووثيقة.

وفي إحدى الجلسات نصحها بوتو بقراءة كتاب بقلم العالم علي محمد رشيد بعنوان (هذه الأيام، هذه الأسود)، وكان يصف السند في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية بعد الانفصال عن بومباي عام ١٩٣٥م. وهو كتاب رائع في علم الأعراق هناك، وفي فن السياسة.

وكان مما ورد في الكتاب عن الخطوات الواجب على كل سياسي اتباعها، ما يلي:

- أولاً: محاولة الوصول إلى منصب وزير مهما تكلف الأمر، وبكل السبل المتاحة. فإذا بلغ السياسي مراده، فعليه الدفاع عن البقاء فيه، بشتى الطرق، ولا مانع من تبديل الهوية السياسية، والأيديولوجية، وبخلف الوعود التي قطعها على نفسه في الحملات الانتخابية. ولا مانع من تغيير المبادئ.
- ثانيًا: طالما كان السياسي في منصب الوزير فعليه أن يفعل المستحيل لتثبيت وضعه في السلطة، والحصول على أكبر قدر من الصلاحيات.
- ثالثًا: ما اصطلح على تسميته بـ «الشعب»، مفهوم غير دقيق، يجب تعريفه على أنه فئات ثلاث من المواطنين، أولها طبقاء الكبراء وعلية القوم، والتي هي بخير مادامت هي في السلطة. وثانيها طبقة الموظفين المساعدين، وهم الذين هم بخير طالما يؤدون عملهم في ضمان بقاء الكبراء في المنصب. والشريحة الثالثة هم مئات الآلاف من الجياع والعرايا والمشردين في



الشوارع، وهؤلاء يكفيهم مجرد الشعور بأن لهم حاكمًا يفكر فيهم، وأن ظله يرفرف على رؤوسهم.

- وللحفاظ على المصالح لابد من التعاون مع من في السلطة سواء كان بوذيًا، أو هندونيسيًا أو سيخًا، أو مسلمًا. اتباعًا للمثل الشهير «أينما كان قطر الماء، فلابد أن يبقى الفم مفتوحًا لابتلاعه».

ثم تتناول شيميل التقلبات السياسية في باكستان، من إعدام الرئيس بوتو في أبريل ١٩٧٩م، ثم إنشاء المحاكم العسكرية على يد الرئيس ضياء الحق، ودعمه لما تسميه شيميل «الإسلام الأصولي المتطرف»، الذي يوقع بين الطوائف المختلفة. وتستنكر قيام الكثير من معارفها «بإطلاق اللحى الخارجية، والداخلية»، وتشتكي من تبدل أحوالهم. وتستشهد بقصيدة لمحمد إقبال يستبعد فيها أن يدخل الجنة رجال الدين، الذين يوقعون بين الناس، ويثيرون الفتن، ويعممون القتل. ومن قبله بثلاثة قرون قال ولي عهد المغول دارا شيكوه: «الجنة تكون، حيث لا يوجد الملالي».

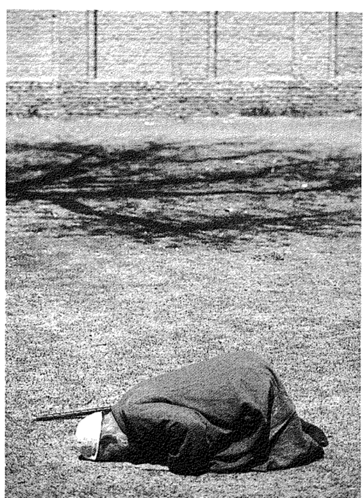
كائن ضئيل في هذا المكان البديع، ذو ثريا بديعة (من ألمانيا طبعًا، علمًا بأنها لم تذكر من دفع تكاليف بناء المسجد، ولا من هو فيصل)، والسجاد فاتح اللون، ويتسع المسجد لألف مصل.

وتصف محراب المسجد «الذي لا مثيل له في العالم»، وهو من تصميم معماري تركي، جعل هذا المحراب على شكل قرآن مفتوح، في وسط الصفحتين كلمة (الله) بالأحجار الكريمة، ومن حولها آيات من القرآن الكريم، من سورة الرحمن، مكتوبة باللون الذهبي.

ويوجد بجوار المسجد قبر الرئيس ضياء الحق، الذي لقي حتفه في حادث غريب لسقوط طائرة كانت تقله، مع جميع المقربين إليه في عام ١٩٨٨م.

وكانت قد تحدثت إليه، في آخر مرة تناولت العشاء معه، في احتفال أقامه على شرفها في نوفمبر ١٩٨٧م، عن موسيقى جلال الدين رومي وأشعاره، والذي أثرت أفكاره بعمق في أفكار محمد إقبال، الذي تعتبره باكستان «الأب الروحي» لها.

ثم تعتبر شيميل - التي طالما قالت إنها لا تفهم في السياسة- أن اللعبة السياسية الباكستانية، أصبحت في منتهى التعقيد، وانتشر التهريب، وتجارة الأسلحة والمخدرات، وازدادت حوادث الاختطاف.



وتعتبر شيميل ما حدث هو «القضاء على الإسلام الصافي السلس البسيط، لصالح التطرف الأصولي الإسلامي، لجماعات تريد الوصول إلى السلطة بمفاهيم مختلفة عن ذي قبل». وتقول إن الغرب الذي رأى في بناظير بوتو، خريجة هارفارد وأكسفورد، رمزًا للديموقراطية الغربية، واعتبرها محط آماله في نشر هذه المفاهيم هناك، فوجئ بها تفقد منصبها، ليحل مكانها نواز شريف، الذي جاء من وسط التجار ورجال الصناعة، ثم تعود بناظير بعد ذلك للحكم.

مسجد فيصل

وتصف شيميل مسجد فيصل، الذي تعتبره العلامة المميزة للمدينة، والذي تعلوه أربعة مآذن مثبتة بأساس متين، في هذه المنطقة المعرضة للزلازل الأرضية، وهو مبني من الرخام الأبيض، يشعر من يدخله بأنه

وكانت شيميل تحظى في زياراتها بمعاملة «ضيفة رسمية على الدولة»، وتسير أمام موكبها سيارات التشريف، وسيارات الشرطة التي لا تتوقف عن إطلاق صفارات التنبيه، مما جعلها تسميهم «بلابلها»، وكان الحراس الشخصيون يطمعون في توقيع على كتاب، أو صورة شخصية معها، أو نصيحة لأبنائهم، ليطيعوهم !!!

وتذكر شيميل أنها أرسلت في العاشر من نوفمبر ١٩٨١ إلى السفارة الألمانية في إسلام آباد، والباكستانية في بون، مطالبة بتسمية شارع في باكستان، على اسم الشاعر الألماني جوته، مثلما أطلق الألمان اسم الشاعر الباكستاني إقبال على أحد شوارعهم، فقرر ابن إقبال بدعم من حكومة بلاده إطلاق اسم جوته على أجمل شوارع المدينة، واسم

شيميل على الشارع المكمل له على الضفة الأخرى من النهر.

كما تشير إلى أن سيدة إنجليزية طلبت منها في جامعة هارفارد، أن تقيم مؤسسة شيميل الخيرية، لكي تتولى تحمل نفقة دراسة إحدى الفتيات من باكستان في بريطانيا أو الولايات المتحدة، وهو الأمر الذي تحقق بالفعل، وانتهت ثلاث فتيات من دراستهن بهذه الطريقة.

وتقول أصبح هناك شارع باسمي، ومؤسسة خيرية أيضًا، رغم أني لم أسع لهذا مطلقًا، ولم أحلم أبدًا بذاك.

ختامًا

لعل شيميل أفضل نموذج، يوضح أنه ليس من الصحيح دومًا أن «عدو عدوي، هو صديقي»، فليست مخالفتها لأعداء الإسلام دليلاً على انتمائها لمعسكر المسلمين. وحتى إن صح ما ذكره لي واحد من أقرب المقربين إليها - وهو السيد محمد أمان هوبوم، نائب رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، والذي يعرفها منذ أن كان دبلوماسيًا في السفارة الألمانية في باكستان قبل عشرين عامًا - أنها أعربت قبل موتها بأسبوعين عن رغبتها في زيارة مكة، مما يعني ضمنيًا أنها أسلمت أو تريد أن تسلم، لأنه بدون إسلام لن تدخل هذه الأراضي، فإن رفضها الدائم أن تعلن إسلامها، بزعم أن ذلك يضعف حجتها أمام المهاجمين للإسلام، فهذا عذر أقبح من ذنب. وإذا كانت تعشق الصوفية، لأنها تربط بين الإسلام والهندوسية، فلا يمكن اعتبار هذه «الفوضى العقائدية»، مقبولة في ديننا الحنيف، ولا يمكن الترويج لذلك، كبديل للإسلام المتشدد - حسب زعمها -.

لا أعرف إذا كانت باكستان قد فقدت بموتها صديقة، أم أن على إسلام آباد أن تبذل الكثير من الجهد، لتصحح الكثير من المفاهيم المغلوطة عن هذا البلد المسلم، والتي نشرتها عنه شيميل انطلاقًا من رؤية غربية، تصر على فهم الشرق، باعتباره عالم السحر، والخيال، والأحلام، عالم ألف ليلة وليلة.

وأخيرًا: لعل قطع شيميل زيارتها للملكة العربية السعودية قبل عامين، ومغادرتها الرياض، دون إكمال لبرنامج الرحلة في جدة وأبها، لم يكن ناجمًا عن قصور في برنامج الزيارة (كما ورد في مجلة المعرفة آنذاك)، بل لأنها خلطت بين إسلام آباد، وبين الرياض. ■

المراجع

- Annemarie Schimmel: Berge, Wuesten, Heiligtuemer. Meine Reisen in Pakistan und Indien, Deutscher Taschenbuch Verlag, Muenchen, 1997
- Mohammad Aman Hobohm: Annemarie Schimmel in Memoriam, Bad Honnef, 2003
- Mohammad Iqbal, der geistige Vater Pakistans und Mentor von Annemarie Schimmel. FAZ. 18.09.1995
- Annemarie Schimmel: Der unverstandene Islam. FAZ. 24.05.1995
- Gernot Rotter: Das Weinen der Muslime. Die Zeit. 12.05.1995
- Die Liebe zum Orient / Annemarie Schimmel wird 75. General Anzeiger. Bonn. 07.04.1997
- Die Laudatio, Roman Herzog h?lt die Rede auf Annemarie Schimmel. FAZ. 15.07.1995
- Annemarie Schimmel im Gespraech/ Feindschaft mit dem Islam kann b?se enden. Rheinischer Merkur. 06.10.1995
- Friedenspreis des Buchhandels. Al-Islam Aktuell. Muenchen. 4/1995

- يوحنا كريستوف بيرجل (ترجمة وتقديم ثابت عيد): المستشرقة الألمانية أنا ماري شيمل.. حياتها وأعمالها. صحيفة الحياة بتاريخ ٤ و ١١ مارس ١٩٩٦م.
- ثابت عيد: حوار شامل مع عميدة المستشرقين الألمان أنا ماري شيمل/ أوهام الغرب عن الإسلام مصدرها خرافات القرون الوسطى. صحيفة الحياة بتاريخ ١١ و ١٢مايو ١٩٩٦م.
- محمد أبو الفضل بدران: تعايش الحضارات أم صراعها: نموذجا هانتنغتون وشيميل. الحياة بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٩٥
- أنا ماريا شيميل ستستلم هذه السنة جائزة معرض فرانكفورت للكتاب، الحياة بتاريخ ٣ يونيو ١٩٩٥م.

محمد علي جُناح ..
«قائد أعظم»..أرض الأطهار

محمد فالح الجهني - المدينة المنورة*

* قسم التربية - كلية المعلمين .

رغم أن فكرة «دولة مستقلة» للهنود المسلمين لمعت بداية في ذهن الشاعر الهندي المسلم «محمد إقبال»، فإن التاريخ قد خلد «محمد علي جُناح» مؤسسًا لتلك الدولة الإسلامية المستقلة في شبه القارة الهندية. ورغم أن محمد علي جُناح قضى معظم حياته حالمًا بدولة هندية موحدة متحررة من نفوذ التاج البريطاني، فإنه قد نجح في العقد الأخير من حياته بتقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين منفصلتين: دولة بأغلبية هندوسية هي «جمهورية الهند»، ودولة بأغلبية مسلمة وهي «جمهورية باكستان الإسلامية».

بوصول الرحالة البرتغالي «فاسكو دي غاما» عام ١٤٩٨م إلى سواحل شبه القارة الهندية بدأ التسلل الأوروبي إلى الهند منذرًا بحقبة تاريخية استعمارية ملطخة بالدماء والأرواح المزهقة. فأصبح دي غاما نائب الملك في المستعمرات البرتغالية الهندية. ثم حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على امتياز للعمل في الهند بدءًا من عام ١٦٠٠م، تكثف على إثره وخلال عشرات السنين وجود البريطانيين في البلاد، إذ أخذ هذا الوجود في الازدياد والتضاعف منذ عام ١٧٩٨م حتى وصل ذروته في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، الأمر الذي أدى إلى «ثورة الهنود» عام ١٨٥٧م، فكانت نتيجة الثورة الهندية أن ألغت الحكومة البريطانية سيطرة الشركة الشرقية وحكمت الهند حكمًا استعماريًا مباشرًا عام ١٨٥٨م. وخلال ستة وعشرين عامًا تلت ذلك التاريخ عمل قادة الهنود على تأسيس «المؤتمر الوطني الهندي» الذي أعلنوه عام ١٨٨٤م. وكان الهدف المعلن للمؤتمر الوطني الهندي حينها هو الحصول على حكم ذاتي، إلا أن بريطانيا منحت الهنود مشاركة ضئيلة لا تذكر في إدارة شؤون بلادهم.

غاندي وجُناح رفيقا درب!

استمر وضع الصلاحيات الإدارية المحدودة التي منحتها بريطانيا للهنود حتى بدايات القرن العشرين الميلادي حيث لمع نجم الزعيم الهندي «موهانداس كارما شند غاندي» الشهير بـ«مهاتما غاندي» (مهاتما: تعني النفس السامية). وانتهج «غاندي» سياسة اللاعنف وأساليب العصيان المدني والمقاطعة والإضراب عن الطعام لنيل الاستقلال، وحقق بذلك تعاطفًا محليًا وعالميًا مهد لرضوخ بريطانيا للأمر الواقع ومنح شعوب شبه القارة الهندية الحكم الذاتي عام ١٩٤٧م، تمهيدًا للاستقلال والسيادة التامة بعد فترة وجيزة.

كان «غاندي» من الغالبية الهندوسية من سكان الهند، وسكان الهند لم يكونوا في مجملهم من الهندوس، إذ إن هناك شريحة كبيرة من الهنود، تلي الهندوس مباشرة، من المسلمين الذين يتركزون في شمال وشمال غرب تلك البلاد الواسعة. ولم يرد الهنود المسلمون أن تكون الثورة الهندية والدولة التي ستعقبها هندوسية بحتة يمنحها غاندي الهوية الهندوسية بنهجه الديني الهندوسي الواضح، فتضيع فيها هويتهم الإسلامية كفئة كبيرة من الهنود، فهم شركاء في النضال وطلب التحرر والاستقلال، ومن المفترض أن يكون لهم ممثل وقائد يناظر ويقابل «غاندي» ويعبر بالتوازي معه عن آمال الشعب الهندي في الاستقلال، ولم يكن هذا الزعيم الهندي المسلم المرافق لغاندي سوى المحامي والأديب الهندي المسلم «محمد علي جُناح»، الذي سبق غاندي في الظهور على ساحة النضال الهندي للاستقلال، وعُرف في أوساط المسلمين الهنود بـ « قائد أعظم».

جُناح.. القائد الأعظم

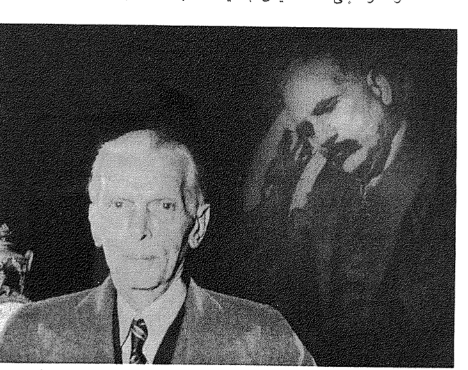
في كراتشي عام ١٨٧٦م ولد «محمد علي

جُناح»، الابن الأكبر لأحد أثرياء الهند المسلمين، في وقت لم يكن هناك ما يُعرف اليوم بباكستان. أظهر الفتى نبوغًا وذكاء حادين وكون في مقتبل حياته ثقافة عالية تندر بين أقرانه، الأمر الذي تُوج بحصوله على القبول للدراسة بجامعة بومباي ولم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره. إلا أن ثقة والده وإعجابه بثقافة ابنه العالية ونبوغه المبكر جعلاه يفضل أن تكون دراسة هذا الابن النجيب في المملكة المتحدة ...الإمبراطورية التي لم تكن تستعمر الهند فحسب، بل تعتبرها «درة التاج البريطاني».

بدأ محمد علي جُناح في دراسة القانون في جامعة «لنكولنزإن» في المملكة المتحدة عام ١٨٩٢م، وتأهل محاميًا في المحاكم العليا بعد ثلاث سنوات من الدراسة والتفوق ولم يكن قد تجاوز التاسعة عشرة عام ١٨٩٥م. إلا أن زوجته ووالدته قد توفيتا في السنة التي أنهى فيها جُناح دراسته الجامعية، وهو ما اضطره إلى العودة إلى «كراتشي» عام ١٨٩٦م والتوقف عن مواصلة الدراسة العليا. وحال وصول جُناح إلى كراتشي اكتشف أن الأمور أكثر سوءًا مما بلغه، فقد تدهورت تجارة والده وأسرته إلى الحضيض، بحيث أصبحت الأسرة عاجزة عن توفير قوت يومها.

في الفترة من عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩١٦م، أخذ نجم محمد علي جُناح يلمع في سماء النضال الهندي للتحرر والاستقلال عن بريطانيا، فقد انضم بعد أن ذاع صيته إلى «المجلس الوطني الهندي» عام ١٩٠٦م، ليصبح عضوًا في المجلس التشريعي الإمبراطوري، فرئيسًا لفرع بومباي لاتحاد الحكم الوطني الهندي. وفي عام ١٩١٣م انضم جُناح إلى «العصبة الإسلامية»، وهي تنظيم تشكل قبل هذا التاريخ بسبع سنوات، أي عام ١٩٠٦م. ويهدف تنظيم العصبة الإسلامية إلى حماية مصالح المسلمين في إطار الدولة الهندية التي بدا أنها قدر محتوم شاءت بريطانيا أم أبت. فقد ارتاب أعضاء العصبة الإسلامية من أن الهندوس، الذين يشكلون غالبية الشعب الهندي، سوف يسيطرون على الهند متى استقلت. وترجع جذور النزعة الدينية الإسلامية في الهند، في إطار الهوية الهندية العرقية، إلى تأسيس «سيد أحمد خان» عام ١٨٧٥م لكلية «محمدان أنجلو أورينتال كوليدج» في «عليكرة»، تلك الكلية التي بقيت ودامت وأصبحت تعرف اليوم بـ«جامعة عليكرة الإسلامية»، وهي الجامعة التي تخرج فيها معظم قادة الهنود المسلمين.

على كلٍّ، فقد كان انضمام جُناح إلى رابطة العصبة الإسلامية وفق افتراض، له ما يبرره آنذاك، ومفاده أن هذه الرابطة ستعمل بالتعاون مع حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي يتزعمه غاندي، لسبب واضح وجوهري، وهو أن الهدف المشترك للجميع لم يكن سوى التخلص من الحكم الاستعماري البريطاني. وخلال ثلاث سنوات من انضمام جُناح إلى العصبة الإسلامية أصبح زعيمًا لها، واشتهر بسفير الوحدة الهندوسية-المسلمة. وشكل جُناح مع كل من «غاندي» و«جواهر لال نهرو» و«مولانا أبو الكلام



أزاده» رموزًا للنضال الهندي الساعي لإقامة هند موحدة مستقلة منزوعة من التاج البريطاني.

والواقع أن شهرة جُناح السياسية وشعبيته قد تأثرت بعد ظهور غاندي على مسرح السياسة الهندية الطامحة إلى الاستقلال، إذ انتهج غاندي أساليب شعبية في النضال اعتمدت على المقاطعة والعصيان المدني وعدم التعاون مع المستعمر، بينما كان جُناح ينتهج أساليب نخبوية تتمثل في وسائل الاعتراض القانونية والدستورية إضافة إلى أفكار أخرى ترفع من شأن العمل والكدح والتصنيع ومشاريع النهوض الصناعي والاقتصادي. وأسفر الأمر في النهاية عن استقالة جُناح من حزب المؤتمر الوطني الهندي واتحاد الحكم المحلي عام ١٩١٠م، راميًا بكل ثقله السياسي والقيادي في أحضان العصبة الإسلامية.

أخذت العلاقة تسوء وتزداد سوءًا يومًا بعد آخر، بين الهندوس والمسلمين، ورغم ذلك فقد بذل جُناح جهدًا كبيرًا في سبيل استعادة التكاتف بين أكبر شريحتين في المجتمع الهندي: الهندوس والمسلمين؛ فرفع جُناح إلى «مؤتمر المائدة المستديرة» في لندن (١٩٣٠-١٩٣٢م) برنامجًا شهيرًا يتكون من ١٤ نقطة لضمان حقوق الأقليات الهندية، وعلى رأسها الأقلية المسلمة، في إطار اتحاد هندي فيدرالي؛ إلا أن اللجنة السياسية الهندية المخولة التي كان يرأسها الزعيم الهندي «جواهر لال نهرو» قد رفضت في حينها منح المسلمين الهنود امتيازات مساوية للهندوس في المجالس التشريعية الهندية الإقليمية كما كان يأمل جناح. وهنا بدأت الأصوات الهندية المسلمة في كيل الاتهامات لجُناح واتهامه بالخنوع والتخاذل؛ إذ اعترض إقليم البنجاب على قيادة جُناح للمسلمين الهنود وتمثيله لهم، بل لقد انشق إقليم البنجاب وشكل بعض زعمائه وحدة منفصلة، وهو ما أصاب جُناح بمزيد من الإحباط والخذلان في هذا الوقت الحرج وجعله يلجأ إلى المنفى الاختياري والهجرة المقصودة إلى لندن عام ١٩٣١م، تعبيرًا عن خذلانه ومرارته.

باكستان ..أرض الأطهار

ظل جُناح في لندن أعوامًا قليلة، صارفًا النظر عن محاولة العودة إلى الهند ومقررًا البقاء في المنفى الاختياري بلندن، حتى أرسل إليه الزعيم الهندي المسلم «لياقت علي خان» و شاعر الهند المسلم «محمد إقبال» التماسًا ملحًا يدعوانه فيه إلى العودة وقيادة

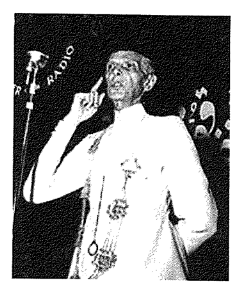
■ . .إنهم درافدا ونحن أريون ، هم وثنيون ونحن أهل كتاب ، اباؤهم أعداؤنا ، واباؤنا أعداؤهم . . لن يزول الخلاف بيننا وبينهم ، لن يحكمنا هندوس بعد اليوم . أملنا الوحيد هو باكستان!! ■

المسلمين الهنود، شارحين له أن المناخ السياسي في الهند قد بدأ ينذر بالاستقلال التام عن الإمبراطورية البريطانية، في وقت تفرقت فيه كلمة المسلمين الهنود، واحتاجت إلى من يوحدها ويعبر عنها ويعلنها للجميع، وليس أقدر على ذلك من «محمد علي جناح». فعاد جناح، مستجيبًا لذلك الالتماس إلى الهند عام ١٩٣٤م قبيل صدور قانون الحكومة الهندية عام ١٩٣٥م، معبرًا بقوة عن المشاركة المسلمة في الحكومة الهندية الكبرى التي بدأت بريطانيا بالاعتراف بها، ولو بشكل غير رسمي.

في تلك الفترة من تاريخ شبه القارة الهندية عمل جُناح بنشاط منقطع النظير على تحويل العصبة الإسلامية، وقد آلت إلى مجرد جمعية ضعيفة المعنويات تمارس كثيرًا من المهاترات والجدال العقيم غير الفاعل، إلى حركة سياسية مسلمة فعالة مسموعة الصوت. لكنه مع ذلك بقي محافظًا على التوجه القومي الهندي الدستوري الوحدوي الطامح إلى دولة هندية قومية مستقلة عن تاج بريطانيا.

فجأة، وفي عام ١٩٣٧م، دعا جُناح باسم العصبة الإسلامية - صراحة- إلى قيام دولة «مسلمة» مستقلة، تمتد على الأراضي والمناطق التي توجد فيها الأكثرية من الهنود المسلمين في شبه القارة الهندية. وكان اقتراح جُناح هذا امتدادًا لفكرة نظرية قد طرحها سابقًا الفيلسوف والشاعر الهندي المسلم «محمد إقبال»، وخطر لجُناح بعد حياة طويلة من النضال القومي في إطار هند موحدة، أن يطبق





نظرية إقبال ويحولها واقعًا ملموسًا. واختار جُناح للدولة الإسلامية الوليدة اسم «باكستان»؛ ويعني هذا الاسم المركب: «أرض الأطهار» باللغة الأوردية الشائعة بين المسلمين الهنود. وقال جُناح في سياق تفكيره الانقلابي الجديد، كلمات كان لها فعل وأثر عظيم في تاريخ شبه القارة الهندية:«..إنهم درافدا ونحن آريون، هم وثنيون ونحن أهل كتاب، آباؤهم أعداؤنا، وأباؤنا أعداؤهم.. لن يزول الخلاف بيننا وبينهم، لن يحكمنا هندوس بعد اليوم، أملنا الوحيد هو باكستان!!».

يجمع مؤرخو القرن العشرين، على أن انتخابات عام ١٩٣٧م التي أجريت تمهيدًا لإعلان استقلال الهند عن بريطانيا، كانت السبب المباشر وراء التحول المثير في تفكير جُناح القومي الوحدوي الدستوري السابق، إلى فكرة «باكستان» الانفصالية وتبنيه تفكيرًا جديدًا ينطوي على أمتين مختلفتين في شبه قارة واحدة؛ فقد رفض حزب المؤتمر الوطني الهندي بزعامة غاندي إشراك العصبة الإسلامية في حكومات المقاطعات الهندية المفترضة بعد الاستقلال. ثم استقالت حكومة المؤتمر الوطني الهندي التي كانت قائمة آنذاك أواخر عام ١٩٣٩م احتجاجًا على دخول الهند إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الثانية دون استشارتها، وعندها أعلن جُناح لعموم مسلمي الهند أن يترقبوا «يوم الخلاص» القريب.

تقدم جُناح باسم العصبة الإسلامية بمقترح باكستان في «مؤتمر لاهور» عام ١٩٤٠م، وقد بدا جليًا أن اقتراحه سيسفر لا محالة عن تقسيم الهند على أساس ديني، واصطدم جُناح عندها مع الغالبية الهندوسية ومع بريطانيا معًا. ووقعت مصادمات مسلحة وساد العنف بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية بعد هذا المقترح، وهو الذي أسفر في النهاية عن رضوخ بريطانيا والهندوس لمقترح تقسيم الهند على أساس ديني (مسلمين وهندوس) فور انتهاء الحرب العالمية الثانية، إذ أقر الحزب الوطني الهندي والحكومة البريطانية بمطالب العصبة الإسلامية في الانفصال بُعيد انتخابات عام ١٩٤٧م التي فازت فيها العصبة الإسلامية بجميع المقاعد المخصصة للمسلمين، لتظهر إلى حيز الواقع دولة مستقلة للهنود المسلمين هي «باكستان» أو «أرض الأطهار»، وكان ذلك في الرابع عشر من أغسطس عام ١٩٤٧م. وفي اليوم التالي مباشرة استقلت بدورها «جمهورية الهند» ذات الأغلبية الساحقة عن الهندوس.

في العام الذي تلا عام الاستقلال والانفصال المثير والمتناقض في شبه القارة الهندية، شهدت تلك البلاد مصادفة تاريخية أخرى، فقد توفي زعيما شبه القارة؛ حيث أُغتيل غاندي «المهاتما» في الثلاثين من يناير عام ١٩٤٨م على يد متعصب هندوسي من الهندوس الذين عارضوا أي تقارب مع باكستان: فقد شاع أن غاندي كان يود زيارة باكستان والالتقاء بجناح. وتوفي جُناح «القائد الأعظم» في الحادي عشر من سبتمبر في نفس العام، إلا أن السبب في وفاة الأخير كان الإرهاق الشديد الناجم عن العمل السياسي المتواصل... زعيمان هنديا الأصل حلما بالاستقلال والوحدة الدستورية للهند معظم حياتهما، ثم قسما البلاد في العقد الأخير من عمريهما، بدوافع من الدين والعقيدة.

محمد علي جناح

تحتمي به ويكلفها - جدًا - حمايته :

البرنامج النووي الباكستاني

محمود عبدالسلام - إسلام آباد*

* كاتب صحفي .

الحرب الأولى التي خاضتها باكستان مع الهند في عام ١٩٦٥م، فرضت عليها ظروفًا استثنائية، ووضعتها أمام متطلبات دفاعية تستدعي فرض حالة من توازن القوى في المنطقة، الأمر الذي دفع باكستان إلى العمل على امتلاك إمكانات عسكرية تفوق ما لدى الهند، للحفاظ على هويتها وأمنها وكيانها، ولا سيما أن إسلام آباد تدرك أن نيودلهي تفوقها من حيث عدد قواتها العسكرية التي تبلغ سبعة أضعافها، وكذلك نوعية السلاح التقليدي الذي تمتلكه، كونها تتلقى مساعدات عسكرية كبيرة من دول مانحة عدة بما فيها إسرائيل.

فعلى خلفية هذه التحديات المصيرية التي تبدو شاخصة أمام باكستان، اتخذ «ذو الفقار علي بوتو» قرارًا عسكريًا دفاعيًا أولاً من نوعه، لتعزيز ترسانة بلاده العسكرية، فغرس الفسيلة الأولى لبرنامج نووي باكستاني يمكن من خلاله مواجهة المخاطر الهندية ضد بلاده، بعد أن غدت مهددة بحروب لاحقة قد تشن من عدوتها الهند.

ورغم السخط الأمريكي على قرار هذا المشروع الذي بدأه بوتو أواخر تموز (يوليو) عام ١٩٧٦م، وجاء بشكل مباشر ردًا على التجربة النووية الهندية في عام ١٩٧٤م، حين عكست عمق التهديدات الحقيقية التي قد تطال باكستان في أي وقت لاحق، إلا أن قرار بوتو قد أخذ حيز التنفيذ، وخطت باكستان به خطوة الطريق النووية الأولى آنذاك.

الإنجاز

قادة إسلام آباد الذين تعاقبوا على الحكم بعد بوتو الذي أطاح به وأعدمه الرئيس «ضياء الحق» قد واصلوا جهودهم بسرية كبيرة لإنجاز وتطوير مشروعهم النووي، إلى أن شهدت باكستان ولادة برنامج نووي متطور في عام ١٩٨٧م، وبقي غاية في السرية، وجميع خفاياه وتفاصيله محصورة على العسكريين دون السياسيين إلى وقت قريب.

ورغم عدم إجراء باكستان تجارب نووية لاختبار قوة برنامجها، ومدى نجاحه يومها، تخوفًا من سخط الولايات المتحدة الأمريكية التي ترفض جملة وتفصيلاً هذا السيناريو، فإن الخبراء العسكريين طمأنوها بأن قوته وتقنيته - حسب دراستهم - تفوق المشروع النووي الهندي، وهو ما يمكنها من تحديه، وبهذا دخلت باكستان في دائرة الدول النووية كسابع دولة، وأول دولة إسلامية تمتلك هذا النوع من السلاح.

الخروج من القمقم

وفي نهاية أيار (مايو) عام ١٩٩٨م أجرت باكستان خمس تجارب نووية ناجحة في صحراء بلوشستان، كرد مباشر على التفجيرات النووية الهندية التي سبقتها بثلاثة أسابيع، وتبين للعسكر الباكستانيين يومها أن برنامجهم النووي يمكن الاعتماد عليه وبثقة في مواجهة التحديات التي قد تطال البلد لتفوقه في التقنية والقوة.

ونتيجة دخول باكستان إلى سلك الدول النووية، وقعت أمام تحديات أجنبية كبيرة، وضغوطات دولية للحيلولة دون تطوير برنامجها النووي أو استخدامه لخطورته، أو حتى التلويح به ضد أحد بما في ذلك عدوتها الهند، خصوصًا أنه قد شارف البلدان على خوض حرب ربما كانت غير تقليدية في مطلع عام ٢٠٠٢م، حين حشدت الهند أكثر من ٨٠٠ ألف جندي على حدودها مع باكستان، نتيجة الاتهامات التي وجهتها إلى إسلام آباد بالتمويل والإشراف على الهجوم المسلح الذي تعرض له البرلمان الهندي في السادس عشر من كانون الأول (ديسمبر) عام ٢٠٠١م، على أيدي مسلحين كشميريين، قالت الهند إنهم ينتمون إلى تنظيمي «لشكر طيبة» و «جيش محمد» الإسلاميين اللذين يتخذان من باكستان مقرًا لمراكزهما.

تداعيات أحداث سبتمبر

وحطت أحداث الحادي عشر من

أيلول(سبتمبر) عام ٢٠٠١م بثقلها على صدر باكستان، واضعة إياها أمام ظروف حساسة وحرجة على الصعيدين الداخلي والخارجي، باعتبارها متهمة باتخاذ حركة طالبان حليفًا استراتيجيًا لها، لضمان عدم وصول الهنود إلى حدودها الغربية مع أفغانستان، كما أدينت أمريكيًا بإيواء عناصر من تنظيم القاعدة ممن اتهموا بتفجيرات سبتمبر، وبدعمها للفصائل الكشميرية المقاتلة التي تسعى إلى الانفصال عن الهند، الأمر الذي رشحها لأن تصنف كدولة داعمة أو مؤيدة للإرهاب، رغم أن إسلام آباد تؤكد دعمها للكشميريين سياسيًا وإنسانيًا دون الدعم العسكري، ومساندتهم لحصولهم على حق الاستقلال الذي نصت عليه قرارات الأمم المتحدة قبل أكثر من خمسة عقود، في حين جناح الصقور من قادة الهند يشددون على أن إسلام آباد متورطة بتقديم الدعم العسكري والمادي للفصائل الكشميرية المقاتلة، إضافة إلى تأمينها معسكرات للتدريب لهم على أراضيها، وهو ما دفع باكستان التي شعرت بقلق كبير تمخض عن هذه المفارقات وبقوة إلى اختيارها الوقوف تحت مظلة الولايات المتحدة الأمريكية، لتصبح الحليف الاستراتيجي لها في برنامجها ضد ما يوصف بالإرهاب في المنطقة لمطاردة المطلوبين، سواء على أراضيها أو في أفغانستان، بعد أن أعلنت تخليها عن طالبان، ولتجنب نفسها السخط الإسرائيلي الذي قد يصار إلى استهداف وضرب منشآتها الاستراتيجية بما فيها النووية، والذي قد يدعمه وبقوة التعاون الجدي الهندي الإسرائيلي المكشوف، الأمر الذي قابلته واشنطن بتغاضيها عن كثير من الجدل الذي أثير حول برنامج باكستان النووي، وتولي العسكر للسلطة بعد إطاحتهم بحكومة رئيس الوزراء السابق «نواز شريف» المدنية في عام ١٩٩٩م، رغم أن واشنطن كانت تتهم العسكر بتقويضهم دعائم الديمقراطية حين تولوا السلطة على أنقاض الحكم المدني.

معضلة اتفاقية الحظر

وإلى ذلك فالرئيس الباكستاني الجنرال «برويز مشرف» نتيجة الضغوطات الغربية المتكررة التي مورست ضد بلاده، والتي كان للهند دور كبير فيها، قد أكد التزام إسلام آباد باتفاقية الحظر الشامل لإجراء التجارب النووية، رغم أنها لم تقبل التوقيع رسميًا على الاتفاقية، نتيجة رفض الشارع

أبو القنبلة النووية الباكستانية .. عبد القدير خان

انتزع حارس الحدود الهندي قلمي.. هدية نجاحي، فلم أستطع نسيان ذلك أبدًا

لقاء أجرته: Zeba Khan

المصدر: موقع Yes Pakistan على الإنترنت

البروفسور عبد القدير خان أو «مؤسس القنبلة النووية الإسلامية»، كما يطلق عليه البعض، ولد في الولاية الإسلامية الهندية «بوبال» قبل استقلال باكستان بعشر سنين وتلقى تعليمه الأولي فيها، ثم هاجر إلى باكستان وهو في سن السابعة عشرة وحصل على درجة البكالوريوس في العلوم من جامعة كراتشي الباكستانية عام ١٩٦٠م، ثم سافر إلى برلين بألمانيا الغربية وحقق نتائج رائعة في مقررات علم المعادن التي درسها هناك. حصل على درجة الماجستير في العلوم عام ١٩٦٧م من جامعة ليوفن للتكنولوجيا في بلجيكا. عام ١٩٧٦ التحق بمعامل الأبحاث الهندسية الباكستانية (ERL). عام١٩٨١م أعاد الرئيس الباكستاني الراحل محمد ضياء الحق تسمية هذه المعامل لتصبح معامل د.عبد القدير خان للأبحاث الهندسية (KRL) تقديرًا

الباكستاني لها، بسبب عدم توقيع الهند لها. في حين شدد على أن باكستان ستبقى تحتفظ لنفسها بحق إجراء التجارب النووية التي من شأنها أن تدعم أمنها القومي والوطني، وتساهم في توازن قوتها الاستراتيجية والعسكرية مع الهند، وقد فصل بين تأكيده الالتزام بالاتفاقية، وبين تخليه عن البرنامج النووي، معتبرًا - حسب تصريحاته - أن التراجع عن البرنامج النووي الذي بدأته باكستان لفرض توازن القوى في المنطقة، وللحفاظ على سيادتها وأمنها، خيانة عظمى ضد مصلحة البلد والشعب.

عزل أبي المشروع النووي

غير أن القرار الذي اتخذه في إبريل(نيسان) عام ٢٠٠١ م بشأن إنهاء خدمات كل من الدكتور «عبدالقدير خان» أبي المشروع النووي الباكستاني، وكبير علماء الذرة في باكستان، ورئيس معامل خان للأبحاث في مختبرات كهوته لتخصيب اليورانيوم، وكذلك رئيس لجنة الطاقة الذرية الباكستانية الدكتور «إشفاق أحمد» وتعيينهما مستشارين له لشؤون العلوم والتكنولوجيا، بعد انتهاء مدة خدمتيهما الإضافية عقب فترة التقاعد - قرأته أطراف المعارضة إشارة قوية للتشكيك في صدق نوايا الرئيس إزاء المشروع النووي واستمرار نشاطاته، إذ اعتبروا إقالة العلماء النوويين وإبعادهم بداية لتجميد المشروع، وهو ما نفته المصادر الحكومية الرسمية كلية بما في ذلك الرئيس مشرف نفسه الذي اعتبر القرار حينها، خطوة إيجابية نحو نشر وتقدم العلوم والتكنولوجيا، ومنح كفاءات باكستانية جديدة أخرى فرصة

وفي نهاية أيار (مايو) عام ١٩٩٨م أجرت باكستان خمس تجارب نووية ناجحة في صحراء بلوشستان، كرد مباشر على التفجيرات النووية الهندية التي سبقتها بثلاثة أسابيع. وتبين للعسكر الباكستانيين يومها أن برنامجهم النووي يمكن الاعتماد عليه وبثقة في مواجهة التحديات التي قد تطال البلد

لجهوده. وإضافة إلى نجاح خان في مجال الأسلحة النووية والصواريخ البالستية التي ظهرت نتائجها في عامي ١٩٩٨ و١٩٩٩م فهو له مساهمات عديدة تمثلت في نشره لـ ١٨٨ بحثًا علميًا وإلقائه ١٠٠ محاضرة علمية في عدد من الدول الغربية، كما حصل على كم هائل من الجوائز لقاء جهوده العلمية من جهات مختلفة في هذا العالم.

*** د. عبد القدير، معارضوك يعدونك عالمًا شريرًا إلى حد ما، ومؤيدوك يعدونك بطلاً وطنيًا، لكن كيف ترى نفسك؟**

أنا لست مندهشًا ولا مستغربًا أن يظن فيّ المعارضون ذلك - وكلهم من دول خارجية - ولست مستغربًا أيضًا المشاعر الطيبة من أبناء وطني، وللعلم فأكثر المعارضين من أعداء الله ورسوله ﷺ إنهم يكرهونني ويتهمونني بكل أنواع الأكاذيب المختلفة لأنني بددت كل خططهم الاستراتيجية وحاولت عمل توازن للقوى في هذا الجزء من العالم. أنا لست مجنونًا ولا أحمق، فإذا كان صنع الأسلحة النووية لأغراض الدفاع عن الوطن واستقلاله نوعًا من الجنون، فإن هناك آلاف المجانين في الدول الأخرى التي تصنع هذا السلاح. أنا فخور بإنجازي العلمي وسعيد جدًا بمشاعر أبناء وطني وتقديرهم للخدمات التي قدمتها لوطني، وحبهم لشخصي وعائلتي والطاقم العامل معي. وهذا الحب الذي يحيطني به الشعب لايمكن شراؤه بالمال. أنا أعد نفسي مواطنًا باكستانيًا متحمسًا للدفاع عن وطنه وحاول أن يعطي ما

للمساهمة في تطوير البرنامج النووي، والمشاركة في بناء ترسانة الدفاع عن البلد.

ورئيس الوزراء الباكستاني «مير ظفر الله جمالي» بدوره أكد أن قرار تجميد البرنامج النووي الباكستاني لا يمكن لأحد في البلد اتخاذه، أو التوقيع على تطبيقه، أو حتى مجرد التفكير فيه، باعتباره يتنافى مع مصلحة البلد الوطنية والقومية، ولا يتماشى مع إرادة الشعب الباكستاني ومستقبل أمنه حسب قوله.

في طريق التجميد

ورغم حرص الحكومة الباكستانية على إبراز نفسها مخلصة ووفية لمشروع بلادها النووي، الذي يعتبره الشعب الباكستاني رأس ماله الذي من خلاله يواجه جميع التحديات والمخاطر التي تهدده، فإن المعارضة بشقيها الإسلامي والسياسي، تعتقد جازمة أن تجميد المشروع النووي الباكستاني دخل مرحلة الجدية والتنفيذ بصورة عملية، وخطه البياني أخذ بالانحدار والتراجع منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، خصوصًا أن باكستان قد أعلنت نفسها وبوضوح، الحليف الأهم لواشنطن، وهو ما أفرز قرار تحييد العالمين النوويين، وإبعادهما عن وسائل الإعلام، وتعيينهما في مناصب رمزية أكثر منها عملية، دون الأخذ بعين الاعتبار المكانة الكبيرة التي يحظون بها لدى الشعب الباكستاني، في الوقت الذي وصل فيه نظيرهما «أبو الكلام آزاد» أبو المشروع النووي الهندي إلى رئاسة الدولة تكريمًا لجهوده التي قدمها للدفاع عن الهند، مع أنه من الأقلية المسلمة الهندية - حسب تصريحاتهم -.

والمراقبون يعتبرون إبعاد أهم عالمين نوويين باكستانيين عن المشروع النووي هو نتيجة ضغوطات أجنبية، على رأسها الضغوطات الأمريكية التي تمارس ضد باكستان، لتوقع اتفاقية الحظر الشامل، كخطوة أولى لتجميد برنامجها النووي كلية، على اعتبار واشنطن غمزتها غير مرة بتصريحات رسمية مسؤولة وغير رسمية بتهمة تصديرها تقنيات نووية لكوريا الشمالية، وتورط بعض علمائها النوويين المدرجين على اللوائح الأمريكية بعلاقات نووية مع العراق وكوريا، إضافة إلى الضغوطات المالية التي استخدمت كورقة صعبة ضد باكستان، والتي تمثلت في اشتراط بعض الدول كاليابان مثلاً، التي تعد أكبر مانح للمساعدات المالية لإسلام آباد، لاستمرارها في

يستطيعه من جهد لهذا البلد.

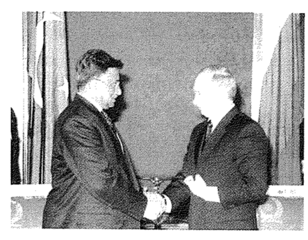
*** بعد نجاحك في البرنامج النووي الباكستاني قمت بحملات لمحو الأمية بدلاً من الخلود إلى الحياة المريحة الهادئة، لماذا؟**

السبب واضح، لأن أغلب المشكلات التي يعانيها مجتمعنا منبعها الأمية. الكره والتعصب والعنف والفقر أساسها الجهل والأمية، لذلك نحن نحاول مساعدة الفقراء والمحتاجين بالقضاء على الأمية. أيضًا أعتقد أنه يجب فتح عيادات طبية لمعالجة الناس الذين في القرى وضواحي المدن، حيث إنهم لا يجدون المال الذي يوصلهم إلى المدن، وقد قمت بفتح خمس عيادات طبية مجانية لمساعدة الفقراء والمحتاجين، كل عيادة تستقبل مابين ٨٠ مريضًا إلى ١٠٠ مريض يوميًا، وتعمل العيادات ستة أيام في الأسبوع من الساعة ٩ ظهرًا إلى ٣ظهرًا، ويقدم العلاج فيها مجانًا.

*** لماذا لم تعتزل العمل وتسترح؟ لماذا تبقى دائمًا في هذه الأعمال التي تخدم العامة؟**

بعض الناس يسعدون عندما لا يكون لديهم عمل طوال اليوم بعد تقاعدهم، لكن بعضهم ربما يصاب بالجنون عندما لا يجد عملاً، وأنا واحد من هذا النوع الأخير، لا أستطيع التقاعد، لو تركت العمل الحكومي سوف أخصص للأعمال الاجتماعية كل وقتي. الإحسان هو عمل عائلتي. والداي كانا كريمين جدًا وطيبين مع الناس وأبنائي يعملون الشيء نفسه والحمد لله، وحتى ابنة بنتي تعمل الشي نفسه، عندما يكون لديها علبتان من البسكويت فإنها تأخذ واحدة وتعطي الباقي





مساعدة باكستان ماليًا أن توقع الأخيرة على اتفاقية الحظر لأسلحة الدمار الشامل، خصوصًا أن باكستان تمر بظروف اقتصادية صعبة للغاية، بعد أن بلغت ديونها أكثر من ٣٨ مليار دولار أمريكي وتضاعفت فوائدها، وتأثر اقتصادها بشكل كبير نتيجة أعمال العنف الطائفية والدينية واستهداف المصالح الغربية التي تعرضت لها عاصمة البلد التجارية كراتشي خلال عقد ونصف عقد سالف.

المعارضة تشكك

المعارضة التي يمثلها مجلس العمل الموحد، الذي يضم ست جماعات دينية مختلفة الأطياف والمشارب، وتسيطر على حكومة إقليم الحدود الشمالية الغربية، وتشغل الأكثرية في حكومة إقليم بلوشستان المتاخم لأفغانستان، ومجلس استعادة الديمقراطية للبلد والذي تشكله أطراف المعارضة السياسية الأخرى، تؤكد أن حكومة الرئيس برويز مشرف قد خطت بالفعل خطوات التخلي عن المشروع النووي وتجميد نشاطاته، مقابل بقائها في السلطة على

الآخرين. أنا دائمًا مشغول ليس بالأعمال الخيرية فقط، ولكن متعاون مع عدة مشاريع علمية. أنا أعمل في عدد من المؤسسات الصناعية وأحاضر في عدد من الجامعات، أنشأت المعهد التقني في«مينولي» والآن نقوم بتأسيس معهد الهندسة الوراثية في كراتشي والذي أعتقد أنه سيكون الأفضل في جميع أنحاء آسيا.

***ما معاناتك مع الشهرة؟**

حسنا، أحيانًا عندما أذهب مع عائلتي لتناول الطعام في مطعم ما، يجتمع علي الناس حتى تحول أيديهم بيني وبين طبق الطعام الذي أمامي، وأحيانًا يجتمعون علي عندما أضع اللقمة الأولى في فمي فيمنعني الحديث معهم من إكمال الطعام. أسأل الله أن يعفو عني ويبعد عني الغضب من هذه التصرفات التي مصدرها حبهم لشخصي وأكثر الناس معاناة لهذه الأمور زوجتي، حيث تفقد جلستنا الكثير من خصوصياتها ولكن أخبرها أن هناك جانبًا إيجابيًا وجانبًا سلبيًا لكل شيء في هذه الحياة.

***لا بد أن تكون هناك فوائد أيضًا من كونك دكتور عبدالقدير خان؟**

أنا لا أحب الاستخدام المفرط لمزايا شخصيتي. ذات مرة، وبينما كنت أغادر صالة كبار الشخصيات بالمطار، طلب مني حارس الأمن إبراز بطاقة كبار الشخصيات، ولم أتردد في إخراج البطاقة من جيبي، لأنه يؤدي عمله المطلوب منه وبينما هو يقرأ البطاقة جاء رئيسه مسرعًا يلومه على ما فعل: «ألا تعرف من هذا؟ إنه الدكتور عبد القدير خان» أما أنا

حساب الديمقراطية، وتمهيدًا للاعتراف بإسرائيل، استجابة إلى ضغوطات قادة واشنطن الذين يتخوفون من وقوع البرنامج النووي الباكستاني في أيد وصفوها بالإسلامية المتطرفة خلال السنوات القليلة القادمة، حسب دراسة أمريكية سابقة تخرصت بذلك حسب قولهم، وهو ما دفع حكومة إسلام أباد إلى القول أن البرنامج النووي الباكستاني في أيد أمينة، ولن تطاله الأيدي غير الموثوق بها.

ورئيس الوزراء الباكستاني «مير ظفر الله جمالي» بدوره أكد أن قرار تجميد البرنامج النووي الباكستاني لا يمكن لأحد في البلد اتخاذه. أو التوقيع على تطبيقه. أو حتى مجرد التفكير فيه. باعتباره يتنافى مع مصلحة البلد الوطنية والقومية. ولا يتماشى مع إرادة الشعب الباكستاني ومستقبل أمنه

هتك السرية وكسر التابو

وربما جاءت الزيارة الميدانية التي قام بها أول مسؤول باكستاني مدني، وهو وزير المالية «شوكت عزيز» إلى المنشآت النووية الباكستانية قبل توجهه إلى واشنطن صيف هذا العام، كسابقة أولى من نوعها، في الوقت الذي لم يتسن لأي رئيس باكستاني أو رئيس وزراء مدني زيارتها طوال الفترة الماضية، كرسالة صريحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية عن خرق المحظور، وكسر التابو، وهو ما اعتبرته المعارضة، التي تصف الوزير عزيز بأنه مقرب جدًا من الولايات المتحدة الأمريكية، فيما يصفه البعض الآخر منهم بـ «هانز بليكس» باكستان، رسالة التجميد الفعلية التي خرقت أمن البلد، وهتكت سرية برنامجها النووي - التي حافظت عليها طوال الفترة الماضية - لأمريكا.

يجب نزع السلاح النووي

وبموازاة ذلك، فهناك من يطالب بوجوب التخلص من الأسلحة النووية بما فيها أسلحة باكستان غير التقليدية، باعتبارها تشكل خطرًا على المنطقة برمتها، وتمثل تهديدًا للبشرية وللبيئة، شريطة أن يتم نزع الأسلحة النووية من الهند وإسرائيل والولايات المتحدة وغيرها من الدول المالكة لهذه الأسلحة، كي لا تقع

فلم يسبب الأمر لي أي مشكلة على الإطلاق.

*** كيف تقضي وقت فراغك؟**

أقوم بعدة أمور في وقت فراغي، فأنا أحب القراءة كثيرًا، كما أحب تدوين أي شيء أتذكره أو يحدث في حياتي وأكتبه في عدة مذكرات. كذلك أقوم بتغذية السناجب التي في مكتبي أو قرود الغابة التي أمام بيتي والتي عندما أراها وأنا خارج للعمل أعود للمطبخ لأجلب لها بعض الموز.

*** هل صحيح أنك تركب سيارة مصفحة ضد الرصاص؟**

(يضحك)، أنا لا اهتم بالسيارات المصفحة، أمشي في الشارع على قدمي، وأذهب لأشتري الخضار وحاجات منزلي مشيًا على الأقدام. لا توجد لدي مخاطر أمنية، المشكلة الوحيدة هي تجمع الناس حولي بشكل كثيف عندما أخرج من منزلي سيرًا على الأقدام. والحقيقة أنه لا توجد حماية حقيقية من الموت، أعطني شخصًا واحدًا استطاع بالاحترازات الأمنية أن ينجو من الموت، كنيدي رئيس الولايات المتحدة مات، والسادات مات، وضياء الحق مات. عندما يأتي أجلك ستموت مهما كان الأمر. أنا لا أحب أن أكون مثقلاً بالحراسات الأمنية في رحلاتي العلمية أو سفرياتي الخاصة. أنا لم أذهب حتى إلى مدرسة ابنتي، أريدهم يكبرون مثلهم مثل الأطفال العاديين من عامة الناس.

*** هل تتذكر عندما حصلت باكستان على استقلالها؟ماذا تتذكر عن هجرتك من بوبال الهندية إلى باكستان؟**

دولة ضحية لتهديدات أية دولة نووية أخرى.

ففي الوقت الذي تشدد فيه الجماعة الإسلامية الباكستانية على أنه يجب على باكستان المحافظة على سلاحها النووي، باعتباره يشكل وسيلة دفاع وردع لمنع أي جهة عدوة من استخدام مثل هذه الأسلحة ضدها، تدعو إلى نزعه من باكستان فيما لو تم نزعه من العالم أجمع، بما في ذلك الهند وأمريكا وإسرائيل التي تمتلك ما بين ٢٠٠ إلى ٤٠٠ رأس نووي تهدد به العالم الإسلامي برمته حسب التصريحات التي أطلقها نائب أمير الجماعة البروفيسور «خورشيد أحمد».



وأما أحزاب المعارضة السياسية المتمثلة في حزب الشعب الباكستاني بزعامة «بي نظير بوتو» وحزب الرابطة الإسلامية الذي يتزعمه نواز شريف فتؤكد أن المنطقة يجب أن تكون منزوعة من أسلحة الدمار الشامل، وفي حال تعذر نزعها باعتبار الهند التي ترفض سيناريو نزع سلاحها النووي متمسكة بمواصلة مشروعها، ولا تقبل التوقيع على اتفاقية الحظر لأسلحة الدمار الشامل، فلم يعد أمام باكستان إلا امتلاكها للأسلحة غير التقليدية، للحفاظ على كيانها، وفرض توازن التسلح مع الهند بعد أن اختلت موازين الأسلحة التقليدية، غير أن مثل هذه الأسلحة يجب أن تخضع إلى السيطرة الكاملة، وأن يحال دون وصولها إلى أيد يمكن أن تعبث باستخدامها باعتبارها أسلحة فتاكة، ومدمرة للبشرية، إضافة إلى حظر تهديد الدول

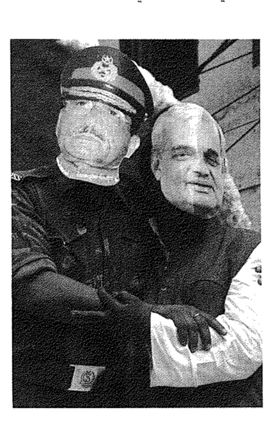
كنت في العاشرة من عمري عندما نالت باكستان استقلالها وكنت أعيش في الولاية الاسلامية الهندية «بوبال». الوضع كان تقريبًا آمنًا وهادئًا مقارنة بما كان يحدث في بقية أجزاء الهند وباكستان، لكن ما زلت أذكر القطارات التي وصلت الى المحطة وهي مليئة بجثث قتلى المسلمين، كان منظرًا مرعبًا. هاجرت من بوبال بالهند بعدها بست سنوات عندما صار الوضع أكثر أمانًا لسفر المسلمين. السلطات الهندية كانت تعامل المسلمين معاملة عنيفة جدًا. في أحد القطارات صادرت السلطات الهندية الذهب الذي مع نساء المسلمين حتى ما يوجد في أذني المرأة من حلية صادروها وكل ما يمتلكه المسلمون تم مصادرته بطريقة غير قانونية. كان معي قلم في رحلة هجرتي إلى باكستان، هذا القلم أعطانيه أخي مكافأة لنجاحي في الاختبارات لكن عندما كنت أعبر الحدود الهندية نحو باكستان أتاني أحد رجال حرس الحدود الهندية وانتزعه من جيبي، القلم لم يكن ذا قيمة مالية لكن سلوك رجل حرس الحدود الهندي آلمني بشكل لا أستطيع نسيانه أبدًا.

*** أنت عضو في عدد من الجمعيات الخيرية وأعمال الإحسان، بعض الناس يعتبره أنه مجرد دعاية لشخصك، ماذا ترى أنت؟**

أولاً، آراء المغرضين من الناس لا تعني لي شيئًا. لأن هناك أناسًا عارضوا رسول الله ﷺ وهو أفضل الخلق، فما بالك

الأخرى بها - حسب قولها -.

وأما الخبراء العسكريون المتقاعدون الذين كان لهم دور كبير في بناء المشروع النووي الباكستاني، فيعتبرون امتلاك



باكستان لهذا النوع من السلاح، يخلق توازن القوى العسكرية في المنطقة.

وإلى ذلك رئيس إدارة مصانع التسلح الحربي السابق الجنرال المتقاعد «طلعت مسعود» يرى أن باكستان أمام تحديات كبيرة تتمثل في الهند كدولة نووية، ولم يعد أمامها خيارات متعددة إلا امتلاك هذا النوع من السلاح، للحيلولة دون إقدام الهند على مغامرة مجنونة وغير محسوبة النتائج ضدها، خصوصًا أن الهند قد سبق لها أن شارفت وهددت بخوض حرب ضد باكستان طيلة السنتين الماضيتين، ربما كانت تنوي استخدام أسلحة غير تقليدية فيها.

من حام إلى محمي

وهناك من يعتقد أن المشروع النووي الباكستاني، رغم أنه قد وفر لباكستان مظلة ردع قوية ضد أية مناورة عسكرية هندية كانت مرجحة خلال الفترة الماضية، إلا أنه تحول من سلاح حافظ لأمن ووحدة البلد وحماها من جميع المهددات، إلى عبء كبير عليها، ففي الوقت الذي كانت تحتمي به، أصبحت هي من تحميه، خصوصًا بعد أن استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية العراق، رغم نفيها امتلاك أسلحة دمار شامل، في حين باكستان تعترف بنفسها أنها تمتلك الأسلحة النووية ولا تخفي ذلك.

بشخصي المتواضع؟ أنا أعتقد أنني صاحب رسالة، الله عز وجل أعطاني المال وكثيرًا من المصادر ووظيفتي الإنفاق منها في وجوه الخير. فكوني أملك المال الكثير ولا أساعد المحتاجين، يجعلني أنام ليلاً وأنا أصارع الإحساس بأني مذنب ذنبًا كبيرًا.

*** أخبرنا بشيء لا يعرفه أغلب الناس عنك؟**

لدى البعض انطباع عني بسبب صنعي للقنبلة النووية بأني شخص قاس، وهذا ليس صحيحًا.. لم أطلق الرصاص حتى ولو على طير. أنا أحب الحيوانات، وأكره أن تؤذى حتى النملة. وبإمكانك أن تسأل عائلتي، إخواني أو أي أحد ممن يعرفني من قرب. لقد صنعت الأسلحة من أجل السلام الذي يصعب تمكينه إلا بوجود قدرة نووية باكستانية لردع الاعتداء عليها. لم نواجه حربًا خلال الثلاثين سنة الأخيرة ولا أتوقع مواجهتها في المستقبل، لكن هناك ضرورة لتأسيس قوة دفاعية تجعل المعتدي يفكر كثيرًا قبل إقدامه على الاعتداء على باكستان.

*** ختامًا، ما نصيحتك للباكستانيين الذين يعملون خارج الوطن؟**

نصيحتي لهم ألا يكتفوا بالحديث عن مشكلات باكستان عندما يعودون لزيارة عائلاتهم وأقاربهم، إنما أنصحهم بأن يعملوا ما يزيد في تقدم وطنهم ويؤسسوا ولو مدرسة صغيرة أو مركزًا صحيًا في الأماكن الفقيرة لدينا لنقضي على الثالوث الخطر: الجهل والمرض والفقر.

قضية كشمير :

جميع الحلول.. مرفوضة !

أحمد بركات . باكستان*

* صحافي أردني مقيم في باكستان .

برزت قضية كشمير عام ١٩٤٧ مباشرة بعد تقسيم شبه القارة وولادة باكستان ومنذ ذلك التاريخ وهي مصدر توتر وصراع، و اندلعت ثلاث حروب على خلفيتها كلفت البلدين مئات الآلاف من الأرواح ومليارات الدولارات وما زالت تستنزف إمكانات البلدين وتهدد بحرب رابعة قد تكون غير تقليدية في ظل امتلاك البلدين لأسلحة الدمار الشامل . وبموجب قرار التقسيم فإن كشمير تتبع باكستان بحكم أن أغلبية سكانها مسلمون.

منذ بروز قضية كشمير سعت المنظمة الدولية ممثلةً في مجلس الأمن الدولي لاحتواء الموقف المتفجر بين الهند وباكستان من خلال إصدار عدة قرارات تنظم عملية انتقال جامو وكشمير إما إلى سلطة الهند أو إلى سلطة باكستان، ومن أبرز هذه القرارات:

- القرار رقم ٤٧ الذي صدر في ١٩٤٨/٤/٢١ بناءً على شكوى من حكومة الهند الذي ينص على أن مسألة انضمام جامو وكشمير إلى باكستان تحدد من خلال إجراء استفتاء عام للسكان، ونص القرار على انسحاب القوات الهندية تدريجيًا وعلى مراحل بحيث يبقى عدد محدود لحفظ الأمن بما لا يهدد باكستان، كما يقضي القرار بتشكيل إدارة من سكان الإقليم تتولى القيام بعملية الاستفتاء .

- القرار الصادر في ١٩٤٨/٨/١٣ الذي صدر بعد اندلاع الحرب بين الهند وباكستان ونص على وقف إطلاق النار فورًا وتعهد البلدين بعدم إرسال حشود عسكرية إلى الإقليم.

- القرار الصادر في ١٩٤٩/١/٥ الذي يؤكد ضرورة تطبيق القرار ٤٧ وتنفيذ وقف إطلاق النار وإنجاز الترتيبات اللازمة للاستفتاء كما يقضي بتكليف الأمين العام للأمم المتحدة تعيين مشرف على الاستفتاء بحيث يكون شخصية مرموقة دوليًا ومقبولاً لدى جميع الأطراف. ونص القرار أيضًا على جملة قضايا أخرى منها الإفراج عن جميع المسجونين وحماية حقوق الأقليات وعدم القيام بأية أعمال انتقامية. وبالرغم من وضوح قرارات الأمم المتحدة فإنها لم تدخل حيز التنفيذ لثلاثة أسباب:

أولها: عدم وجود آليات تنفيذية لدى المنظمة الدولية وعدم ممارسة ضغط كاف على الهند.

ثانيًا: مماطلة الهند وتفسيراتها المتباينة لماهية القرارات.

ثالثًا: ضعف الباكستان ذلك الوليد الجديد الذي خاض ثلاث حروب رغم ضعف قواته واقتصاده بل حتى بنية مؤسساته السياسية والإدارية والفنية.

الخيارات المطروحة

أكثر ما يعقد الصراع الهندي الباكستاني حول كشمير هو التباين الكبير في وجهات نظر البلدين حول هذا الصراع، ففي الوقت الذي تعتبر باكستان قضية كشمير قضية متنازعًا عليها وأنها امتداد لقرار التقسيم الذي أسيء تفسيره وتصر على منح الشعب الكشميري حق تقرير مصيره وتدعو لتطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي بهذا الشأن، ترى الهند أنها قضية داخلية وأن جامو وكشمير جزء لا يتجزء من الهند، بل تعتبر الشطر الباكستاني من كشمير ترابًا هنديًا محتلاً.

وعلى مدى العقود الخمسة الماضية طرحت عدة خيارات، إضافة إلى قرارات الأمم المتحده للبحث في سبل إيجاد حل للصراع الهندي الباكستاني حول كشمير منها:

أولاً: خيار الاستفتاء: في عامي ١٩٤٨و

١٩٤٩ أصدر مجلس الأمن الدولي قرارين يقضيان بإجراء استفتاء لحل أزمة كشمير بناء على مطالبة الهند، حيث تقدمت بشكوى ضد باكستان في الأول من يناير ١٩٤٨، لكن ما لبث أن احتدم النزاع حول مفهوم الاستفتاء وقضايا جعل إقليمي جامو وكشمير منزوعي السلاح وهو ما عطل عملية الاستفتاء.

وجاءت المطالبة الهندية لمنع وجود المسلحين فيما يعرف بكشمير الحرة والمطالبة بجعلها تابعة إداريًا لكشمير الهندية لتزيد الموقف الباكستاني تصلبًا، حيث اشترطت إسلام أباد نزع السلاح والانسحاب المتبادل للقوات المسلحة من شطري كشمير .

ثانيًا: وضع الإقليم تحت وصاية الأمم المتحدة: ويقضي هذا المقترح بوضع كشمير كاملة تحت وصاية الأمم المتحدة لحين إجراء استفتاء واستصدار قرار نهائي بشأن الصراع، وكان الهدف من هذا المقترح هو إعطاء الكشميريين على جانبي خط الهدنة فرصة لتقرير مصيرهم. وبموجب هذا المقترح أصرت بعض الأحزاب الكشميرية على تحديد مدة الوصاية بعشر سنوات يتم خلالها انسحاب القوات الهندية والباكستانية من شطري كشمير وتشكيل إدارة مدنية كشميرية لإدارة شؤون الإقليم، وفي النهاية إجراء استفتاء لتقرير ما إذا كان سكان الإقليم يرغبون في الانضمام إلى باكستان أو الهند أو الاستقلال.

ثالثًا: خيار التقسيم: تبنى هذا الخيار مندوب الأمم المتحده أوين دكسون عام ١٩٥٠ ويقضي بتقسيم كشمير إلى أربع مناطق رئيسة وهي جامو ولداخ و وادي كشمير الذي يضم مظفر آباد إضافة إلى جلجت.

وطبقًا لذلك تكون جامو ولداخ من نصيب الهند والمناطق الشمالية من نصيب باكستان، لكن باكستان تحفظت على الخطة، في حين رفضتها الهند معتبرة أن جامو وكشمير جزءًا من الفيدرالية الهندية.

رابعًا: خيار الاستقلال: وهذا الخيار يعرف سياسيًا بالخيار الثالث ويقضي بعودة الإقليم إلى حالة ما قبل تقسيم شبه القارة الهندية بحيث يبقى حكومة مستقلة.

خامسًا: ومع التطورات التى أعقبت الحادي عشر من سبتمبر واحتلال أفغانستان وغزو العراق بدأ الحديث عن خيار الإبقاء على الوضع القائم مع جعل الحدود مع تحويل خط التماس إلى حدود دولية بين الهند وباكستان، لكن هذا الخيار يواجهه معارضة غالبية الفصائل والشعب الكشميري كونه يقسم العائلات الكشميرية على جانبي الحدود ويكرس تقسيم الإقليم.

ثوابت الموقف الهندي

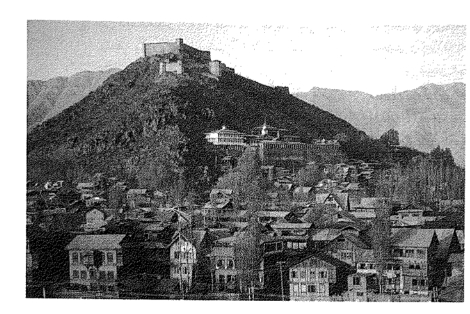
عبر تاريخ الصراع الهندي الباكستاني حول كشمير بنت الحكومة الهندية سياستها إزاء الصراع على ثلاثة أسس اعتبرتها ثوابت وهي:

أولاً: جامو وكشمير جزء لا يتجزأ من الهند باعتبار أن الملك الهندوسي هري سنغ قام بضمها عام ١٩٤٧، وصادق على ذلك البرلمان المحلي للولاية. وتعتبر الهند أن هذا الضم يعتبر قانونيًا وأن أي مطالبة خارجية باستقلال كشمير أو إجراء استفتاء فيها يعد تدخلاً في الشؤون الداخلية للهند. لكن سكان كشمير ومن ورائهم باكستان يرفضون هذا الأمرمن منطلق أن أكثر من ٨٥٪ من سكان الإقليم مسلمون، وبالتالي وفقًا لمعايير تقسيم شبه القارة فإن كشمير تلحق بباكستان. وترى باكستان والأحزاب الكشميرية أن وثيقة ضم الإقليم التي تحمل اسم هري سنغ مزورة وتعتبر الأحزاب الكشميرية ضم كشمير للهند نوعًا من الضم القسري والاحتلال، وتبرر بذلك عملية حمل السلاح لأجل تحرير كشمير، كما تعتمد على قرارات مجلس

لعل قضية كشمير كانت إحدى القضايا التي خسرت كثيرًا من تداعيات الحادي عشر من سبتمبر . حيث اختلط مفهوم الحركات التحررية مع مفهوم الإرهاب ومورست الضغوط الهائلة على باكستان من قبل الولايات المتحدة ومن لف لفيفها لحظر العديد من الحركات المسلحة الكشميرية

الأمن المطالبة بإجراء استفتاء لسكان جامو وكشمير.

ثانيًا: ترى الهند أن قرارات مجلس الأمن الدولي بشأن كشمير لم تعد قائمة بعد إبرام اتفاقية سملا عام ١٩٧٢، تلك الاتفاقية التي وقعها عن الجانب الهندي أنديرا غاندي وعن الجانب الباكستاني ذو الفقار علي بوتو. ويقوم التفسير الهندي على أساس أن الاتفاقية تمنع باكستان من المطالبة بتقرير المصير للشعب الكشميري أو رفع القضية إلى الأمم المتحدة مجددًا، لكن باكستان تستند إلى أحد بنود ميثاق الأمم المتحدة الذي ينص على أن أي اتفاقية تخالف قرارات مجلس الأمن تعتبر لاغية، وبالتالي فإن قرارات مجلس الأمن تبقى قائمة وسارية المفعول في ظل اتفاقية سملا، كما ترفض إسلام آباد المزاعم الهندية بأنها التزمت بنفض يدها من مسألة المطالبة بحقوق الشعب الكشميري.



ثالثًا: ترى الهند أن باكستان غير مخولة ببحث مسألة كشمير لأنها قضية داخلية تخصها وحدها، كما ترى أن الشعب الكشميري يعارض حمل السلاح لكنه مدفوع لذلك من باكستان، وترى أن حركات المقاومة الكشميرية حركات مستوردة وتتهم المجاهدين الكشميريين بانتهاك حقوق الإنسان، إضافة إلى تحذيراتها المتكررة من أن نجاح الجماعات المسلحة الكشميرية سيقوي الحركات الأصولية الإسلامية، وهو ما سينعكس تلقائيًا على سكان الهند من المسلمين الذين يعدون أكبر أقلية ويبلغ تعدادها أكثر من ١٥٠ مليون نسمة.

موقف الكشميريين

سكان كشمير ينظرون بعين الشك إلى كل ما جرى و يجري ويعتبرون أن أول خطوة لعزلهم هي تهميش دورهم وحصر الحل في الهند وباكستان وبالتالي فرض سياسة الأمر الواقع. هذه المخاوف دفعت رئيس وزراء الشطر الباكستاني من كشمير سردار محمد أنور خان إلى لقاء رئيس وزراء باكستان والإلحاح عليه بالسماح له للالتقاء بالبرلمان وطرح مسألة الحوار مع الهند والحلول المقترحة على النواب والحصول على ثقتهم، لكن الاخيرلم يعط ردًا قاطعًا وهو ما فتح باب التكهنات رغم تمسك باكستان بموقفها الذي يعتبر قضية كشمير محور الصراع مع الهند ومن ثوابت السياسة الخارجية الباكستانية.

تداعيات ١١ سبتمبر

ولعل قضية كشمير كانت إحدى القضايا التي خسرت كثيرًا من تداعيات الحادي عشر من سبتمبر، حيث اختلط مفهوم الحركات التحررية مع مفهوم الإرهاب ومورست الضغوط الهائلة على باكستان من قبل الولايات المتحدة ومن لف لفيفها لحظر العديد من الحركات المسلحة الكشميرية التي كانت إسلام آباد ترفض أية مساومة عليها. وعملت الآلة الدعائية الهندية إلى جانب الآلة العسكرية لإقناع المجتمع الدولي بأن ما تقوم به المنظمات الكشميرية نوع من الإرهاب، ولم يكن بوسع الرئيس الباكستاني الجنرال برويز مشرف إلا الإذعان لمعطيات الواقع والإعلان عن حظر نشاط خمس جماعات مسلحة وإغلاق مكاتبها ومعسكرات التدريب.

لكن رغم كل هذه الإجراءات فإن الهند والولايات المتحدة ما زالتا تنظران بعين الريبة والشك إلى الإجراءات الباكستانية، وتطالبان بمزيد من الإجراءات لوقف ما تصفانه بالإرهاب العابر للحدود وجاءت حادثة الاعتداء على البرلمان الهندي في الخامس والعشرين

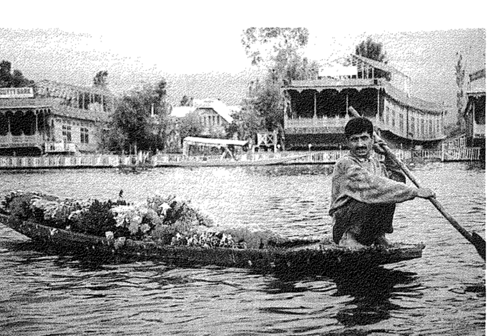
من ديسمبر ٢٠٠١ لتصب الزيت على النار وتدفع بنيودلهي لحشد ٧٥٠ ألف جندي على طول حدودها مع باكستان في أكبر حشد عسكري بين البلدين منذ تقسيم شبه القارة الهندية، وجاءت الوفود تترى لمنع انزلاق العملاقين النوويين في حرب قد لاتقف عند استخدام الأسلحة التقليدية ولاسيما أن إسلام آباد التي تشعر بالفارق في ميزان الأسلحة التقليدية قد لوحت بأنها لن تساوم على وجودها وأنها ستحافظ على نفسها بكل الوسائل وهو ما يعني تلقائيًا استعدادها لإخراج المارد النووي من قمقمه.

وبموجب مقتضيات الحاجة لدعم إسلام آباد لجهود الولايات المتحدة للحرب على ما يوصف بالإرهاب مارست الولايات المتحدة أقصى جهود الضغط على نيودلهي لإيجاد مخرج يمنع اندلاع الحرب ويتيح للجيش الباكستاني التفرغ لملاحقة عناصر القاعدة في الشريط الحدودي جنوب وشمال غرب باكستان.

انفراج سياسي

وتحقق لواشنطن ما أرادت لكن التوتر وسوء النوايا وأزمة انعدام الثقة بقيت المسيطرة على أجواء العلاقات بين الهند وباكستان حتى جاءت زيارة رئيس وزراء الهند أتال بهاري فاجباي إلى سرينغر عاصمة الشطر الهندي من كشمير و إعلانه عن رغبة الهند في بدء عملية سلام مع باكستان تحقق اختراقًا سياسيًا ما لبث أن تحول إلى رحلات مكوكية بين عاصمتي البلدين من قبل وفود برلمانية وشعبية وشبه رسمية بهدف تعزيز بناء إجراءات الثقه تمهيدًا لبدء حوار بين البلدين. و أعيدت العلاقات الدبلوماسية التي قطعت في ديسمبر٢٠٠١ واستأنفت رحلات الحافلات، وتجري محادثات لاستئناف رحلات الطيران والقطارات بين البلدين، إضافة إلى الإعلان الرسمي عن موعد عقد قمة التعاون الاقتصادي لجنوب آسيا (سارك) في إسلام آباد في يناير المقبل وموافقة هندية مبدئية على حضور القمة.

لكن ينبغي عدم الإفراط في التفاؤل، حيث ما زالت سماء البلدين ملبدة بالغيوم في ظل تنامي أعمال العنف والأعمال الإرهابية في العديد من المدن الباكستانية والهندية واتهام كل طرف للآخر للوقوف خلفها والتي كان أبرزها حادثة الاعتداء على مسجد الشيعة في كويتا الذي أسفر عن مقتل ما يزيد عن ٦٠ شخصًا وحوادث التفجيرات التي شهدتها مدينة بومباي التي أسفرت عن مقتل العشرات، إضافة إلى مسلسل العنف الدامي الذي يشهده الشطر الكشميري الخاضع للسيطرة الهندية، حيث لا يكاد يمر يوم دون وقوع ضحايا مدنيين أوعسكريين جراء إلقاء القنابل أو انفجار الألغام أو الاشتباكات المسلحة التي تلقي الهند بمسؤوليتها باستمرار على عاتق جماعات مسلحة كشميرية مدعومة من إسلام آباد التي تنفي هذه التهم بدورها.



هدف الدعوة الهندية

رغم أجواء التفاؤل فإن مرور أكثر من خمسة أشهر على إطلاق الدعوة الهندية دون مواكبتها لوقائع عملية على الأرض حدا بغالبية الفصائل الكشميرية والحكومة الباكستانية إلى الاعتقاد أن الهدف الهندي من إطلاق هذه

الدعوة هو تضليل الرأي العام العالمي بإظهار استعداد الهند للسلام من جهة وزيادة المطالبة لإيقاف ما تصفه بالإرهاب العابر للحدود كشرط للمفاوضات، ولاسيما أن دعوة أتال بهاري فاجباي تبعتها سلسلة إجراءات وتصريحات متشددة متمثلة في التأكيد من قبل العديد من القادة الهنود على أن كشمير جزء لا يتجزء من الهند وأنها قضية داخلية وعدم الاعتراف بها كقضية متنازع عليها، بل إن نائب رئيس الوزراء الهندي أدفاني ووزير الخارجية الهندي يشونت سنها فسرا الهدف من الحوار حول كشمير على أنه محاولة استرجاع الجزء الذي اقتطعته باكستان، إضافة إلى استمرار أعمال العنف والقمع في كشمير الخاضعة للسيطرة الهندية.

مما تقدم يمكن القول إن مستقبل المفاوضات الهندية الباكستانية ما زال ضبابيًا وأن تهافت إسلام آباد لم تقابله نيودلهي بإجراءات تكفل بدء الحوار بين البلدين. ويرى المراقبون أن فاجباي قصد تحقيق عدة أهداف من دعوته إلى السلام منها:

- إظهار الهند كدولة محبة للسلام ونفي الشبهة بأن الهند متصلبة في مواقفها وترفض دعوات السلام التي أطلقها الزعماء الباكستانيون مرارًا وتكرارًا.

- تفويت الفرصة على أية مكاسب قد تجنيها باكستان على الصعيد الدولي جراء تأييدها للحملة ضد الإرهاب.

- تحويل أنظار المجتمع الدولي من المطالبة بحل القضية الكشميرية بموجب قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة إلى المطالبة بحلها بشكل ثنائي مرحليًا وضمن إطار الهند والفصائل الكشميرية في وقت لاحق مع إغفال دور باكستان.

- كسب الوقت لإجراء تجارب صاروخية والحصول على أسلحة أمريكية وإسرائيلية متطورة دون ضجيج عالمي.

- التدخل الأمريكي في شؤون العالم لم يعد شعارات أو خططًا على ورق بل بات واقعًا وكابوسًا ينبغي على الجميع ألا يجعل الظروف تقود إليه، وفي حالة الهند وباكستان لا بد من تسوية أزمة كشمير لقطع الطريق على الوجود الأجنبي في المنطقة.

- أعمال العنف في الشطر الهندي من كشمير والحركات المسلحة باتت واقعًا مؤلمًا لنيودلهي ومصدر استنزاف اقتصادي وبشري حقيقي يتحتم وضع حد له

وبموجب مقتضيات الحاجة لدعم إسلام آباد لجهود الولايات المتحدة للحرب على ما يوصف بالإرهاب مارست الولايات المتحدة أقصى جهود الضغط على نيودلهي لإيجاد مخرج يمنع اندلاع الحرب ويتيح للجيش الباكستاني التفرغ لملاحقة عناصر القاعدة في الشريط الحدودي جنوب وشمال غرب باكستان

لا يمكن تحقيقه إلا بالسلام في ظل فشل سياسة القمع التي أدت إلى مصرع ما يزيد عن ٣٥ ألف شخص منذ عام ١٩٨٨. ولم يكن من قبيل الصدفة أن يأتي إعلان فاجباي عن الانفتاح على باكستان من عاصمة الشطر الهندي من كشمير «سرينغر». ولعل الهند ترمي بالدرجة الأولى من مبادرتها لتطويق الحركات المسلحة الكشميرية وإنهاء وجودها بعزلها عن منبعها الأصلي باكستان وحفر هوة بينها وبين امتدادها الشعبي يؤدي إلى ذوبانها.

- العامل الاقتصادي في ضوء أن ٢٨٪ من ميزانية الهند و ١٣٪ من ميزانية باكستان مخصصة لشؤون الدفاع بينما حظ قطاعي الصحة والتعليم في كلا البلدين لا يتجاوز ٢٪.

- إقناع المجتمع الدولي بممارسة المزيد من الضغط على باكستان لمنع التسلل عبر خط الهدنة، خصوصًا في الصيف، حيث يستغل في نقل الأسلحة والعتاد استعدادًا لعمليات الشتاء.

- إقناع العالم بأن الهند جادة في حل القضايا العالقة مع باكستان رغم دعم الأخيرة لما تصفه الهند بالإرهاب في كشمير.

- منع باكستان التي أصبحت عضواً غير دائم في المجلس من إثارة قضية كشمير في المجلس.

احتمالات المستقبل

هل هناك مجال للسلام في جنوب آسيا؟ سؤال طرح على مؤسس باكستان محمد علي جناح في ١١ مارس ١٩٤٨ فأجاب: نعم شريطة أن تنهي الهند عقدة التفوق والنظر لباكستان على أنها دولة صغيرة وأن تعترف بالوقائع على الأرض. لكن في ظل معطيات الواقع فإنه بعد مرور٥٦ عامًا على ولادة باكستان واستقلال الهند لا يبدو أن الأخيرة مستعدة لتقبل حقيقة باكستان وما أفرزه الواقع من معطيات وهي مستمرة في بناء قدراتها العسكرية والنووية والصاروخية استعدادًا لتبوؤ مرتبة إقليمية ودولية كبيرة وتسعى للحصول على العضوية الدائمة في مجلس الأمن الدولي. وفي ظل تمسك باكستان بموقفها من اعتبار كشمير قضية محورية وأن أي تنازل عنها يشكل انتحارًا سياسيًا لأي حاكم أو مؤسسة سواء كانت مدنية أو عسكرية، وفي المقابل بتمسك الهند الذي يعتبر كشمير جزءًا لا يتجزء منها فإن البون شاسع والمستقبل ضبابي، وإذا ما أضفنا إلى ذلك استمرار موجة العنف والأعمال الإرهابية في كلا البلدين والاتهامات المباشرة وغير المباشرة من كل طرف للآخر دون انتظار أو إجراء تحقيقات أو تحريات فيمكن القول أن طريق السلام مليء بالأشواك، وأن أية حادثة رئيسة كحادثة الاعتداء على البرلمان الهندي في ديسمبر ٢٠٠١ من شأنها تفجير الأوضاع من جديد. ورغم الغزل السياسي فإن التقارير تحدثت مؤخرًا عن حشود وتحركات للجيش الهندي في منطقتي كارجيل وداراس مما حدا ببعض الخبراء العسكريين للتوقع بأن الهند ربما تعد لمغامرة عسكرية مع حلول فصل الشتاء ثأرًا لكرامتها التي ديست على يد الجيش الباكستاني في شتاء ١٩٩٩، ووصف وزير الإعلام الباكستاني شيخ رشيد أحمد التحركات الهندية بأنها مضرة بعملية السلام، وتوعد برد باكستاني قوي على أية مغامرة عسكرية.

وفي ظل هذه الأجواء المشحونة التي يمكن تفجيرها مع أي قنبلة أو لغم على جانبي الحدود يبقى السلام في شبه القارة مطلبًا عزيز المنال

مستقبل المفاوضات الهندية الباكستانية

إعلان رئيس وزراء الهند أتال بهاري فاجباي في نيسان إبريل الماضي استعداد الهند للتفاوض مع باكستان حول كل القضايا بما في ذلك قضية كشمير فاجأ المجتمع الدولي ولقي ترحيبًا واسعًا في باكستان وكشمير والعالم أجمع، واعتبره بعضهم تحولاً جذريًا في الموقف الهندي التقليدي على مدى العقود الخمسة الماضية الرافض لفكرة الحوار حول كشمير.

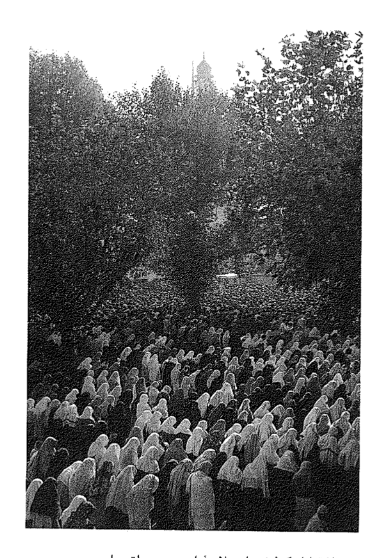
إسلام آباد التي دعا قادتها مرارًا وتكرارًا الهند إلى الحوار حول جميع القضايا في أي مكان وزمان وعلى أي مستوي تلقفت الدعوى الهندية وقامت بالعديد من الخطوات لخلق الجو المناسب لاستئناف الحوار المتوقف بينها وبين الهند منذ عام ١٩٩٩، وأكد الرئيس الباكستاني في أكثر من موقف وكذلك رئيس وزرائه مير ظفر الله خان جمالي على التزام باكستان بحل سلمي لقضية كشمير وفقًا للقرارات الدولية وتطلعات الشعب الكشميري.

كل ذلك أنعش آمال السلام وجعل سكان خمس المعمورة يتطلعون إلى سلام في جنوب آسيا ينهي عقودًا طويلة من النزاع وسباق التسلح الذي انعكس سلبًا على حياتهم المعيشية، حيث يعيش غالبيتهم تحت خط الفقر المدقع فيما يرى المراقبون أن البادرة الهندية ما زالت أسيرة الواقع المتوتر.

إسلام آباد قامت بسلسلة إجراءات بهدف المساعدة على بناء جسور الثقة من بينها إطلاق سراح عشرات المعتقلين والمئات من صيادي الأسماك وإعادة سفيرها إلى نيودلهي وزيارة وفدين برلمانيين باكستانيين للهند، قابلتها نيودلهي بالسماح لوفود برلمانية وشعبية بزيارة إسلام آباد، إضافة إلى إعادة سفيرها أيضًا واستئناف رحلات الحافلات.

الوجود الهندي في أفغانستان

ومما يزيد من عمق الأزمة بين الهند وباكستان ويطيل من عمر الصراع دخول الهند بقوة على الخط الأفغاني من خلال فتح عدد من القنصليات في المدن



الأفغانية الحدودية مع باكستان، إضافة إلى تنامي النفوذ العسكري والتجاري بل والاجتماعي في هذا البلد الذي تعتبره إسلام آباد عمقًا استراتيجيًا لها. وتزامن ذلك مع زيادة الحملة الدعائية التي يشنها التحالف الشمالي الأفغاني ضد باكستان والتوتر الحدودي بين البلدين وزيادة أعمال العنف في المدن الحدودية الباكستانية، بالإضافة إلى مهاجمة السفارة الباكستانية في كابل من قبل جموع أفغانية غاضبة، وهو ما يدفع إسلام آباد للاعتقاد بأن الهند تمد يد المصافحة لها من الشرق وتلطمها على وجهها من الغرب الأفغاني.

خارطة الطريق الأمريكية

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن خارطة طريق لحل الخلاف الهندي الباكستاني حول كشمير وإيجاد سلام دائم في المنطقة، وبات بعضهم يتحدث عن أن المحادثات ستبدأ في غضون أشهر قليلة، وأنها ستكون حاسمة ولا مجال فيها للفشل لأن ذلك يعني فتح الجحيم على المنطقة. وأظهرت الخارطة، كما صورها موقع الـ إف.بي.أي على الإنترنت كشمير مقسمة والخط الفاصل حدود دولية، كما صرح وزير الإعلام الباكستاني شيخ رشيد أحمد في أكثر من مناسبة أن الحل سيكون في غضون عامين ونصف. الدبلوماسي الباكستاني المعروف بأبي دبلوماسية المسار الثاني نياز أحمد نايك يؤكد أن أمريكا رغم النفي الرسمي قد أعدت خارطة طريق لحل قضية كشمير لكنها لا تود الإعلان الرسمي عنها قبل إطلاقها بالونات اختبار تحدد الاتجاه الصحيح وهو ما دأبت عليه وسائل الإعلام الأمريكية مؤخرًا والذي يبدو حتى الآن حسب رأيه أن أمريكا تريد جعل خط الهدنة بين الهند وباكستان حدودًا دولية، الأمر الذي تتحفظ عليه الهند وباكستان وتريان أنه محاولة أمريكية لإطالة أمد الأزمة بينهما.

تهم وتهم مضادة

ومما يفاقم الأمور بين الهند وباكستان استمرار مطالبة الأولى بتسليمها ١٩ شخصًا تتهمهم بالإرهاب، الأمر الذي تتمسك باكستان برفضه ما لم تقدم الهند أدلة تثبت تورط هؤلاء و تعتبر مسأله تسليمهم مسألة سيادة. هذه المطالبة كررها أدفاني بعد حوادث التفجيرات التي طالت معالم أثرية في بومبي وهو ما يبرهن على أن صقور نيودلهي ما زالوا على مواقفهم.

في المقابل كشفت إسلام آباد من حملتها الإعلامية التي تبرز أنها تمتلك أدلة عملية على تورط المخابرات الهندية (الراو) في أعمال إرهابية في باكستان ووصل الأمر بالمتحدث باسم وزارة الخارجية مسعود خان إلى أن يطالب الهند بإغلاق ٥٥ معسكرًا لتدريب الإرهابيين لشن عمليات إرهابية ضد باكستان. وفي ظل هذه الأجواء المشحونة التي يمكن تفجيرها مع أي قنبلة أو لغم على جانبي الحدود يبقى السلام في شبه القارة مطلبًا عزيز المنال، وعلى ما يبدو أن باكستان التي تتحدث عن معسكرات إرهابية هندية لأول مرة في تاريخها تعتزم تصعيد المسألة وهي في بداية حملة تنقل المواجهة إلى أوروبا وأروقة البيت الأبيض، لمواجهة الحملات الهندية التي ما برحت تتهم باكستان بالإرهاب، وستسعى باكستان لإقناع أوروبا والولايات المتحدة أنها مستهدفة من الإرهابيين الهنود، وأن الحل يكمن في اتخاذ خطوات عملية لوقف نزف الدم في كلا البلدين. ■

الأدب الباكستاني

الأمة تنهض بـ«ضرب كليم»

حبيب الرحمن عاصم . اسلام اباد*

* أستاذ مساعد في الجامعة الإسلامية العالمية باسلام أباد .

لم تظهر دولة باكستان على خريطة العالم نتيجة الخلافات العرقية أو النزاعات القبلية واللسانية، ولكنها أسست على أسس فكرية دينية، فمنذ الغزو البريطاني للهند بدأ المسلمون يفكرون في طرد المستعمرين من هذه البلاد وإعادة الحكم إلى المسلمين الذين حكموا بلاد الهند قرونًا، بدأت حركات المقاومة في أنحاء البلاد ولكنَّها فشلت لأن الهندوس وبعض الخونة من المسلمين ساعدوا الإنجليز على الغزو وتثبيت قواعد الحكومة الإنجليزية.

وذكرهم العلامة محمد إقبال الفيلسوف الإسلامي والمؤسس الفكري لباكستان، وفضح مؤامراتهم وكتب فيهم شعرًا أذاع بين الناس مثلما تذيع الأمثال:

جعفر أز بنكال صادق أز دكن
ننك دنيا ننك دين ننك وطن

المعنى: جعفر من بنكال وصادق من دكن (مدينة في الهند) عار على الدنيا وعار على الدين وعار على الوطن.

وعندما تم الاستيلاء على البلاد وضعفت حركات المقاومة أصبحت حالة المسلمين مثل الأغنام التي ترعاها الذئاب، لقد وجد المسلمون أنفسهم مثل الرقيق الذين لا حق لهم في الحياة، ولا نصيب لهم من الكرامة والشرف، ولكن الأيام داولها الله فأصبح الهندوس يكرهون الإنجليز المستعمرين مثلما يكرههم المسلمون، فبدأت حركة المقاومة الموحدة بشدة واشترك فيها المسلمون والهندوس والسيخ (فئة دينية في الهند مشهورة بشجاعتها وقدرتها على القتال)، وحدثت لبريطانيا العظمى بعض المشاكل بعد الحرب العالمية الثانية فبدأت القوات البريطانية تتراجع شيئًا فشيئًا، وقبل أن تسلم إنجلترا مفاتيح البلاد إلى أهلها كانت هوة الخلاف بين المسلمين والهندوس تعمق شيئًا فشيئًا، وعلم المسلمون أن الهندوس يحاولون بمكرهم القديم إقامة حكومة هندوسية خالصة حتى لا تقوم للمسلمين حكومة في أية بقعة من شبه القارة الهندية، وأول من شعر بهذه المكيدة مفكر الإسلام العلامة محمد إقبال (رحمه الله) فقال في مؤتمر حزب الرابطة الإسلامية عام ١٩٣٠م: ليست الوحدات في المجتمع الهندي وحدات إقليمية كما هو الحال في الدول الأوروبية، فالهند قارة تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أجناس مختلفة، وتصرفات كل هؤلاء الناس لا يحكمها وعي بجنس مشترك، وليس في الاستطاعة تطبيق مبدأ الديمقراطية الأوروبية في الوقت الذى يعترف فيه بوجود جماعات طائفية، وعلى هذا فإن مطالبة المسلمين تأسيس هند مسلمة داخل شبه القارة الهندية مطلب له ما يبرره تمامًا، لأن تكوين دولة إسلامية قوية في شمال غرب الهند يبدو لي أنه المصير الأخير للمسلمين .

واقتنع مؤسس باكستان القائد الأعظم محمد علي جناح الفكرة نفسها أخيرًا وأصبح مؤمنا بأن الأمل الوحيد للمسلمين يكمن في تنظيم أنفسهم تحت راية واحدة، وأدت الأعمال الوحشية التي ارتكبها الهندوس ضد المسلمين إلى إيمانه بأنه لم يعد ثمة أمل للمسلمين للعيش في سلام مع الهند، فقال عام ١٩٤٠م بلاهور: إن المسلمين يشكلون أمة منفصلة ويجب أن تكون لهم


العلامة محمد إقبال

أراضيهم ودولتهم الخاصة بهم، إننا نريد أن نعيش بسلام وانسجام مع جيراننا كشعب مستقل.

وعلى هدى من هذا الفكر أسست دولة باكستان، ومن التوافقات الطيبة أو الحكمة الإلهية أن أول من فكر في بناء دولة مستقلة للمسلمين في الهند هو شاعر وأديب وفيلسوف ومفكر هو العلامة محمد إقبال الذي ذاع صيته في العالم الإسلامي، وتمكن من تغيير مسار الأدب لدى مسلمي شبه القارة بل لدى الهنود عامة، لقد أبدع محمد إقبال عشرة دواوين أربعة منها باللغة الأردية، والستة الباقية باللغة الفارسية، وفاق جميع الشعراء بأدبه الذي أصبح محبوبًا عند الجميع لأنه امتاز بروعة الأسلوب وندرة الخيال وعمق الفكر، وقدم للناس أدبًا موجهًا مرشدًا، ممتعًا. إن إقبال أعطى الأدباء والكتاب رؤية جديدة للأدب والشعر والقصة والرواية والمسرحية والرسم والبناء، وغيرها من أنواع الفنون ليست لضياع الوقت والعبث والهزل.

يرى العلامة محمد إقبال أن الهدف الحقيقي لكل فن هو جعل الحياة البشرية جميلة خصبة، يقول: يا أهل النظر: من المفيد أن يكون لديكم نظر سليم لكنكم لم تروا حقيقة الأشياء، فأين هو النظر؟ إن المقصود من الفن هو تحقيق حرقة الحياة الأبدية إنه يُبقي النفس يجعله كالشرر، إن الأمم لا تستطيع أن تنهض دون معجزة ولا يحقق الفن غايته دون عصا موسى.

وسمى العلامة أحد دواوينه باسم «ضرب كليم» وهكذا يرى إقبال الفن، يقول أيضًا في الفن والشعر:

يجب على النغمة أن تتربى على جنون الحب،
يجب أن تكون كالنار حلت في دم القلب.

إن النغمة التي لا يكون لها معنى تبقى ميتة بلا حياة، وحرارتها إنما تنبعث من الجذوة المشتعلة تحت الرماد.

هذا الفنان الذى سما بالفطرة كشف لأعيننا سره لقد صنع عالمًا جديدًا وأعطى حياة جديدة لقلبنا، والفنان عند إقبال يصنع عالمًا جميلاً آخر ألف عناصره من عالم الفطرة، يقول العلامة وهو يخاطب ربه سبحانه وتعالى، وفي خطابه حب من نوع لا يدركه إلا من له قلب محب، يعرف أسرار الحب - حب فيه جرأة وصراحة ولكنه لا يتجاوز حدود الاحترام:

يقول العلامة محمد إقبال:

أنت خلقت الليل وأنا صنعت المصباح
أنت خلقت الصلصال وأنا صنعت الكوب
أنت خلقت الصحارى والجبال والغابات
وأناصنعت البساتين والحدائق والأيك
أنا الذى صنعت المرآة من الحجر
أنا الذى حولت السم إلى شراب نافع

وبهذه الطريقة مهد العلامة طريقًا للأدب والفن الموجه، وسار في طريقه عدد من الأدباء والشعراء وقويت حركة الأدب الإسلامي أو الأدب الهادف. وفي مقابل هذه الحركة الأدبية قامت حركتان أدبيتان أخريان، إحداهما تنتمي إلى الفكر الشيوعي والثانية

إلى الفكر العلماني، وتأثرت هاتان الحركتان الأدبيتان مثلما تأثر الأدب العربي بالأدب المترجم عن اللغات الروسية والإنجليزية والفرنسية. ولا شك أن باكستان كانت مستعمرة لإنجلترا، ولكنها لم تكن بعيدة عن بلدين اشتراكيين عظيمين هما: الصين وروسيا، جغرافيًا وشعبًا، أما حكوماتها فما زالت تميل إلى الغرب.

لقد درس عدد كبير من المثقفين الباكستانيين في البلاد العربية وفتحت أبواب الجامعات ومراكز التعليم والثقافة للأجانب الذين جاؤوا بفنهم وأدبهم وثقافتهم، وقلدهم الكتاب الباكستانيون، بعضهم حصلوا على جوائز أدبية من الخارج مثل فيض أحمد فيض الشاعر البارز الذي حصل على جائزة لينين. لقد استمر هذا النزاع الفكري الأدبي أو الأدبي الفكري إلى عهد قريب ولكنه احتجب أو اختفى بعد ضعف القوة السوفيتية وغلبة القوة الأمريكية الغربية. ومنذ تأسيس باكستان تقدم الأدب الباكستاني في جميع الجوانب، وقدم الأدباء الباكستانيون ثروة قيمة للعالم، في جميع أنواع الأدب والفن.

الشعر

نجد في الأدب الباكستاني جميع فنون الشعر المعروفة في عالم الأدب، فإن فيه ألوان الأدب العربي، والفارسي، والهندي، وقد أخذ الأدباء الباكستانيون القصيدة من الأدب العربي ولكنهم لم يقلدوها تقليدًا تامًا بل قاموا بتصرفات واضحة، فالقصيدة العربية تحمل معاني وموضوعات عديدة منها: المدح والهجاء والرثاء والغزل والدعاء والنصائح والحكمة، ولكن القصيدة في الأردية تعني شعر المدح ولا يقصدون بشعر المدح مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، بل مدح الملوك والأمراء وكبار القوم، أما مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، فيطلق عليه اسم نعت النبي، صلى الله عليه وسلم، أما الرثاء فإنه صنف خاص في الأدب الأردي يطلق عليه اسم «المرثية»، ومعظم المراثي التي كتبت في الأدب الباكستاني كانت في عزاء سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، ولها لغتها وأسلوبها الخاص، وقد تطور فن الرثاء بسبب المنافسة بين الفرق المذهبية من أهل السنة والشيعة.

أما الغزل في الأدب الأردي فإنه يختلف تمامًا عن الغزل في الأدب العربي، فالغزل الأردي لا يتناول

■ أبدع محمد إقبال عشرة دواوين أربعة منها باللغة الأردية، والستة الباقية باللغة الفارسية، وفاق جميع الشعراء بأدبه الذي أصبح محبوبًا عند الجميع لأنه امتاز بروعة الأسلوب وندرة الخيال وعمق الفكر ■

وصف النساء والحب فحسب بل يتناول جميع قضايا الحياة مثل القضايا الاجتماعية والسياسية والروحانية والفكرية، وشرط الغزل الأردي أن يكون الشعر مقيدًا بالبحر والقافية والرديف، والرديف في الشعر الأردي مختلف عنه في الشعر وهو يأتي قبل القافية، وتتغير ألفاظه ولا يتغير وزنه، أما القافية في الأدب الأردي لا تتغير لفظًا ولا وزنًا، مثلاً يقول أحمد نديم قاسمي:

كون كهتا هكه موت آئي تو مرجاون كا
مين تو دريا هون سمندر مين اتر جاون كا

الترجمة: من يقول إنني سوف أفنى حينما أموت أنا مثل النهر الذى يصب في المحيط.

ففي البيت السابق جاون كا قافية، وهي لا تتغير في القصيدة أو في الغزل، ولكن (مر) و(اتر)، فهما رديف، فوزن الحرفين الأخيرين لا يتغير والألفاظ تتغير، والبيت المذكور من الغزل ولكنه بعيد عن معنى الغزل، وليس معنى هذا أن الغزل الأردي فقد معناه الأصلي فهو موجود بالجمال والجودة أنفسهما التي ينبغي أن يكونا عليهما - يقول أحمد فراز (أحد الشعراء المحدثين):

إن بلد الحبيب يجرحنا ثم يكسونا ملابس فاخرة، ما هذا ؟ إن بلد الحبيب يعذبنا بطرق عجيبة، إن هذا الحبيب قتل أهل البلد كلهم، ومع ذلك فالبلد كله يدعو له .

لقد أخذ الغزل الأردي ميادين واسعة

لنفسه ويتجول فيها الشاعر كيفما يشاء.

النظم

النظم في الأدب العربي يطلق على الشعر عمومًا ولكن الأدب الأردي أعطاه معنى آخر، فالنظم في الأردية مثل القصة القصيرة المرتبطة من أولها إلى آخرها بموضوع واحد ولا تستطيع أن تحذف بيتًا واحدًا من النظم - ولا بد لكل نظم من موضوع وأن يكون لجميع الأبيات علاقة قوية بالموضوع نفسه، وفي كثير من الأحيان يبدأ الموضوع كأنه لغز مثلما يحدث أحيانًا في القصة وعندما تصل إلى البيت الأخير تفهم ذلك اللغز، فكأن النظم الأردي مسبحة أو عقد يشتمل على دُرر ولآلئ من أنواع مختلفة ولكنها مربوطة بخيط متين - وليس من شروط النظم أن يكون مقيدًا بالقوافي والبحر، فمن الممكن أن يكون النظم من الشعر الحر والمنثور أو أن يكون منظومًا ومقفى مثل القصيدة العربية القديمة، أو مقيدًا بوحدة البيت والبحر والوزن الواحد.

المسدس

هذا نوع نادر من الشعر في الأدب الأردي، يكتب فيه الشاعر شعره في صورة قصيدة طويلة ولكنها مجزأة إلى مقطوعات مختلفة، وفي كل مقطوعة ستة أشطر، وكل مقطوعة لها قافية واحدة، وتختلف قافية كل مقطوعة عن قوافي سائر مقطوعات المسدس، ولكن القصيدة الكاملة تأتي متحدة الوزن.

المثنوي

نوع نادر في الشعرالأردي جاء من الأدب الفارسي، ومن أشهر شعراء المثنوي في الأدب الفارسي الشيخ جلال الدين الرومي المرشد الروحي للعلامة محمد إقبال وعلى النهج نفسه كتبت القصائد التاريخية في الأدب الفارسي مثل شاه نامه الفردوسي، وهي ترصد تاريخ ملوك إيران فكتب الشاعر الباكستاني حفيظ جالندهري شاهنامه إسلام ذكر فيها تاريخ المسلمين منذ عصر النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، وحفيظ جالندهري صانع النشيد الوطني لباكستان.

الرُّباعي

هذا النوع من الشعر معروف جدًا في باكستان يكتب فيه الشاعر شعره على شكل مقطوعات مختلفة وكل مقطوعة تحتوى على أربعة أشطر. وهذا الصنف من الشعر جاء من الأدب الفارسي، ورباعيات عمر الخيام مشهورة في العالم العربي كذلك. ومارس معظم الشعراء هذا النوع من الشعر يقول العلامة محمد إقبال:

لماذا لا يوجد طوفان في بحرك
لماذا ذاتيتك ليست مسلمة
لا تفيدك شكواك للقدر
لماذا لا تصبح أنت القدر

ويقصد العلامة أن المسلم لا يستطيع أن يعود إلى مجده الأصلي بغير جهد، وأنه إذا اتهم القدر بغير اجتهاد وجهاد فهذا غير مناسب، فلا بد أن يعمل فالقدر يساعده.

الشعر الحر

هذا النوع من الشعر دخل الأدب الأردي والباكستاني عن طريق الغرب، عندما ترجم الأدب الإنجليزي والروسي والفرنسي إلى الأردية فبدأ الشعراء في باكستان يقلدونه، وفي بداية الأمر وجدوا معارضة شديدة ونقدًا من قبل الشعراء والأدباء التقليديين ولكن الأصوات المعارضة سكتت في النهاية، ومعظم الشعراء التقليديين والرومانسيين والواقعيين تذوقوا هذا النوع من الشعر ووجدوه لذيذًا ممتعًا فملئت الدواوين من الشعر الحر. وفي باكستان لغات أخرى أساسية خلاف الأردية مثل البنجابية والسندية والبشتو والبلوجية والسرائكية، وهي تقدم لنا أدبًا راقيًا جدًا في جميع أنواع الشعر، وخصوصًا في مجال الشعر الصوفي فلا مثيل له في الأدب الأردي وفيها قام المثقفون بدراسات قيمة على مستوى الدكتوراه في جامعات عريقة في باكستان وخارجها.

> الأدب والفن الباكستانيان مهما تغيرت الظروف والأحوال فإن محورهما الأساسي هو الثقافة الإسلامية لا غير

المدائح النبوية «النعت»

شعر المديح النبوي ليس صنفًا مستقلاً ولكن له مكانة عظمى في الأدب الأردي وفي الآداب الأخرى بباكستان، فهناك مئات الشعراء كتبوا شعر المديح في جميع أنواع فنون الشعر مثل الحر، والمقيد، والغزل، والمسدس، والنظم، والرباعي، ومن أشهر شعراء المديح، حافظ مظهر الدين، وحفيظ تائب، وحافظ لدهيانوي، وعارف عبدالمتين، ومظفر وارثي وغيرهم كثيرون.


جمعية مشاهير الأدب الأردي وكان ضمنهم العلامة محمد إقبال

النثر

الأدب الباكستاني ثري بالنثر الأدبي ونجد فيه كل أنواع النثر المعروفة في عالم الأدب مثل: الرواية، والقصة القصيرة، والمسرحية، والرسائل، والخطب والدراسات النقدية... إلخ.

الرواية

تأثرت الرواية الباكستانية بالأدب الفارسي والإنجليزي، والشكل الأول من الرواية الذي نجده في باكستان هو الرواية التاريخية، والرائد الأول في باكستان هو نسيم حجازي الذي تأثر بروائي تاريخي آخر في الهند هو عبد الحليم شرر، تناول نسيم حجازي موضوعات تاريخية إسلامية في روايات بعنوان: قيصر وكسرى، شاهين ويوسف بن تاشفين، وانكسر السيف، والصخر الأخير، والدم والتراب، والمعركة الأخيرة. ووجد نسيم حجازي شهرة عظمية بين قراء الأردية وترجمت بعض رواياته إلى اللغة العربية لكنها لم تحظ بالطباعة حتى الآن.

وهناك شخصية علمية أدبية أخرى تركت لنا كتبًا نقدية قيمة وكذلك روايات تاريخية وهو رئيس أحمد جعفري، وكان عالمًا متقنًا اللغة العربية والفارسية مثل العلامة محمد إقبال وفيض أحمد فيض. ومن كتاب الرواية التاريخية أسلم راهي، وقمر أجنالوي، وإسماعيل ساكر. أما الروايات الاجتماعية فإنها كثيرة جدًا وقد تناولت موضوعات تتعلق بالأسرة والعمال والحكومات وظلم الإقطاعيين والمرأة والحرية والعدالة الاجتماعية وغيرها من الموضوعات، ونجد فيها تأثيرًا واضحًا ملموسًا لروايات ميكسم غوركي، ودستوفيسكي وتولستوي، وجيخوف، وتشارلز برونتي وغيرهم من أدباء الشرق والغرب. والرواية الباكستانية في العصر الحاضر لا تقل روعة وجمالاً عن أية رواية عالمية، ومن أشهر الروائيين الباكستانيين امتياز علي، وممتاز مفتي، وعبدالله حسين، وبانو قدسية، وعزيز أحمد وشوكت صديقي، وانتظار حسين، ورضية بت، وأمجد إسلام أمجد.

القصة القصيرة

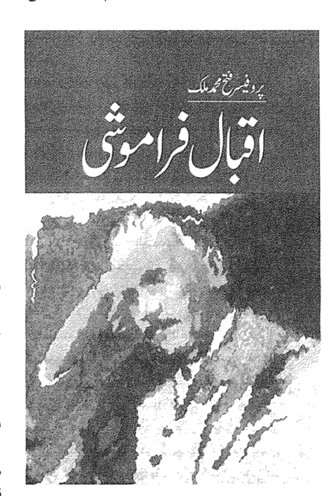
دخلت القصة القصيرة حديقة الأدب بباكستان كما دخلت في البلاد العربية فإنها إنتاج أدبي غربي نال قبولاً حسنًا من الكتاب والقراء، لأن الزمن بدأ يجري مجرى الرياح العاصفة، وكلما يتقدم العالم تكنولوجيًا تصبح حياة الإنسان قلقة غير مستريحة، والقارئ لا يجد وقتًا كافيًا حتى يقرأ القصص الطويلة والروايات المطولة. والقارئ يوفر لنفسه دقائق وكان يجد ساعات وأيامًا، ولذلك فإن القصة القصيرة في باكستان لها مكانتها وهناك آلاف القصص القصيرة كتبت ونشرت في المجلات الأدبية، ومن أشهر كتاب القصة القصيرة حجاب امتياز علي، وسعادت حسن

منتو، وأحمد نديم قاسمي، وممتاز مفتي، وأشفاق أحمد، وشوكت صديقي، وقدرت الله شهاب، وأبو الفضل صديقي، وغلام الثقلين، وهاجرة مسرور، وخديجة مستور، وانتظار حسين، وأمجد إسلام أمجد وأسعد كيلاني، وفاطمة ثريا بجيا، ويونس بت، وغيرهم كثيرون.

المسرحية

فن أدبي غربي، بدأ في الغرب وتطور فيها ثم تسرب إلى البلاد المستعمرة، ووجده الناس ممتعًا يجذب انتباه القارئ، ولما ظهرت المسرحية على المسرح ثم على الشاشة ذاعت وانتشرت انتشارًا عظيمًا وليس هناك بيت لا يعرف أصحابه المسرحية أو لم يشاهدها .

تناولت المسرحية الباكستانية موضوعات اجتماعية وثقافية وسياسية تناولاً ناجحًا وأشهر كتاب المسرحية، حكيم أحمد شجاع،



وسيد امتياز علي تاج، ورفيع بيرزاده وسيد عابد علي عابد وأشفاق أحمد، وبانو قدسية، وعشرت رحماني، وسليم أحمد وفاطمة ثريا بجيًا، وأمجد إسلام أمجد، وغيرهم كثيرون.

الأدب الفكاهي

الأدب الفكاهي له دور كبير في بث المتعة والراحة في نفوس الناس وهو كذلك وسيلة مهمة للنقد الاجتماعي بأسلوب فكاهي ممتع، وهذا النوع من الأدب موجود في العالم كله، بدأ بالفكاهات والنكات حتى صار فنًا مستقلاً يُتناول في المقالات والمسرحيات والقصص والشعر والخواطر بطريقة مرحة، وربما تنقل إلى الإنسان في لحظات من المشاعر مالا تستطيعه الكتب العلمية في ساعات.

ومن الكتّاب المشهورين في الأدب الفكاهي في باكستان بطرس بخاري، وشوكت تهانوي، وشفيق الرحمن ومشتاق يوسفي، وضمير جعفري وأنور مسعود، وعنايت علي خان، وغيرهم كثيرون.

وإذا ألقينا نظرة شاملة على الأدب الباكستاني لوجدنا أن الفن والأدب الباكستاني له روافد إسلامية، هندية، فارسية، عربية، غربية، فمثلاً الغناء والموسيقا الكلاسيكية في باكستان لا تختلف عن اللحن الهندي، ولكن الفنانين الباكستانيين أدخلوا فيها أساليب صوفية وألحانًا فارسية، إن الفنان الهندي يربط الألحان الهندية بأناشيد دينية هندوسية والباكستاني يربطها بالمدائح النبوية والمناسبات الدينية الإسلامية وعندما انتشرت وسائل الإذاعة والتلفزيون وصلت إلينا أغان غربية وألحان أجنبية وبدأ الفنانون يقلدونها، ولكن الشعب الباكستاني وبخاصة المثقفون منهم لم يقبلوا هذا التقليد الأعمى للغرب لأن الموسيقا الغربية، في رأيهم، ليست إلا صرخات وصياحات وضجيجًا ورقصًا يشبه حركات القرود. وفي الآونة الأخيرة ظهر تغيير جديد عند أصحاب الغناء والموسيقا وهو الدمج بين الموسيقا الكلاسيكية والموسيقا الغربية الحديثة وإدخال الأغاني الروحانية فيها، وانتشرت هذه الرغبة عند جميع الفنانين.

وكذلك نرى هذا التغيير في فن المعمار فقبل سنوات قليلة كانت العمارات المبنية على طراز غربي منتشرة عند الأغنياء ولكنهم الآن يفضلون القباب والمحاريب التي تعتبر رمزًا معماريًا إسلاميًا فالأدب والفن الباكستانيين مهما تغيرت الظروف والأحوال فإن محورهما الأساسي هو الثقافة الإسلامية لا غير.

الثقافة واللغة في باكستان

ثقافات متباينة و ٧٠ لغة دارجة

ناهيد نيازي - اسلام اباد*

* متخصصة في فلسفة اللغات .

باكستان تعد وريثًا لبعض أقدم حضارات العالم، لهذا فلثقافات ولغات سكانها جذور قديمة ومعقدة، متوافقة أحيانًا ومتناقضة أحيانًا أخرى.

ومن الملاحظ أن اللغات والثقافات المحلية لم تكن يومًا هي السائدة في أروقة السلطة، لأن حكام المنطقة - بشكل عام - كان الكثير منهم من غير السكان المحليين، فالبعض منهم يعتبرون من الغرباء الذين تدفقوا على المنطقة، فهناك إيرانيون ويونانيون ومسلمون عرب أو أتراك أو بريطانيون أثروا أيضًا في هذه الثقافات واللغات بما حملوه معهم، وأضافوا للغات السائدة مصطلحات ومفردات جديدة.

ومن المعروف أن طبوغرافية أي منطقة تؤثر في ثقافة السكان ولغاتهم وتقاليدهم، وعادات الأفراد المتعلقة بالملبس والمأكل والمشرب، إضافة إلى العادات الاجتماعية والسلوكية. ولأنه كما يقال: من اللغة تتوصل إلى طبيعة صاحبها، فسكان الإقليم الحدودي الشمالي الغربي في باكستان من البشتون، الصفة الظاهرة على حياتهم هي الخشونة، والغلظة. ويتبلور ذلك من لغتهم البشتوية التي تعتبر من اللغات الصعبة، والتي تحتوي مفرداتها على الأحرف المتباينة نطقًا.

واللغة لعلها أهم شريحة تؤثر وتتأثر، وتتفاعل مع الثقافة، وعلى كل من سعى لفهم ثقافة أي بلد أن يدرس تاريخ لغاته.

واعتمادًا على الخلفية التاريخية التي تثبت أن هذه البلاد قد حكمت من قبل العرب والفرس المسلمين، فإن اللغتين العربية والفارسية تركتا بصماتهما على الثقافة، وتداخلتا مع الثقافة الهندية، وباتت الكلمات العربية جزءًا بارزًا في معظم لغات شبه القارة الهندية، لأسباب متعددة، منها منطلقات دينية، ومنها التأثر بالعادات والتقاليد والأخلاق التي حملها العرب والفرس لهذه المنطقة حين دخلوها. ويمكن القول أن المخطوطات العربية ووجود الكلمات العربية كذلك في مختلف اللغات السائدة، شكل ويشكل الرباط المشترك بين هذه اللغات حتى اليوم، وبخاصة تلك الكلمات المتعلقة بالعبادات والذكر، كالصلاة والصيام والحج وغيرها، وهو الأمر الذي جعل اللغة العربية تنتشر على نطاق واسع على خلفية ذلك، وتصبح في البلد مادة أساسية، يجيدها معظم علماء الدين في البلد.

ومن زاوية لغوية محضة، يمكن القول أن باكستان واجهت تأثيرًا مزدوجًا، فمن ناحية، هناك التأثير الهندي الذي يضغط من الشرق بكل ثقله ثقافيًا ولغويًا، كون الهند الوطن الأم لشبه القارة، ولغاتها الرسمية كانت «الدرافيدية» و«الهندو أريانية»، ومن ناحية ثانية تأثير منطقة الشرق الأوسط لتداخل الألفاظ الفارسية والعربية في اللغات الوطنية على اختلافها.

لغات وادي إندص (السند)

لسوء الحظ فالرموز القليلة التي عثر عليها على قطع من السيراميك لثقافة «كوت ديجي يان» لم تحل رموزها بعد، ولم يتوصل إلى ما تحمله من ألغاز، رغم الجهود الحثيثة التي تبذل للوصول إلى معرفة ذلك. وعلى أية

حال فهناك أربعة آلاف عينة من المخطوطات التي تم العثور عليها من مخلفات حضارة وادي إندس المحفورة على الحجارة والفخار.

وكما هو في معظم لغات العالم، توجد لهجات متعددة ومتنوعة، ويعتقد أن اللهجات الموجودة على الحجارة في وادي إندس، تعود إلى لغة واحدة مشتركة، قد تفرعت منها، ولكن يبقى السؤال المطروح : ما هي تلك اللغة؟

ولعل أول من تنبأ بأن لغات وادي إندس كانت الدراوينية هو السير «جون ميريشال»، وقد تبنى معظم العلماء نظرياته في ذلك لعدم توفر البدائل.

اللغات البراهوية والدراوينية ما زالتا شائعتين في بعض أجزاء بلوشستان حتى اليوم، مع بعض التغييرات التي طرأت عليهما من تأثيرات اللغات البلوشية الأخرى.

تأثير الدراوينية على اللغات الباكستانية

إذا افترضنا أن اللغة «الهريانية» أصلها دراويني، فإن أول لغة في باكستان الحالية لم تكن الهندو آريانية، بل كانت الدراوينية. ويتبنى هذا الرأي المؤرخ الشهير «عبد الحق فريد كوتي» في مؤلفاته المتعددة.

وهناك علماء آخرون يتبنون نظرية انتقال اللغات أو تداخلها للبرهنة على وجود عناصر اللغة الدراوينية في اللغات الباكستانية المعاصرة، والتي يقال أنها منبثقة عن اللغات السنسكريتية والهندو آريانية. وتفترض نظرية تداخل أو انتقال اللغات، أن تأثيرات لغة ما تمتد إلى اللغة اللاحقة بطريقة أو بأخرى.

وفي بعض الأحيان تندثر بعض اللغات حينما يتحدث السكان لغة جديدة، غير أن تأثير اللغة القديمة يبقى إلى أمد بعيد على اللغة الجديدة، وهو ما يعني أن اللغة الجديدة تقوم على أساس اللغة القديمة، وتقف على قواعدها وأصولها. وإذا طبقنا هذه النظرية على اللغة الهندو آريانية القديمة، فإن النتيجة الافتراضية تقول إن اللغة الهريانية أثرت في اللغة الدراوينية، ومما يعزز هذا الرأي ما قاله «بيرتل تيكن» : إن بعض الحروف الموجودة في اللغات الباكستانية غير موجودة في اللغة الفارسية والأوردية، بل والعربية.

لغة العسكر

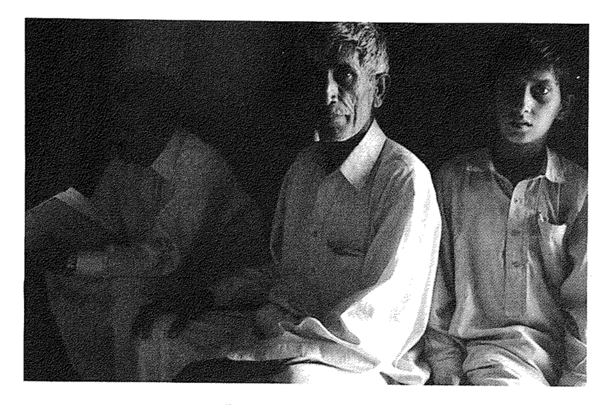
لقد سيطر العرب على إقليم السند بقيادة «محمد بن القاسم» لمدة ثلاث سنوات امتدت من عام ٧١٢م إلى عام ٧١٥م، بينما سيطر الأتراك على شمال الهند حوالي سنة ١٠٠٠م، بقيادة «محمود الغزنوي». وقبل دخول العرب والمسلمين إلى باكستان كانت هناك ثقافات مختلفة في الأجزاء الجنوبية والشمالية، نتج عنها انبثاق اللغة الأوردية.

واللغة الأوردية ولدت في عهد المغول، وكانت تسمى بـ «لغة العسكر»، ونظرًا لكثرة متحدثيها، فقد أصبحت هي اللغة القومية، ولم يكن من وسيلة للجنود الإيرانيين والأفغان والأتراك والعرب الذين كانوا في جيش المغول، إلا التخاطب بلغة الأوردو التي تأثرت بثقافة ولغات هؤلاء جميعًا، إلى أن خرجت بهذه الصورة التي هي عليها الآن.

اللغات زمن دخول الإسلام في باكستان

إحدى المشاكل التي تعقّد معرفة اللغات التي كانت سائدة في فترة سيطرة المسلمين على شبه القارة، هي أن المسلمين كانوا يطلقون على أي لغة خلاف اللغة العربية: اللغة الهندية، فعلى سبيل المثال طبقًا لـ «البدايوني» قائد قلعة «كلنجار»، فإن الشعر كان ينظم في مديح السلطان محمود الغزنوي باللغة الهندية فقط، بينما كان ينظم الشعر في مدح أحفاد محمود الغزنوي من قبل الشعراء، أمثال «مسعود سعد سلمان» والأستاذ «أبو الفرج روني» في دواوين

واعتمادًا على الخلفية التاريخية التي تثبت أن هذه البلاد قد حكمت من قبل العرب والفرس المسلمين، فإن اللغتين العربية والفارسية تركتا بصماتهما على الثقافة، وتداخلتا مع الثقافة الهندية



تضم اللغات الهندية والفارسية والعربية.

وعاش الشاعران المشار إليهما معظم حياتهما في مدينة «لاهور» في عام ١٠١٤م، ويضيف البدايوني أن الشاعر «شمس الدين إيلتمش» قد ترجم ٣٢ قصة من اللغة الهندية إلى الفارسية، وأطلق عليها اسم «نامای خراد أفزا».

اللغة البنجابية

اللغة البنجابية تعد اليوم أكثر اللغات تحدثًا في باكستان، وهي ممزوجة بلهجات الهندكو. وتعود أصول اللغة البنجابية إلى تلك التي كانت سائدة في شمال ووسط مناطق البنجاب الهندية. ولم تكن اللغة البنجابية معروفة بهذا الاسم إلى حين الفتح الإسلامي. وفي الحقيقة مصطلح البنجاب جاء من اللغة الفارسية أي «بانج أب»، ويعني «الأنهار الخمسة» نسبة إلى الأنهار التي تخترق إقليم البنجاب الذي يضم ٥٩ ٪ من سكان باكستان، وهي : «راوي - تشاناب - ستلج - إندس - جهلم».

وقد كتب الأمير «خسروا» عام ١٣١٧م أن لغة البنجاب هي «اللاهورية»، وليست البنجابية، والـ«كشميرية» وليست «البشتونية» أو«البلوشية».

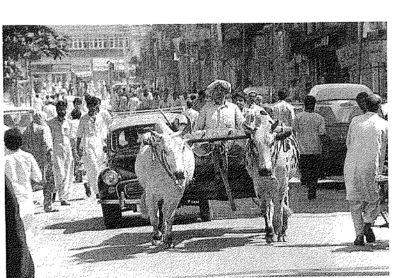
لغة البشتو

لغة البشتو الأفغانية، استخدمها لأول مرة «أبو الفضل» في القرن السادس عشر الميلادي في كتابه «عيني أكبري».

وباختصار فإن اللغات السندية والبنجابية والسرائيكية وبعض لغات الهندكو، إضافة إلى اللغات الأوردية، مازالت دارجة في باكستان حتى اليوم. ويرى المؤرخون أنه لا علاقة للغة البشتو بشبه القارة أو بباكستان، حيث إن أصولها بالكامل من أفغانستان. وطبقًا لـ «فانقو فيسكي» فإن لغة البشتو قد دخلت إلى أودية بيشاور وكوهات وبنو في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وامتدت إلى سوات وكُرم، ثم طالت مناطق «جوب» و«لورا لي» و«كويتا» في بلوشستان في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

اللغة البلوشية

واللغة البلوشية قد جاءت أيضًا من إيران منبثقة من اللغات الهندو أوروبية، وعندما سيطر العرب في القرن العاشر على أجزاء بلوشستان، كان من بينها منطقة «قلات» التي كان أهلها يتحدثون اللغة البراهوية. ومما ساعد على نشر اللغة البلوشية في باكستان، الغارات المتكررة التي قامت بها القوات الغزنوية والغورية لمختلف أنحاء البلاد.



الثقافة الباكستانية

البعض يقسم الثقافة الباكستانية إلى ثلاثة أقسام رئيسية طبقًا للغات السنسكريتية والدراوينية والهندية، وتتنوع هذه الثقافات استنادًا إلى تنوع التضاريس والمناخ، وتنحصر ما بين وادي «إندس» و«تشمنا»، وبين نهري إندس و«كابول» والمناطق الشمالية.

ثقافة إندس تشمنا

القاطنون في هذه المناطق من البنجابيين والسنود تأثروا باللغات السنسكريتية والدراوينية والهندية، وثقافاتهم وعاداتهم تختلف عن عادات وتقاليد السكان الذين يعيشون بين نهري إندس وكابل، وهي أقرب إلى العادات الهندية أكثر منها إلى الإسلامية، فتأثرت ثقافتهم تأثرًا كبيرًا بالثقافة الهندية أكثر من الثقافة الإسلامية، ويتمثل ذلك في طقوسهم أوقات الزواج أو الموت أو اللباس، وعادات الأكل والشرب، وبخاصة أولئك الذين يعيشون قرب الحدود الهندية، حيث يغلب على نسائهم الطابع الهندي، ويقلدون الهنود في الطبخ واللباس وغير ذلك.

وهذه المناطق تعد من أخصب مناطق باكستان زراعة، نظرًا لاستواء سهولها، والأمطار الموسمية الغزيرة فيها.

ثقافة ما بين نهري كابل وإندس

الأراضي في هذه المناطق صعبة التضاريس، ومنخفضة، ومعظمها قاحلة، وبخاصة تلك التي تحاذي جبال الهندوكوش، لذا نجد سكانها فيهم غلظة وقسوة، ويتحدث معظم هؤلاء السكان لغة البشتو، وعندهم القابلية للموافقة على أي عمل يعرض عليهم مقابل الحصول على المال، وهو ما عزاه البعض إلى العوز والحاجة التي كانت هي الصفة البارزة على سكان هذه المناطق بسبب طبيعة مناطقهم الجغرافية، ونتيجة ذلك بات البعض منهم يتمتع بالثراء الفاحش.

ثقافة المناطق الشمالية

المناطق الشمالية مناطق جبلية وعرة، والوصول إليها يتطلب جهدًا كبيرًا ومشقة، غير أن المياه فيها متوفرة وبكثرة، والأراضي فيها خصبة، وسكان هذه المناطق لم يتأثروا بحياة المدن، على اعتبار أنهم قد اكتفوا ذاتيًا، واستغنوا عن غيرهم من السكان المدنيين، لذا بقيت هذه المناطق محافظة على ثقافتها الخاصة بها، والتي تختلف كلية عن ثقافة بقية أجزاء باكستان وعن ثقافة شبه القارة الهندية كذلك.

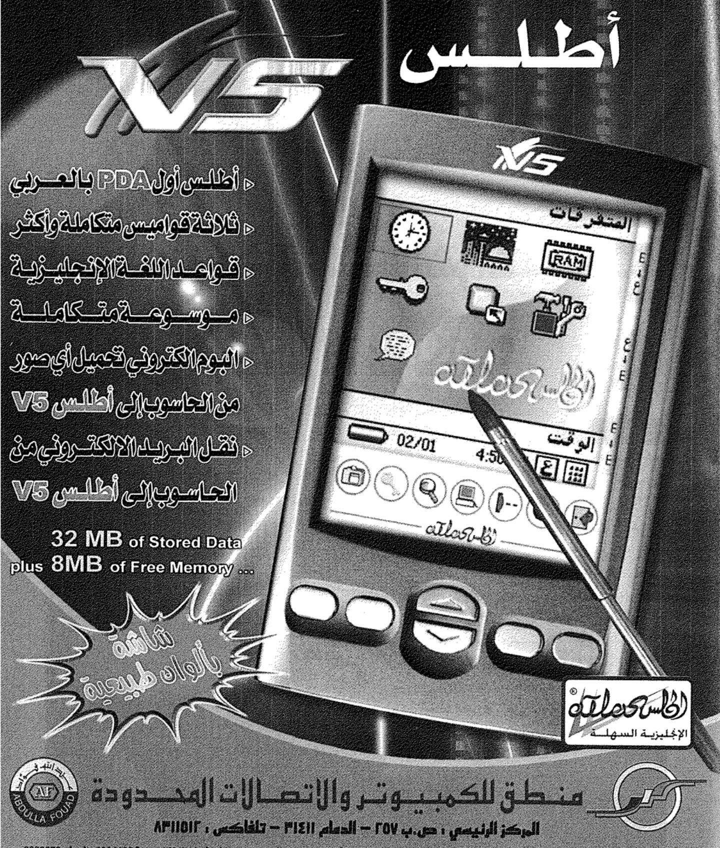
ويقضي سكان هذه المناطق معظم أوقاتهم في بيوتهم أو مزارعهم، نظرًا لبعدها عن المدن، وقساوة الجو البارد، والتضاريس الوعرة. وتغلب على سكانها ثقافات سكان مناطق «التيبت» الصينية، وثقافة البنشيريين والكشميريين. ويعتمد السكان هناك في غذائهم على محاصيلهم الزراعية، حيث يجففون معظم الخضراوات والفواكه، ويدخرونها إلى فصل الشتاء الذي لا وجود فيه لفواكه أو خضراوات طازجة، كما أن لهم لغاتهم الخاصة بهم، والتي تتداخل فيها اللغة الفارسية مع الروسية والبشتوية.

ونظرًا لاختلاف الثقافة فيها، فإن هناك تنوعًا ما بين أقاليم بلوشستان والسند والبنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية في كل شيء، بدءًا من عادات الأكل واللباس والنوم، إلى الهوايات وما إلى ذلك.

اللغات الدارجة في باكستان

هناك أكثر من سبعين لغة دارجة في باكستان، يمارسها الناس تحدثًا وكتابة وقراءة، وأشهرها :

الأوردية - البلوشية - الباديشية - البلتستية - البراهوية - الدهوارية - الدوماكية - الإنجليزية - الفارسية - الغوجراتية - لغات الهزارة - الهندكو - الكوهستانية - البهارية - البنجابية - البشتوية - السرائيكية - السندية.



أطلس
V5
أطلس أول PDA بالعربي
ثلاثة قواميس متكاملة وأكثر
قواعد اللغة الإنجليزية
موسوعة متكاملة
البوم الكتروني تحميل أي صور من الحاسوب إلى أطلس V5
نقل البريد الالكتروني من الحاسوب إلى أطلس V5
32 MB of Stored Data
plus 8MB of Free Memory ...
شاشة بألوان طبيعية
الإنجليزية السهلة



قبائل البشتون :

استعصت على كل الغزاة فهل يروضها الأمريكان؟

خاص .المعرفة



القبائل البشتونية المنتشرة على جانبي الحدود الباكستانية الأفغانية شكلت عبر التاريخ عنصر تغيير في المنطقة واستعصت على الغزاة وعلى الاحتواء، وشكلت ما يعرف بخط التوتر والحدود الرخوة وحدود الفوضى، وباتت صداعًا للتاج البريطاني إبان احتلاله شبه القارة الهندية تخلص منه بمنحها استقلالاً ذاتيًا.

ويرجع الفضل لأحداث ١١ سبتمبر التي أعادت هذه الجبال والتضاريس الوعرة إلى واجهة الأحداث بعد أن أصبحت على غير ما تشتهي منفذ الخلاص الوحيد لمقاتلي القاعدة بعد انهيار نظام طالبان.

أصل القبائل البشتونية

يقال أن البشتون من أصل بني إسرائيل. كما يقال أنهم أحفاد خالد بن الوليد. ولكن هذه النظريات محض قصص وليس لها شواهد تاريخية. وهناك خلاف بين المؤرخين حول: هل البشتون من القبائل السامية أم من القبائل الآرية؟

كلمة بشتون وكلمة أفغان تعنيان معنًا واحدًا وهو «البشتون»، وكلمة أفغان معرب أوغان، وكلمة «أغوان» أو أوغان لفظ قديم يتعلق بالأصل الآري، وأكثر المؤرخين الذين قدموا تحقيقات في هذا الشأن وصلوا إلى أن البشتون «الأفغان» من الأصل الآري، والله أعلم.

قيس عبدالرشيد كان يسكن في جبل «كيسى»، وقيس هو معرب «كيسى»، وعندما أسلم على يد خالد بن الوليد ذهب إلى المدينة المنورة في السنة الثامنة للهجرة وسماه الرسول ﷺ قيس «كيسى» عبدالرشيد ويقال أن قيس عبدالرشيد، توفي سنة ٤١هـ/٦٦٣م في جبل «كيسى» ودفن هناك. قيس عبدالرشيد كان له أربعة أبناء هم سربن، وغور غشت، وبيت، وكور له، ومن هنا تشعب البشتون إلى خمس قبائل حيث ضم إليهم الشاعر المعروف خوشحال ختك أن قبيلة «متوزي» أيضًا فرع من قبيلة البيتيه البشتونية، حيث إن «بيت» كانت له بنت اسمها «بي بي متو» وتزوجت من رجل اسمه حسين ويسمون أولادهم متوزيه. وبهذا نقول إن البشتون خمس قبائل هي:

- القبائل السربنية: وعددها «١٠٥» قبائل.
- القبائل الغورغشتية: وعددها «٩٥» قبيلة.
- القبائل البيتية: وعددها «٢٥» قبيلة.
- القبائل المتوزية: «غلجيه ولوديه»: وعددها «٥» قبائل.
- القبائل الكرلانية: وعددها «١٢٨» قبيلة.

رغبة أمريكية

أمريكا التي تعتقد أن ما يزيد على ١٠٠٠ من القاعدة وطالبان يحتمون في مناطق الشريط القبلي، طلبت أكثر من مرة من الرئيس مشرف منحها إذنًا للتفتيش في هذه المناطق، وخصوصًا في الأراضي الخاضعة لسلطة قبائل محسور وختك في وزيرستان الشمالية والجنوبية.

الطلب الأمريكي واجه مقاومة من كبار ضباط الجيش الباكستاني خشية منهم أن يؤدي منح الولايات المتحدة إذن البحث المباشر إلى تمرد أكثر من ١٠٠ ألف جندي في الجيش الباكستاني ينتمون إلى قبائل محسور وختك. ومما أكد مخاوف مشرف هو ما نقله الجنرال المتقاعد علي خان ختك - الذي قام نواز شريف بتجاوزه وترقية الرئيس مشرف - حيث نقل لقائد الأركان الجنرال محمد عزيز خان تهديدات هذه القبائل مما أكسب المسألة

مصداقية على أرض الواقع، حيث لم تعد مجرد تخرصات وتكهنات، يضاف إلى ذلك خشية مشرف تحرك القبائل التي يسودها التململ في وقت تسعى فيه إسلام أباد لفرض سيطرتها لأول مرة في التاريخ على القبائل.

وغذى تحالف مجلس العمل الموحد المعارضة القبلية لأي عمل مباشر من قبل القوات الأمريكية في مناطق القبائل من خلال التحريض و التهديد بتسيير مظاهرات، خصوصًا عقب تشكيل حكومتها الإقليمية في يناير الماضي، حيث قامت باستعراض قوتها في بيشاور في أكثر من مناسبة.

ومما زاد من المعارضة للطلب الأمريكي هو حادث تبادل النار بين قوات أمريكية ومليشيات باكستانية في ميرانشاه في ٢٩ ديسمبر و٣ يناير وقصف طائرة أمريكية لدورية باكستانية في أغسطس الماضي.

وبرغم الاختراق فإن هناك مناطق ما زالت محظورة مثل وادي تيره الذي ما زال سكانه يجهضون أية محاولة حكومية لشق طريق معبد يصل الوادي بالمدن الباكستانية، وفي كل مرة تحاول فيها جرافات الجيش البدء في شق الطريق تضطر إلى التراجع تحت وابل من القذائف والأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية. وبحسب مصادر قبلية فإن آخر زيارة رسمية للوادي قام بها وفد إنجليزي عام ١٨٩٧م ومنذ ذلك الحين لم تحصل إلا بضع زيارات صحفية. ودخول عناصر القاعدة بعد فرارهم من توره بوره. وعمومًا سكان الوادي لا يرحبون بالأجنبي وخصوصًا إذا كان غير مسلم.

البريطانيون حينما فشلوا في السيطرة على القبائل لجؤوا إلى منحهم الحكم الذاتي وجعلهم مناطق عازلة بين التأثير الروسي في أفغانستان والهند البريطانية.

تتبع أفراد القاعدة

في نهاية يونيو حزيران الماضي شرعت القوات الباكستانية في عمليات صغيرة من خلال وحدات تضم حوالي ٥٠ جنديًا في مناطق القبائل بمساعدة لوجستية واستخبارية واتصالات من عناصر (إف.بي.آي). وكان ذلك أول تجربة عملية كسرت الحاجز النفسي وشجعت القوات الباكستانية على توسيع دورها.

اختراق سياسي

في يوليو الماضي حققت الحكومة اختراقًا سياسيًا مهمًا حينما انتزعت موافقة زعماء القبائل في مهمند إيجنسي على نشر قوات باكستانية في مناطقهم المحاذية لأفغانستان، بحجة أن المليشيات الأفغانية باتت تهدد هذه القبائل، وتعاظم التهديدات الأمريكية بمهاجمة هذه المناطق إذا بقيت على مواقفها المتصلبة، وبدأ الجيش يكسب القبائل من خلال برامج مكثفة شملت التعليم والصحة وشق الطرق وتوزيع المساعدات ووعود أخرى كثيرة لكن الهدف الحقيقي يكمن في محاربة القاعدة.

ورغم ما حملته الحملة الباكستانية من مخاطر الصدام مع القبائل فإنه لم يكن هناك مجال لتجنبها بالنظر إلى الضغوط الأمريكية، وقامت السلطات بمهاجمة أكثر من مدرسه دينية في وزيرستان الشمالية تحت إشراف الأمريكيين رغبة من هذه القوات للبرهنة على أن ما يقال عن وجود عناصر القاعدة عار عن الصحة أو على الأقل مبالغ فيه، لكن كل ذلك لم يرض الطموح الأمريكي الذي ينظر بعين الشك إلى أي خطوة باكستانية؛ لقناعته بوجود تعاطف في أوساط القبائل والجيش مع القاعدة وطالبان، ولاسيما أن القبائل البشتونية ما زالت تعتبر ملا عمر وأسامة بن لادن من أبطال الإسلام.

تأثيرات الواقع الأفغاني الجديد

دخول الولايات المتحدة الأمريكية على خط أفغانستان بقوة بعد سقوط نظام طالبان أحدث خللاً في العلاقات الباكستانية الأفغانية بسبب جهل الأمريكان بالبيئة البشتونية المنتشرة على طول ٢٤٠٠ كم بين البلدين والتي شكلت سابقاً وتشكل حالياً عنصراً مهماً في صياغة خارطة المنطقة. هي الصورة

وتراهن الباكستان وأمريكا كثيرًا على دور القبائل لكنها تحاول قدر الإمكان كسب ولائها وعدم التصادم معها إدراكًا منها خطورة ذلك



التي تكونت في الأذهان أن أفغانستان في حاجة إلى الدعم الباكستاني للوصول إلى الموانئ وطرق التجارة والبضائع الباكستانية، ولكن الجانب الآخر من الصورة وهو حاجة باكستان لأفغانستان لأجل أمن حدودها الغربية والوصول إلى أسواق آسيا الوسطى ونفطها و غازها تم تجاهله مما أحدث خللاً انعكس على علاقة البلدين، ولا سيما بعد مطالبة أفغانستان بإعادة ترسيم الحدود المعروفة بخط دوراند وإصرار باكستان على أن هذا الملف يعد مغلقاً، وتمسك باكستان بالخرائط التي رسمت في العهد البريطاني، بينما يطالب الجانب الأفغاني باعتماد الخرائط التي رسمها الاتحاد السوفيتي السابق إبان احتلاله لأفغانستان والتي تتضمن مساحة واسعة من الأراضي التابعة للإقليم الشمالي الغربي الحدودي وعاصمته بيشاور.

الواقع التاريخي للحدود يظهر أن الإنجليز إبان سيطرتهم على شبه القارة الهندية وقعوا اتفاقًا عام ١٨٩٣م مع الرئيس الأفغاني حينئذ الأمير عبدالرحمن ومدته ١٠٠ سنة، وتم بموجبه رسم ما بات يعرف بخط دوراند الذي قسم القبائل البشتونية على جانبي الحدود التي بقيت بسبب ذلك حدوداً رخوة. وكان عبر القرن الماضي يدور الحديث عن تشكيل البشتون على جانبي الحدود دولة بشتونستان المستقلة، وبقي البشتون يتنقلون على جانبي الحدود دون جوازات سفر أو تأشيرات أو حتى اعتراف بوجود حدود فاصلة حتى أحداث سبتمبر، حيث انتشر ٧٠ ألف جندي وعنصر مليشيات على هذه الحدود ليغيروا ليس فقط من بيئتها بل من طبوغرافيتها أيضًا، وبات البعض يعتقد أن أمريكا تطبق نظرية أسامة بن لادن من حيث لا تشعر، تلك النظرية التي قال فيها إن السبيل الوحيد لإنهاء الإرهاب الأمريكي هو شغل أمريكا في هذه اللعبة.

تعدد الولاءات

القبائل مدفوعة بالوعيد حينًا حيث التهديد الأمريكي من الجو والجهة المقابلة من الحدود بالجنود الباكستانيين الذين باتوا يسيطرون على مفاصل مناطقهم، وبالإغراءات حينًا آخر حيث بريق الدولارات الأمريكية والوعود الباكستانية ببناء مدارس لهم وإعطائهم الوظائف وتحسين ظروفهم المعيشية و إصلاح ما تعتبره باكستان بالخطأ التاريخي في إهمال هذه المناطق.

باتت هذه القبائل مقسمة الولاءات واضطرت في غالبيتها إلى تغيير الكثير من عادات تميزت بها لقرون طويلة، ومن أبرزها حماية من يلجأ إليهم كمستجير أو ضيف، وقامت بتسليم العشرات من أفراد القاعدة للحكومة التي قامت بدورها بتسليمهم للولايات المتحدة.. لكن برغم ذلك فما زالت بعض القبائل على ولائها وتتمسك بشدة بموقفها الداعم لطالبان والقاعدة رغم الضغوط الكثيرة مما يدفع الولايات المتحدة إلى الاعتقاد بشكل كبير إلى أن هذه المناطق تضم الكثير من أعضاء القاعدة بمن فيهم زعيمها أسامة بن لادن. وتراهن الباكستان وأمريكا كثيرًا على دور القبائل لكنها تحاول قدر الإمكان كسب ولائها وعدم التصادم معها إدراكًا منها خطورة ذلك. ويبقى الزمن كفيلاً بالبرهنة على مدى صلابة أو تراخي موقف رجال القبائل الذي تؤثر فيه بشكل مباشر الأحداث في أفغانستان المجاورة...

الاقتصاد الباكستاني

الصناعة تعتمد على الزراعة والزراعة تعتمد على الأمطار والمطر.. عند الرحمن

علي رضوي . إسلام آباد*

* محرر الصفحة الاقتصادية في صحيفة النيشن الباكستانية .

بعد سنوات من الضياع تخللتها نجاحات وإخفاقات بدأ على خلفيتها الاقتصاد الباكستاني أخيرًا بالاستقرار، وأخذت الأوضاع الاقتصادية تتجه نحو الانتعاش والتحسن، لاسيما وقد شهد الاقتصاد الباكستاني مجموعة من المعوقات التي تفاوتت أسبابها ما بين مناخية وسياسية وانعكاسات خارجية، فالجفاف الذي ألقى بظلاله على معظم المناطق الباكستانية خلال الأعوام الماضية، وكذلك أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١، والتي انعكست سلبياتها على عاصمة المال الباكستانية كراتشي بشكل مباشر، والحملة الدولية ضد ما يوصف بالإرهاب، والتي كان على الأراضي الباكستانية جزء كبير منها، والعنف الطائفي وغيره، إضافة إلى التذبذب الاقتصادي العالمي، كل ذلك انعكس على اقتصاد البلد، وانضب الكثير من الروافد التي كانت تغذي اقتصاد باكستان.

ورغم هذه التحديات التي أقلت باكستان طوال الفترة الماضية، إلا أن الرئيس الباكستاني «برويز مشرف» وفريقه الاقتصادي، وعلى رأسه وزير المالية «شوكت عزيز» كرروا في غير مناسبة، أن الاقتصاد الوطني في مرحلة انطلاقة جديدة وقوية، والتحسن النسبي في الاقتصاد بات حقيقة لا يمكن تجاهلها أو إغفالها، ولكن لا يزال من السابق لأوانه القول بأنه تحقق اختراق اقتصادي، أو نصر اقتصادي باكستاني، يمكنه وضع البلاد في مصاف الدول المتقدمة والمستقرة اقتصاديًا.

ما يمكن قوله بصورة إجمالية، هو أن البيئة الاقتصادية قد غدت بناءة، وبوادر إقلاعها لاحت في الأفق، وتبشر بإنتاجية عالية، واستثمارات كبيرة، ولكن لا يزال المشوار طويلاً في رحلة إيصال البضائع والحاجيات إلى أعتاب الجماهير، أو التخفيف من أعبائهم التي أثقلتهم، في مقابل الدخل المحدود، ونسبة البطالة، وحجم الضرائب ورسوم الخدمات، كالكهرباء والماء والغاز والهاتف وما إلى ذلك من معوقات.

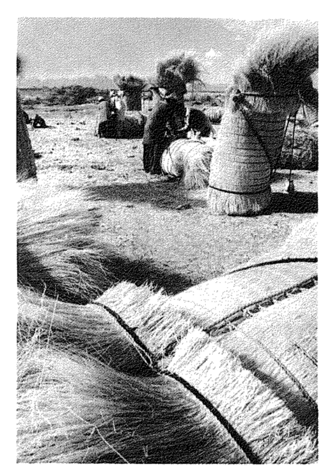
نجاح حذر

ولا يختلف اثنان على أن الحكومة الباكستانية قد حققت نجاحًا في إيجاد استقرار اقتصادي كبير في البلاد، رغم هذه المعوقات، غير أنها لم تنجح بعد على جبهة الاقتصاد المصغر، فهناك مصاعب جمة، وتحديات كثيرة لا زالت تواجه الاقتصاد على المدى البعيد، والتي تحتم على الحكومة اتباع سياسة اقتصادية ثابتة لمعالجة المشكلات الاقتصادية على المدى المتوسط والقريب.

ويجب الاعتراف وبصراحة، بأن البطالة والفقر وارتفاع متطلبات المعيشة حقائق مرة، ويجب على الحكومة اتباع سياسة حازمة إزاءها، لمعالجة هذه القضايا التي تشكل هموم الشارع الباكستاني بأسرع وقت ممكن، وليتم على ضوء ذلك النهوض بالمجتمع وحكومته إلى المستوى الطبيعي الذي يمكنها من خلالها مماشاة الأمم التي ترفل في أوضاع اقتصادية حسنة.

والانتعاش الاقتصادي في السنوات الأخيرة شمل قطاعًا اقتصاديًا واسعًا، ربما طال القطاعات الاقتصادية كافة، وذلك بما يتماشى مع أهداف ميزانية العام ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣.

وأبرز المؤشرات على استعادة الاقتصاد



الباكستاني بعض حيويته ومرونته، تتمثل أساسًا بتحسن مؤشرات الاقتصاد الموسع، والتي تتضمن زيادة مهمة في نسبة نمو «إجمالي الناتج المحلي» و «إجمالي الناتج الوطني» لكل فرد أو شخص، وانخفاض عجز الميزانية، وانخفاض معدل التضخم، والفائض في ميزانية حساب المدفوعات الجاري، وزيادة كبيرة في احتياطات النقد الأجنبي، وانخفاض نسبة الفوائد مع التحسن في رؤوس الأموال في الأسواق الدولية والعالمية.

التطورات الإيجابية في القطاعات الاقتصادية الرئيسة زادت من احتمالات استمرار الاقتصاد على طريق النمو إلى مدى طويل.

شد الأحزمة

ومنذ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٩٩ وحكومة الجنرال برويز مشرف تتبع سياسة شاملة تقوم على الاستقرار والإصلاح في هيكلية وجسم الاقتصاد، بهدف تحسين ميزان الاقتصاد داخليًا وخارجيًا، وبدا منذ ذلك التاريخ أن الاقتصاد يتجاوب بشكل بناء مع الخطط والسياسات المرسومة، ويمكن القول إن الإصلاحات التي طرحت قبل حوالي عامين بدأت تؤتي أكلها، ويظهر ذلك من خلال النمو في الاستثمارات بشكل حيوي وفعال.

ولعل التقدم الكبير يبدو وبشكل أوضح في القطاع الزراعي الذي نما بمعدل ٤,٢ ٪ خلال العام ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ م متجاوزًا الهدف المالي المحدود بـ٢,٥ ٪، ويعتبر القطاع الزراعي العمود الفقري للاقتصاد الوطني حيث يساهم بنسبة ٤٠ ٪ من إجمالي الناتج المحلي، متضمنًا ذلك قطاعات الماشية والدواجن والأسماك والثروة الحيوانية، وإذا زاد النمو في هذا القطاع، فذلك يدفع بشكل تلقائي الزيادة في إجمالي الناتج الوطني والمحلي، سيما وأن القطاع الصناعي الباكستاني يعتمد بشكل رئيس على قطاع الزراعة وما ينتجه أيضًا.

وبشكل عام فالصناعات في باكستان تقوم أساسًا على المنتجات الزراعية، وتزدهر حينما يزدهر القطاع الزراعي، ويحقق نموًا مهمًا.

القطاع الزراعي ينتعش

والقطاع الزراعي بعد أن شهد تراجعًا قبل عامين قفز مرة أخرى، واستعاد نموه هذه العام لأسباب منها: توفر المياه بسبب الأمطار الغزيرة التي هطلت في موعدها المناسب، والتي وضعت حدًا لسنوات طويلة من الجفاف.

وفي العام الماضي حقق قطاع الزراعة نموًا حقيقياً للناتج المحلي الإجمالي، والذي بلغ ٥,١ ٪ متجاوزًا عنق الزجاجة.

وحققت باكستان ناتجًا محليًا إجماليًا مقداره ٣,٤٪ فقط للعام المالي ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، بسبب الجفاف وأوضاع المياه السيئة، لكن إنتاج المحاصيل الرئيسة تحسنت مع توفر المياه الذي مهد بدوره الطريق إلى انتعاش الاقتصاد واستقراره على الصعيد الداخلي، وخلف ظروفًا بناءة، وبيئة إيجابية على الصعيد الخارجي.

قطاع التصنيع أيضًا استطاع تحقيق نمو مهم موازٍ لقطاع الزراعة، وكان الهدف أساسًا تحقيق هامش نمو يبلغ ٥,٨٪ خلال العام المالي ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ مبني على التقديرات بأن الصناعات الرئيسة ستنمو بنسبة ٦٪، لكن تحققت قفزة كبيرة جدًا تمثلت

في مضاعفة الهدف الذي حقق ٨ ٪ بشكل عام، و نسبة ٨,٧٪ في قطاع الصناعات الشائعة والرئيسة.

القطاع الصناعي

القطاع الصناعي بشكل عام، وقطاع السيارات بشكل خاص حققا نجاحًا مهمًا بالوصول إلى السيولة بفائدة منخفضة متزامنة مع انخفاض في تكاليف الإنتاج، وزيادة في الطلب من قبل المستهلكين للسلع الدائمة مثل: أجهزة التلفاز التي حققت زيادة في الإنتاج تبلغ ٥٩٪، والثلاجات التي زاد إنتاجها بنسبة ٢٣٪ خلال العام الحالي ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣. بينما شهد قطاع الاتصالات والمواصلات نموًا هامشيًا، وحققت الخطوط الجوية الباكستانية (بي آي إيه) والسكك الحديدية أعلى فائدة لها في هذا المضمار.

وبذلك تجاوزت نسبتا الاستثمار والناتج المحلي الهدف المحدد، وزادتا عن العام الماضي الذي حققتا فيه نسبة ٤,٧٪، فقد قفزت النسبتان إلى ١٥٪ في العام المالي ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ لهذا خفضت البنوك نسبة الفائدة على السيولة الزائدة في مؤشر إيجابي، على أن ذلك سيزيد من الاستثمارات الثابتة.

ويتوقع أن تسبب السيولة المتوفرة في القطاع الخاص، والزيادة من استيراد الآلات والمكائن زيادة الإنتاجية الصناعية في السنوات المقبلة.

الاستيراد والتصدير

وعلى الصعيد الخارجي تحسن ميزان المدفوعات بشكل ملحوظ خلال العام المالي ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣، وشهد قطاع التصدير والاستيراد زيادة ملحوظة، وشهدت التحويلات المالية للعاملين الباكستانيين في الخارج قفزة لم يسبق لها مثيل، وزاد الفائض في الحسابات الجارية، وحققت الروبية قوة تبلغ حوالي ٤٪، وقفزت المدخرات الأجنبية إلى ١١ مليار دولار، لتحقق بذلك الاستقرار الذي طال انتظاره في سوق صرف العملات. وبلغت الصادرات خلال العام المالي ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ نسبة ١١,٠٣٪ مليارًا، وذلك لأول مرة في تاريخ البلاد؛ حيث إن معدل النمو الذي بلغ ٢٠,٦٧٪ من العام المالي ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ يشير إلى أن أداء الصادرات كان ملحوظًا، حيث جاوز الهدف المرصود، وهو ١٠,٤٪ مليار دولار، بحوالي ٦,٠٦٪، أي ٦٣٠,٥٤ مليون دولار. وتمكنت باكستان من تصدير القطن الخام والقمح خلال العام المالي الماضي، رغم أنه يبدو صعوبة تكرار ذلك هذا العام، لكن تبقى الآمال قائمة لانتعاش السوق مجددًا، مع انتعاش المحاصيل.

ومن المؤلم كذلك كشف الحقيقة، في أن نسبة الفقر قد زادت في باكستان خلال السنوات الأربعة الماضية

وبلغت نسبة صادرات مصنوعات النسيج ٥٦٤٤,٨ مليون دولار خلال العام الماضي، أي ما يوازي ٦٤٪ من إجمالي الصادرات، بالمقارنة مع ٤٦٦١,٩ مليون دولار بنفس الفترة من العام الماضي.

وتشير التوقعات إلى أن التغيير في تركيبة الصادرات الباكستانية يبرهن على أن باكستان لم تعد تعتمد بشكل رئيس على تصدير السلع الخام، لكسب العملات الأجنبية، لكن على أية حال، فباكستان لا زالت تعتمد بشكل كبير على الصادرات التي تعتمد على التصنيع اليدوي، ولا تكلف كثيرًا.

وترتبط باكستان بعلاقات تجارية مع عدد كبير من الدول، غير أن صادراتها تتركز على عدد محدود من هذه الدول، وتقريبًا أكثر بقليل من نصف الصادرات الباكستانية تذهب إلى سبعة دول هي:

الولايات المتحدة الأمريكية - ألمانيا - اليابان - المملكة المتحدة - هونغ كونغ - المملكة العربية السعودية - الإمارات العربية المتحدة، ومن بين هذه الدول حصة الصادرات الباكستانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية شهدت ارتفاعًا، بينما تشهد مع اليابان انخفاضًا مستمرًا، ربما للتأثيرات والظروف التي يواجهها الاقتصاد الياباني.

وطوال السنوات الماضية كان نصيب الصادرات الباكستانية إلى ألمانيا والمملكة المتحدة وهونغ كونغ والمملكة العربية السعودية راكدًا مع بعض التذبذبات البسيطة فيه.



وتتركز واردات باكستان بشكل كبير على بعض السلع، كالمكائن، والبترول ومنتجاته، والكيماويات، ومعدات النقل، وزيت الطعام، والحديد الصلب، والأسمدة، والشاي، وتشكل هذه المواد الثمانية ما يزيد على ٧٠٪ من إجمالي الواردات، ومن بينها المكائن ومنتجاتها، والبترول ومشتقاته، والكيماويات تشكل ٦٠٪ من مجموع الواردات، وقد طرأ تغيير ملموس على بعض الواردات خلال السنوات الماضية، حيث زاد استيراد المكائن نظرًا للحاجة الزائدة لإنتاج الطاقة، ومكائن النسيج الكهربائية الحديثة، ومكائن البناء، والآلات المستخدمة في المناجم.

ضرورة ملحة

باكستان التي جنت ثمنًا ساهم في تحسين وضعها الاقتصادي، لوقوفها في صف الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد ما يوصف بالإرهاب، وملاحقة عناصر مطلوبة من تنظيم القاعدة على أراضيها، والتخلي عن حركة طالبان، وتسليم واشنطن ما يقدر عددهم بخمسمئة مطلوب من القاعدة، إضافة إلى إغلاق مكاتب الفصائل الكشميرية التي كانت تتخذ من باكستان مقرًا لها، والذي تمثل بـ:

- منحة أمريكية لإسلام آباد تقدر بثلاثة مليارات دولار على خلفية مواقفها ومساعداتها لأمريكا.
- رفع العقوبات التي كانت مفروضة عليها.
- السماح لباكستان بزيادة صادرتها لأمريكا نفسها، وللدول الأوروبية.

ورغم ذلك كله، إلا أنه لا زالت هناك حاجة لبلورة استراتيجية جدية لزيادة النمو، وتحسين وضع الاقتصاد على أسس قوية لمواجهة التحديات في مرحلة ما بعد منظمة التجارة العالمية.

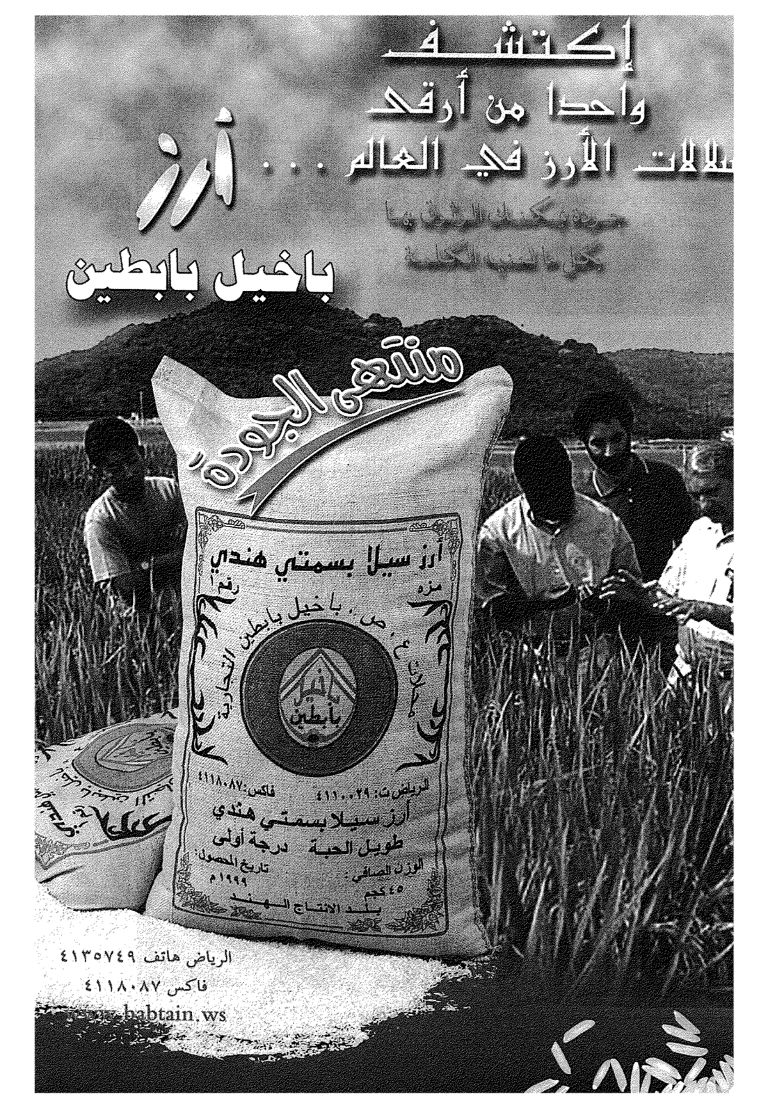
ويبقى القول بأن البلاد لا زالت تواجه برنامجًا غير مكتمل، يتطلب معاجلة سريعة، وتركيزًا على إيجاد مدراء اقتصاديين، يدفعون بعجلة الاقتصاد إلى مدارات أعلى، وكذلك على صانعي السياسة، وضع خطط قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى، ليتم من خلالها القضاء على الفقر، وتحسين الظروف المعيشية، وزيادة الناتج الزراعي، وزيادة الصادرات، وجلب الاستثمارات للبلد.

حقيقة مؤلمة

ومن المؤلم كذلك كشف الحقيقة، في أن نسبة الفقر قد زادت في باكستان خلال السنوات الأربعة الماضية، والاقتصاد الباكستاني - دون شك - يسير في مرحلة انطلاق، ويظهر نوعاً من الاستقرار، وإعادة الهيكلة، لكن يبقى ذلك ناقصًا ما لم ينعكس إيجابيًا على حياة الجماهير، ويوقف حالة الفقر التي تعانيها نسبة كبيرة من الشعب.

ويتعين على المخططين الاقتصاديين وضع استراتيجيات وأهداف للنمو الاقتصادي، تتضمن الربط بين قطاعات الزراعة والصناعة والأعمال، على أن يكمل كل قطاع القطاع الآخر، ويزيد من إنتاجيته.

ولما كانت الزراعة القطاع الأوسع في البلد، والعمود الفقري للاقتصاد، فيجب التركيز عليها بشكل خاص، لمواجهة التحديات المستقبلية، وخطط منظمة التجارة العالمية، بحيث تصبح المنتجات الباكستانية قادرة على المنافسة في الأسواق العالمية.


إكتشف
واحدا من أرقى
سلالات الأرز في العالم . . .
أرز
باخيل بابطين
منتهى الجودة
أرز سيلا بسمتي هندي
مزه
رقم ١
باخيل بابطين
الرياض ت: ٤١١٠٠٢٩ فاكس: ٤١١٨٠٨٧
أرز سيلا بسمتي هندي
طويل الحبة درجة أولى
الوزن الصافي: ٤٥ كجم
تاريخ المحصول: ١٩٩٩م
بلد الانتاج الهند
الرياض هاتف ٤١٣٥٧٤٩
فاكس ٤١١٨٠٨٧
babtain.ws

وسائل الإعلام الباكستانية

عوائق الحكومة تعرقلها وأخبار «الحرب» تطورها

أحمد موفق زيدان . إسلام آباد*

* إعلامي عربي مقيم في باكستان .

حظيت وسائل الإعلام الباكستانية بسمعة ومكانة دولية غير مسبوقة في غضون السنوات التي رافقت عصر الجهاد الأفغاني منذ عام ١٩٧٩ وحتى الآن؛ إذ كانت هذه الوسائل الإعلامية وأصحابها الصحفيون الباكستانيون النوافذ الأساسية التي أطل العالم من خلالها على ساحة الحرب الأفغانية التي شهدت تغطية وتركيزًا إعلاميًا لافتًا طوال السنوات الماضية.

هذا المدخل مهم لفهم ظاهرة تنامي دور الصحافة الباكستانية، ولعل ما زاد ذلك هو هامش الحرية الواسع الذي تحظى به الصحافة الباكستانية بسبب الديمقراطية التي تعيشها باكستان لوجود حياة حزبية حرة ومؤسسات ومنظمات مدنية متشعبة ومتعددة.

الصحافة الباكستانية المكتوبة أصلها باللغة الأوردية وهي اللغة التي ينطق بها مئات الملايين من المواطنين في شبه القارة الهندية كباكستان وبنغلادش والهند وهو ما يعزز من أهميتها ودورها، ولها مواقع على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت»، ثم هناك الصحافة باللغات المحلية وهي كثيرة، وهناك الأهم من ذلك الصحف الباكستانية الإنجليزية التي لديها دور صحافة عريقة ومعروفة مثل الدون، ونيوز نيشن، الديلي تايمز والأبزرفر، والفرونتير بوست، والستيت مان وغيرها.

ويصل عدد الصحف القومية الباكستانية والمسجلة رسميًا إلى ١٠٩ صحف، كما يصل عدد مجلاتها القومية إلى ٢٠١ مجلة، ويصل عدد الصحف والمجلات المناطقية إلى ٥٢٥ مجلة وصحيفة.

ما كبّل الإعلام الباكستاني خلال مسيرته الماضية هو تعاقب الحكومات العسكرية والمدنية على هذا البلد والذي لم يوفر له فرص الاستقرار والسلام، وبالتالي عاش الصحافيون والإعلاميون الباكستانيون حالة حصار علنية وسرية، وربما حالة من الحصار النفسي بسبب تدخل المؤسسة العسكرية في كثير من القضايا، وبرز ذلك في تراجع الإعلام الباكستاني في تغطيته لأحداث أفغانستان وفلسطين والعراق عما كان في السابق، وبدأت الصحافة الباكستانية نشر ما تتعرض له القوات الأمريكية في أفغانستان في الصفحات الخلفية أو الداخلية دون إبرازها، بينما كان الأمر مختلفًا في السابق حين كانت تنشر مثل هذه الأخبار في صدر صفحاتها، وتدفع بذلك وكالات الأنباء الأجنبية إلى النقل عنها وهو ما يبرزها ويعلي مكانتها الدولية.

ورغم رفض الكثير من الصحافيين الباكستانيين الحديث عن مثل هذه المعوقات التي قد تخطر على بال الكثيرين من التدخل في الصحف والفضائيات الباكستانية من قبل المؤسسة العسكرية فإن الواقع هو أن الصحافي غدا رقيبًا على نفسه وهو أخطر أنواع الرقابة التي يمكن أن «تهيمن» على الصحافي.

ما يلاحظ في ظل الثورة الإعلامية الرقمية والفضائية هو أن عدة فضائيات باكستانية قفزت إلى الصدارة، وإن كان ثمة مكبلات ومعوقات أساسية ومهمة تحول دون حالة الإقلاع المنتظرة للإعلام الباكستاني، أساسها حزمة من القوانين البيروقراطية التي تكبل هذه الانطلاقة وتحول دون تصدرها المكانة اللائقة بها في المنطقة، لكن انتشار اللغة الإنجليزية في باكستان، والتي هي وسيلة التواصل الرئيسة بين شعوب العالم، ربما سيعزز من مكانة ودور الإعلام الباكستاني الذي يعول عليه المجتمع في إيصال صوته إلى الخارج.

على صعيد الصحف والمجلات هناك الآلاف من هذه المطبوعات وتقوم كل جماعة سياسية أو دينية وحتى المدارس والجامعات بإصدار مثل هذه الدوريات وهو ما يشيع ظاهرة الشفافية في باكستان، وعدم لجوء مثل هذه المجموعات إلى حالة السر والعمل السري كما يحصل في بعض المجتمعات، الأمر الذي يسبب اختناقات وإفرازات خطيرة قد تودي بالمجتمع وتهز نسيجه الاجتماعي بمخاطر لا تحمد عقباها. وهناك أكثر من ست فضائيات باكستانية لعل أهمها فضائية جيو أي «يعيش» التي تركز على الأخبار المحلية، ومع ذلك فقد دفعت بطاقمها الصحافي إلى العراق وهو ما يحصل لأول مرة في أن تقوم وسيلة إعلامية باكستانية بإرسال فريق لها إلى دول عربية لتغطية قضية عربية، الأمر الذي حفز

الكثيرين في الفضائيات الباكستانية وحتى الفضائية الحكومية إلى إرسال طاقمها لهذا الغرض.

هذا الانتشار في الإعلام الفضائي الباكستاني ساعد الأحزاب السياسية الباكستانية، خصوصًا المعارضة منها على إيصال رسالتها وصوتها إلى الشعب الباكستاني بعد أن كانت الحكومة تحد من مقابلة وظهور المعارضة على فضائياتها، الأمر الذي سيزيد من هامش الحرية ويقلص من تغوّل الدولة والحكومة في المجتمع والدولة والشعب بشكل عام.

ورغم كل هذا فإن الحكومة الباكستانية لم ترفع حتى الآن حظر قيام فضائيات باكستانية على أيدي الأحزاب السياسية الباكستانية مع توفر حالة الديمقراطية في البلاد، وهناك الكثير من الفضائيات الباكستانية التي لا تزال تبث من خارج باكستان، الأمر الذي يعني أن البيروقراطية الباكستانية والقوانين الجائرة لا تزال معوقًا أساسيًا في أية نهضة إعلامية باكستانية، وتدعو كثير من الأصوات الباكستانية العاقلة والمثقفة إلى فتح السموات الإعلامية أمام الإعلام الباكستاني في ظل انتشار محموم للإعلام الهندي الخاص، وهو ما يكون سندًا مهمًا للبلد في حال حصول أية مواجهة بين البلدين، ولا سيما قد ثبت بالدليل القاطع عجز الإعلام الوطني والحكومي والرسمي عن الدفاع عن وجهات نظر البلاد، والقيام بالأعمال الموكولة إليه في ظل هذه الثورة الإعلامية والرقمية الهائلة التي أبعدت المواطن العادي عن كل ما يقال عنه إعلام رسمي وحكومي؛ لعدم ثقة المشاهد بالمعلومات التي يقدمها، بالإضافة إلى حالة الملل والسأم التي أصابت المشاهد من إدمانه مشاهدة فضائيات وتلفزيونات حكومية طوال العقود الماضية، وبالتالي غدا جائعًا لكل ما هو جديد وألمت به حالة تمرد خطيرة ضد كل ما هو حكومي وعطش حقيقي لكل ما هو غير حكومي.

لكن بالمقابل لا تزال هذه القنوات الفضائية الخاصة مكبلة بمشاكل مثل عدم القدرة على التطوير والإنفاق على مؤسساتها ومواردها البشرية، وهو ما سيعني أنها ستتوقف عند حالتها التي انطلقت منها بسبب عدم تجهيز استوديوهاتها أو العجز عن تطوير موظفيها، والرقي بمستواهم الإعلامي من خلال الارتباط بمؤسسات إعلامية دولية سباقة في هذا المجال لاكتساب خبراتها في ذلك. وبالمحصلة فإنه ما لم تتوفر القناعة لدى القائمين على هذه الفضائيات بضرورة الإنفاق وعدم الانتظار للنتيجة الآنية، بالإضافة إلى أهمية أن يقوم الإعلاميون في هذه القناة بتقرير مستقبلها وإداراتها وأن تحسب الأمور بالحساب المهني وليس بالحساب المالي من قبل ممول المؤسسة فإن هذه الفضائيات حتى ذلك الحين ستبقى تعيش على ما انطلقت وتأسست عليه وتتجمد عند هذه الحالة وهو مؤشر غير صحي وخطير على هذه الوسائل الإعلامية الصاعدة حديثًا.

وهناك مشكلة أخرى تعانيها وسائل الإعلام الباكستانية وربما تشترك مع غيرها فيها، وهو هيمنة الدعايات الحكومية على مضمونها وتوجهاتها وبالتالي تقوم الحكومة بدفع هذه الدعايات الإعلانية للجرائد والوسائل الإعلامية المقربة منها غير آبهة في المكانة التي تحظى بها هذه الوسيلة أو تلك، وهذا ما يرهق بعض الوسائل الإعلامية الحرة أو التي تنتهج نهجًا مستقلاً أو مناكفًا في بعض الأحيان للحكومة فيتم الزج ببعض كتابها ورؤساء تحريرها في السجون بحجة أو بأخرى،



وإن كان السبب الحقيقي والخفي هو الخلاف مع الحكومة وسياستها.

ولكن لا بد من التطرق هنا إلى مسألة في غاية الأهمية بالنسبة لباكستان وهي دور وسائل الإعلام الباكستانية في التنمية التي تعيشها البلاد ويتمثل ذلك في كثرة اللغات المنتشرة في البلاد، الأمر الذي يحرم شريحة واسعة من الباكستانيين من التواصل مع ما تتطرق إليه هذه الفضائيات، فاللغة الموحدة هي وعاء الوحدة الوطنية والقومية لأي بلد وأي شعب وهو الأمر غير المتوفر في باكستان.

غياب الكهرباء عن كثير من القرى والبلدات الباكستانية يمثل أيضًا دورًا مهمًا ومحوريًا في تأخر أو تقدم عملية الوعي الإعلامي والتنموي التي قد تحصل من خلال الوسيلة الإعلامية التلفزيونية ونحوها وهو ما يفرض على الحكومة اهتمامًا أكثر بهذه المسألة.

وبسبب الموقع الجغرافي الباكستاني وحالة ما وصف بالحرب على الإرهاب تميز الموقع الإعلامي الباكستاني باستقطابه وجذبه لوسائل الإعلام الدولية، وهو ما وفر للإعلاميين الباكستانيين الاحتكاك مع وسائل الإعلام الدولية والتعرف على خبراتها مهما كانت لغتها وجنسيتها، وهذا ما عزز من خبرات وأدوار وسائل الإعلام الباكستانية، يضاف إلى ذلك تخصيص زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن وسائل الإعلام الباكستانية والصحافيين الباكستانيين بعدة مقابلات، الأمر الذي أشهر الصحافة الباكستانية والصحافيين الباكستانيين.

اقتصاد ما عُرف بالفضائيات انعكس بدوره على الإعلام الباكستاني والشارع الباكستاني، حيث اشتغل معظم الصحافيين الباكستانيين منسقين إخباريين لهذه الفضائيات الدولية وهو ما وفر لهم راتبًا محترمًا وخبرة دولية بسبب احتكاكهم وتفاعلهم مع رموز الصحافة الدولية والعالمية.

هامش الحرية الصحافية والإعلامية الباكستانية يتجلى أيضًا في العدد الكبير من النوادي والنقابات الصحافية الباكستانية المنتشرة وبقوة في كل باكستان، حيث يقف الصحافيون الباكستانيون وبقوة إلى جانب القضايا التي تهم الإعلام الباكستاني وكذلك الإعلام العالمي كما حصل في تضامنهم مع قناة الجزيرة حين تعرض مكتبها إلى القصف في بغداد وأسفر عن مقتل أحد مراسليها وهو الزميل طارق أيوب. كما تضامن الصحافيون الباكستانيون مع الزميل تيسير علوني الذي

يصل عدد الصحف القومية الباكستانية والمسجلة رسميًا إلى ١٠٩ صحف، كما يصل عدد مجلاتها القومية إلى ٢٠١ مجلة، ويصل عدد الصحف والمجلات المناطقية إلى ٥٢٥ مجلة وصحيفة

اعتقل من قبل السلطات الإسبانية. ويقف الصحافيون الباكستانيون بقوة ضد كل القوانين التي تهدد بالحد من حرياته وتنال من حقوقه، وإن كان تداول السلطة من قبل العسكريين والسياسيين الباكستانيين عادة ما تعرقل أعمالهم ونشاطاتهم، غير أنهم يسعون وبكل قوة إلى المحافظة على المكتسبات التي حققوها ويعملون على تعزيزها وتقويتها من أجل هامش صحافي أفضل.

من الإشكاليات الأساسية في الإعلام الباكستاني غياب التنسيق بين الجامعات والوسائل الإعلامية الباكستانية، الأمر الذي يحول دون ظهور كفاءات وقدرات مميزة في الصحافة الباكستانية، بل إن معظم الكفاءات الإعلامية الباكستانية ليست خريجة كليات الصحافة والإعلام، وتفتقر كليات الإعلام الباكستانية القليلة إلى كثير من المعدات والتجهيزات الحديثة.

كما تفتقد كليات الإعلام الباكستانية مراكز تدريب متخصصة وقادرة على ضخ دماء جديدة في الدورة الدموية الإعلامية الباكستانية، ولكن يبدو أن افتقاد المدرسين فيها الخبرة العملية في مجال الإعلام سيجعل مثل هذا الأمر صعبًا للغاية، ولكن الكل يجمع هنا على أن السبب الرئيس لهذا التراجع والانحدار هو الأزمة المالية التي تمر بها مثل هذه الكليات التي تفتقر إلى موارد ودعم حكومي كبير يقوم بتجهيز هذه الكليات بكل الوسائل والتقنية الحديثة من أجل التماشي مع العصر الإعلامي الفضائي الذي يتسابق فيما بينه على التكنولوجيا والتقنية وعلى العناصر الماهرة في مجالها.



السياحة في باكستان :

أطول « تلفريك »
وأجمل حديقة
وثاني أعلى قمة جبلية في العالم

اغا إقرار هارون - إسلام اباد*

* رئيس جمعية السياحة الباكستانية .

باكستان أرض متنوعة المناظر والتضاريس، ومتباينة الأجواء والطقوس. وبينما تمتد فيها سلاسل الجبال الشاهقة على طول الحدود الشمالية، تمتد سلاسل جبلية منخفضة على الحدود الجنوبية الغربية، ومن أشهرها: جبال سليمان، وجبال مكران، وجبال كرثار. وتتواصل هذه السلاسل الجبلية المنخفضة من سهول بلوشستان إلى الشرق الدافئ، وشواطئ بحر العرب في إقليم السند الذي فيه عاصمة المال الباكستانية «كراتشي».

ومن المعلوم أن إيران وباكستان والهند والنيبال تعد من أبرز وأشهر مناطق جنوب آسيا من حيث السياحة، وباكستان تحديدًا تعتبر بوابة الهند والنيبال وإيران، حيث يمكن السفر إليها برًا وبحرًا وجوًا. وتمتاز باكستان عن هذه الدول بوجود قمة «كي تو» الشهيرة، والمعروفة في كتب التاريخ الإسلامي بـ «قرا قرم»، والتي تعد ثاني أعلى قمم العالم، بعد قمة «إيفريست».

وكذلك تتميز بوجود صحارى «ثرباركر» الشديدة الحرارة، التي تتصل أيضًا بمياه بحر العرب الزرقاء، وتوجد في باكستان أقدم الحضارات، كحضارة وادي السند، وموئنجدورو و هرابا المندثرتين تحت الرمال عبر العصور الماضية.

وهناك إقليم الحدود الشمالية الغربية، وعاصمته «بيشاور» التي ذاع صيتها أثناء الحرب التي خاضتها الفصائل الأفغانية ضد الاتحاد السوفييتي في الثمانينيات، على اعتبارها كانت مركزًا لتحركهم واستقرارهم.

ويحظى الإقليم بجغرافية متميزة، لها طبيعتها الخاصة، خلافًا للأقاليم الباكستانية الثلاثة الأخرى، حيث قبائل البشتون المشهورة في جميع أنحاء العالم، والتي تتشاطر مع الشعب الأفغاني، البشتوني منهم، معظم العادات والتقاليد وروابط الدم والقرابة. وسكان الإقليم يتمتعون بحكم شبه ذاتي، ويعتبر الإقليم من المناطق غير منزوعة السلاح في باكستان، ويرتاد مناطق الإقليم سنويًا ما بين ١٥٠ إلى ٢٠٠ ألف سائح أجنبي سنويًا، وما يزيد عن ٣٠٠ ألف سائح محلي في كل عام، وتنتشر فيه المصانع اليدوية والبدائية لصناعة الأسلحة بكل أنواعها وأشكالها.

وباكستان هي البلد الوحيد في العالم الذي تتقاطع فيه أطول وأعلى ثلاث سلاسل جبلية، وهي جبال الـ «هندوكوش» و «قرا قرم» و «همالايا»، حيث تتقاطع قرب منطقة «جلجت» شمالي غرب باكستان في منظر رائع أخّاذ للأبصار.

وعلى مساحة ٥٠٠ كم عرضًا و٣٥٠ كم طولاً توجد سبعمائة قمة جبلية بارتفاع ستة آلاف متر.

وهناك مائة وستون قمة جبلية بارتفاع سبعة آلاف متر.

وثمة خمس قمم ارتفاعها ثمانية آلاف متر، وهو ما يشكل أعلى أهرامات طبيعية تعرف بقمة «كي تو»، وارتفاعها يصل إلى ٨٦١١ مترًا، وقمة «نانجا بربت» المعروفة أيضًا بقمة الموت، وارتفاعها ٨١٢٥ مترًا، وقمة «غاشير برم» الأولى، وارتفاعها ٨٠٦٨ مترًا، وقمة «غاشير برم» الثانية، وارتفاعها يبلغ ٨٠٣٥ مترًا، وقمة «برود» التي يبلغ ارتفاعها ٨٠٤٧ مترًا.

هذا الكنز الطبيعي الخلاب الذي منحته القدرة الإلهية لباكستان، أدخلها في قائمة

الدول التي يقصدها السياح، خصوصًا ممن يعشقون تسلق هذه القمم الشاهقة الارتفاع، لتسجيل الأرقام العالمية القياسية، وليدر ذلك دخلاً سياحيًا كبيرًا على البلد، يسد لها الكثير من الضروريات الاقتصادية.

لماذا باكستان؟

رغم أن باكستان كغيرها من دول العالم السياحية تضم الجبال والأنهار والغابات وغيرها،فإنها انفردت ببعض الميزات والعوالم التي لا تتوفر في نظيراتها، لاسيما والمناطق الباكستانية تتقلب بين مواسم مختلفة ومتباينة، ففي الوقت الذي تكون فيه بعض المناطق حارة في موسم الصيف كإقليم البنجاب، تجد المناطق الشمالية غاية في البرودة، وفي الوقت الذي تعاني منه بعض المناطق مواسم جفاف كإقليم بلوشستان، يكون إقليم السند رطبًا جدًا، وهو ما جعل الفواكه الصيفية والشتوية، وفواكه المناطق الحارة والباردة متوفرة معًا في باكستان، ومن هذه الميزات التي انفرد بها البلد وجود: أعلى سلاسل جبلية في العالم، سلسلتا «قرا قرم» و«همالايا»، اللتان تعدان أعلى قمم في العالم، وتكونتا ـ حسب الدراسات الجيولوجية ـ قبل خمسة ملايين سنة، وعثر فيهما على بقايا من الديناصورات المختلفة الأشكال والأحجام. ومن المدهش أن هذه الجبال تنمو، وكأنها كائن حي، ويزداد ارتفاعها بمقدار خمسة سنتيمترات سنويًا. وتغطي معظم هذه الجبال الصخور السوداء المتشابكة، إضافة إلى الثلوج التي تغطي أعلى قممها، والتي تبقى دون ذوبان على بعض القمم، مثل قمة «نانجا بربت».

مواقع مهمة :

جلجت

تقع منطقة جلجت على ارتفاع ١٤٥٤ مترًا، في نهاية وادي جلجت، لتعطي منظرًا جماليًا غاية في الروعة، حيث تحيط بها البحيرات والأنهار والجبال الشاهقة، وبعض القمم.

وتعد جلجت من أقدم وأعلى القمم، وفيها قمة «راكا بوشي» التي يبلغ ارتفاعها ٧٧٨٨ مترًا.

ويعتبر أفضل وقت لزيارتها ما بين شهري مايو (أيار) وأكتوبر (تشرين الأول) من كل عام، وذلك بسبب برودة الجو الشديدة، في الوقت الذي تكون فيه الحرارة في المناطق الباكستانية الأخرى ما بين ٤٠ إلى ٥٠ درجة مئوية.

وتحيط بمدينة جلجت المعالم السياحية التالية:

ممر «شندور»

ويبلغ طوله ٢٥٠ كيلو مترًا، ويربط منطقة جلجت بمنطقة «شترال» السياحية، التي لا تقل نضارة عن المنطقة نفسها، بطريق يصل إلى ٢٥٠ كيلو مترًا.

بحيرة «راما»

وهي تتغذى في مياهها العذبة على الروافد التي شكلها ذوبان الثلوج التي تغطي قمة نانجا بربت طوال العام، وهي تبعد عن جلجت المدينة ١٢٠ كيلو مترًا.

بحيرة راما تستهوي أصحاب المغامرات والمتسلقين وعشاق الفن، باعتبارها منطقة هادئة ونقية الهواء وعذبة المياه، وكذلك يزورها محبو رياضة البولو.

منطقة «نلتار»

وتمتاز بمناظرها الطبيعية الخلابة، حيث تكسوها حلة من غابات الصنوبر، وترتفع إلى ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر، وتحيط بها قمم شاهقة من جميع الجوانب، وتغطيها الثلوج طوال العام.

ويمر الطريق إليها عبر جبال صخرية حادة، ومضايق تتصل بحقول سهلية ومنحدرات جبلية من حين لآخر.

نلتار تستهوي عشاق المشي في الغابات، وعاشقي صيد الأسماك، خصوصًا أن فيها كميات كبيرة من سمك «التراوت» المعروف عالميًا.

ممر «خنجراب»

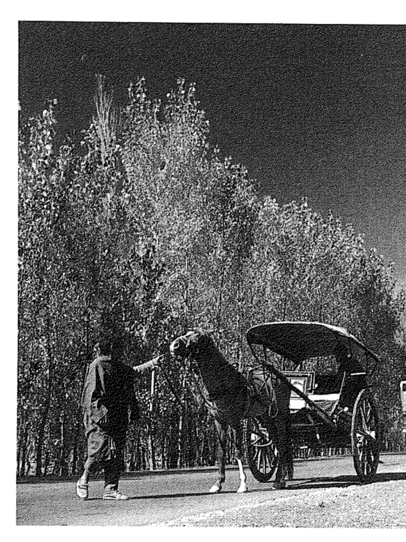
وهو ممر هام كونه يفصل بين الصين وباكستان،

يعتبر معلم جبة من أشهر مناطق التزلج على الجليد في العالم ، وفيها أطول كرسي كهربائي متنقل «تل فريك» ، ويبلغ طوله ٨٠٠ متر

ويبلغ ارتفاعه ٤٧٣٣ مترًا، ويعرف بأعلى ممر دولي في العالم، حيث يقرأ من يصل إليه لوحة كتب عليها: كي تصل الصين اتجه يمينًا، وكي تعود إلى باكستان اتجه شمالاً.

وفيه منابع مائية كثيرة، الأمر الذي جعل الشلالات المائية المتصببة من القمم فيه كثيرة جدًا، وخصوصًا على جانبي الممر نفسه.

ومما يدهش السائح في بعض أجزاء الممر ملاحظته أن الجانب المحاذي منه للجهة الباكستانية تكسوه الرمال، ولا أثر فيه للحياة والسكان، في حين أن الجانب الملاصق للصين يرى جنة خضراء، تنتشر فيه قطعان الماشية، والغزلان، والأغنام البرية المعروفة بالأغنام الطاجيكية.



«سكردو»

مساحات خضراء واسعة، محاصرة بين الجبال الشاهقة، يصل إليها السياح عبر ممرات صخرية ضيقة ومتشابكة، وفيها كميات كبيرة من الشلالات والبحيرات الهادئة، ويخترقها نهر «السند» ونهر «شيغار»، وتقع على ارتفاع يصل إلى ٢٢٨٦ مترًا، وطقسها بارد في معظم أشهر السنة، ويحاذيها إقليم «لداخ» الكشميري في الشطر الهندي من كشمير، وتحيط بها من الشمال ولاية «سينك يانك» الصينية، وفيها العديد من الهضاب المرتفعة، وتشرف عليها أيضًا جبال الكي تو.

وتعد سكردو ملتقى تصب فيها خمسة أودية سحيقة، وهي: وادي شيغار ووادي خابلو وروندو وخرمانج.

الإقليم الشمالي الغربي الحدودي المتاخم لأفغانستان

يمتد الإقليم الشمالي الغربي الحدودي المعروف بإقليم «سرحد» أي الحدود، إلى أكثر من ١١٠٠ كم على طول الحدود الأفغانية، ويضم الجزء الشمالي من الإقليم خمسة أنهار، تجري في خمسة أودية شبه متوازية، وتتجه من الشمال إلى الجنوب، وهي: وادي شترال، ووادي دير، وسوات، وكنر أو (كاغان)، واندس.

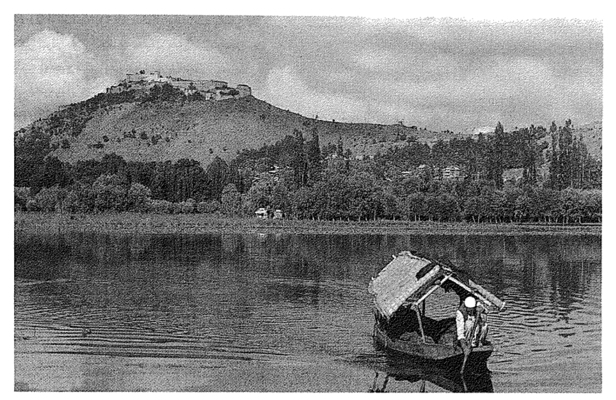
وهذه الأودية شهيرة بالغابات وبخضرتها الدائمة.

وادي سوات

يعد من أقدم الأودية التي عمرت بالحضارات البشرية، وهو من أجمل الأودية، وتتساقط عليه الأمطار بشكل دائم، الأمر الذي يجعله دائم الخضرة، وذا جو بارد وحيوي معظم أوقات السنة.

ويتسع الوادي في بعض الأماكن، ويضيق في البعض الآخر. وما يميز مناطقه زراعة الأرز والقمح والذرة وأشجار الفواكه والخضراوات، وتكسو أعلى قمم الوادي الثلوج التي تتساقط على أشجار الصنوبر والسرو المنتشرة فيها، ويشق وادي سوات طريقه عبر «بري كوت».

وفي الوادي مناطق أثرية، يعود تاريخها إلى خمسة آلاف سنة، وفي عام ٣٢٧م



اكتشفت آثار لمعارك خاضها «الإسكندر الكبير» في المنطقة.

ويتحدث المؤرخون اليونانيون كثيرًا عن وادي سوات، ويعرفونه بـ «أورا» و «بازيرا». وفي القرن الثاني قبل الميلاد سيطر البوذيون على الوادي، وأقاموا فيه حضارة لهم ما زالت معالمها قائمة إلى اليوم، ومتاحف مدينة «بيشاور» وغيرها تضم آلاف التماثيل البوذية التي جاء معظمها من سوات.

معلم جبّة

يعتبر معلم جبة من أشهر مناطق التزلج على الجليد في العالم، وفيها أطول كرسي كهربائي متنقل «تل فريك»، ويبلغ طوله ٨٠٠ متر، ويربط قمم جبلية على ارتفاع ٢٨٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر.

كالام

وادٍ يبلغ طوله حوالي ١٠٠ كيلو متر، وارتفاعه ٢٠٦٠ مترًا فوق سطح البحر، ويلتقي فيه نهرا «أوشو» و «أوتروت»، ومياهه تعتبر من أشد المياه برودة، ويشتهر بأسماك التراوت.

وادي جبرال

يقع خلف وادي كالام، وتنتشر فيه المخيمات السياحية، ويؤمه السياح للإقامة فيه لفترات طويلة، يمارسون فيها تسلق الجبال، وصيد الأسماك، وركوب الخيل.

وادي كاغان

يبلغ طوله ١٦١ كيلو مترًا، وتحيط به مرتفعات الهمالايا، كما تتناثر فيه بحيرات وشلالات روعة في الجمال، ويخترق الوادي نهر «كنر» الذي تقع على ضفتيه قرى صغيرة متناثرة.

بحيرة سيف الملوك

وهي من المناطق المشهورة إلى حد كبير في باكستان، تقع على مسافة ١٠ كم من «ناران» وعلى ارتفاع ٩٧٠ مترًا، وتسمى أيضًا بـ «ملكة الجبال».

وبعيدًا عن الجبال والوديان، فإن هناك ثمة أماكن تاريخية أخرى تجلب السياح، نظرًا لعراقتها وارتباطها التاريخي بالحضارات التي كانت ذات يوم مصدر فخر لشبه القارة الهندية، ومن أبرزها:

شترال

منطقة جبلية مرتفعة، يفصلها عن جمهوريات آسيا الوسطى وادي «واخان»، ويرتادها السياح من جميع أنحاء العالم، وخصوصًا من الأوروبيين طيلة أربعة أشهر تقع ما بين شهر يونيو (حزيران) إلى شهر سبتمبر (أيلول) من كل عام، بسبب لطافة جوها في هذه المدة، وذلك لما تتمتع به من طبيعة نضرة، فهي تقع على قمة في سلسلة جبال «الهندوكوش»، حيث يبلغ ارتفاعها

٧٧٨٧ مترًا، ومن الصعوبة بمكان الوصول إليها في فصل الشتاء من داخل الأراضي الباكستانية بسبب إغلاق الثلوج للطرق المؤدية لها، غير أنه يمكن الوصول إليها من الأراضي الأفغانية.

ويقطن منطقة شترال الغالبية من قبائل «كالاش» التي لم يدخل أغلبها في الإسلام، والمعروفة بجمالها الطبيعي، والتي تختلف في خلقتها عن سكان جميع المناطق الباكستانية، إذ يرى المؤرخون أن الكالاشيين يتحدرون من أصول يونانية، وهم أحفاد الإسكندر المقدوني الذين آثروا البقاء في هذه المناطق سكنًا لهم.

وتشتهر بكثرة ينابيعها وغاباتها، ومعظم نسائها يرتدين جلابيب ساترة سوداء، أعدت يدويًا وبدقة متناهية من وبر الماعز والغزلان طيلة أيام العام.

ومن المعروف عن الكالاشيين، أن نسبة كبيرة منهم تجيد اللغة الإنجليزية لكثرة تواصلهم مع السياح الأجانب، خصوصًا أن السياحة تعتبر مصدر دخلهم الأساسي، وهم ممن يحبون الموسيقا والرقص، ولهم احتفالاتهم وأعيادهم الخاصة، والتي يعد أشهرها عيد «جوشي شلم جوشت»، والذي يصادف يومي الرابع عشر والخامس عشر من مايو (أيار) من كل عام، وكذلك عيد «بهول» الذي يصادف العشرين والخامس والعشرين من سبتمبر (أيلول).

ويتميز الكالاشيون ببعض الصفات الغريبة التي لا وجود لها في المناطق الباكستانية الأخرى، بسبب اعتقادات دينية خاصة، كعدم دفن موتاهم في التراب، إذ يتركون جسد الميت في تابوت على سريره الذي كان يستخدمه أثناء حياته مكشوفًا، ويضعون بجانبه فراشه وغطاءه، إضافة إلى بندقيته وفأسه في مقابرهم التي أعدت لذلك، غير أن هذه الظاهرة بدأت خلال العقد الماضي تتلاشى لما تسببه رائحة الموتى من إيذاء لسكان المنطقة.

مدينة هربا

مدينة ضمت أقدم الحضارات في وادي السند، وفيها آثار «منجادارو» أي المقبرة، واكتشف عام ١٩٢٠م، وعثر فيها على مقابر تحتوي على أدوات زراعية قديمة، وأدوات للطعام، مما يؤكد أن أصحابها كانوا يدفنون مع موتاهم جميع حاجياته وأمتعته، بل وعثر على دمى للأطفال وقطع ذهبية صغيرة فيها.

مدينة لاهور

وهي من أقدم المدن في شبه القارة، وتقع على شاطئ نهر «راوي» وحسب خرافات قديمة، فإن إله الهندوس «راما شندرا» هو الذي شيدها قبل ٨٠٠ سنة، ولاهور تضم معالم الحضارتين المغولية والبريطانية. ومن أبرز معالمها: «قلعة شاهي» التي أنشئت عام ١٥٦٦م، ويقال أنها قد عمرت سبع مرات، وكان أولها عام ١٠٢١م، إذ عمرها الهندوس من الطين، وكان آخرها وضعها الحالي الذي شيده المغول.

ويتصل بقلعة شاهي «مسجد شاهي» أي مسجد الملوك الذي يعد من أكبر مساجد العالم، وبناه السلطان «أورنغ زيب» سنة ١٦٧٤م، ويعرف هذا المسجد بمناراته الحمراء التي ترتفع ٥٤ مترًا، بقطر ١٠ أمتار لكل مئذنة.

حديقة شاليمار

تعتبر من معالم مدينة لاهور، وكانت تعد من عجائب الدنيا السبع يومًا ما، وأنشأها السلطان «شاه جهان» على نمط مدهش، وتمر فيها قناة للمياه، حفرت خصيصًا للحديقة، حيث تنعكس عليها الأنوار، ويمكن للزائرين مشاهدة صورهم معكوسة فيها خلال تجوالهم، وتضم عشر نوافير تزينها أشجار المانجو، وهي من الحدائق التي ترعاها اليونسكو.

تكسيلا

تقع قرب العاصمة إسلام آباد، وتضم آثارًا لحضارة «قندارا» البائدة، واكتشفت عام ١٩١٣م من قبل عالم الآثار الشهير «جورج مارشال»، وتضم آثارًا فارسية، ويصنفها المؤرخون اليونانيون على أنها من أقدم مدن العالم، وأنها قد حكمت من قبل اليونانيين والساسانيين. ■

■ تعتبر حديقة شاليمار من معالم مدينة لاهور، وكانت تعد من عجائب الدنيا السبع يومًا ما وتضم عشر نوافير تزينها أشجار المانجو، وهي من الحدائق التي ترعاها اليونسكو ■

المرأة الباكستانية

في المدينة «سيد مطاع»
في الريف «سقط متاع» !

نبيلة أمبرين . إسلام أباد*
ترجمة : محمود عبد السلام

* مسؤولة قسم في البنك العسكري التجاري المحدود .

حازت المرأة الباكستانية مواقع استراتيجية وحساسة في مفاصل إدارة البلد، وتوصلت إلى سدة رئاسة الوزراء أكثر من مرة، وتقلدت وما زالت تتقلد مناصب وزارية مهمة، و كذلك مناصب عضوية في مجلس الأمن القومي، ووصلت عشرات السيدات إلى البرلمان الباكستاني ونحوه من المراكز المرموقة في السياسة الباكستانية، فضلاً عن دخولها معترك الحياة اليومية.

ومن الامتيازات التي حظيت بها المرأة الباكستانية منحها نسبة ٣٣٪ من حجم مقاعد المجالس المحلية بعد وصول الحكومة العسكرية إلى السلطة في عام ١٩٩٩ كسابقة أولى من نوعها في التاريخ الباكستاني، رغم أن هذا القرار العسكري قد أقلق الشارع الإسلامي في باكستان، والذي اعتبره يصطدم مع الثوابت الدينية ومبادئ الشريعة الإسلامية حسب رؤيتهم.

بين الإسلاميين والانفتاحيين

تعارض بعض الجماعات الإسلامية وعلماء الدين في البلد وبشدة وصول النساء إلى مناصب مهمة وحساسة في الدولة، استنادًا إلى فتواهم بعدم جواز تصدر المرأة لأمر المسلمين مع وجود البدائل من الرجال، إضافة إلى تصنيفهم خروج المرأة من بيتها مزاحمة للرجال من الأمور المنهي عنها، الأمر الذي يعرض المجتمع للفساد والانحدار نحو الانحلال والتمزق الخلقي، خصوصًا مع ما يرونه من استغلال بعضهم عمل المرأة في قضايا وأمور بعيدة كل البعد عن مجال العمل الذي تقوم به، أو الذي وظفت من أجله.

ولكن الانفتاحيين الذين غالبًا ما يوظفون الأداة القانونية، والأنظمة المستوردة المعمول بها للحصول على مكاسب مادية ومعنوية للمرأة يخالفون هذا الرأي، لقناعاتهم التي تعتبر أن بعض المطالبين بتطبيق الشريعة عادة ما يميلون إلى الآراء الأكثر تشددًا تحت وطأة الصدام المستمر مع أفكار التغريب والعلمانية التي يشككون في مصداقيتها في جميع المناحي، وهو ما ينعكس بدوره على المرأة وحقوقها حسب قولهم.

ونتيجة ذلك تحولت المرأة الباكستانية إلى موضوع ساخن ومثير للجدل بين أصحاب وجهات النظر المتباينة بشأن مشاركتها للرجل خارج منزلها، فبعضهم يدفع وبشكل قوي نحو تشجيعها للمشاركة في شؤون الحياة العملية، لتشاطر الرجل البناء الاجتماعي دون النظر إلى الفروق الخلقية بين الجنسين، وليتم بناء مجتمع يُعكس فيه إنجازات المرأة بجانب الرجل، وتتبلور فيه همومها ومشاكلها عمليًا، فتلتصق بقضايا المجتمع كالرجل دون دونية أنثوية، ولا يقتصر دورها بعد ذلك على مهمات بيولوجية وتدبيرات منزلية فقط (أدوار تقليدية). في حين البعض الآخر يدعو إلى التجذّر والتمسك بالقيم و بالعادات والتقاليد الموروثة، ولو أدت في بعض الأحيان إلى حرمان المرأة من مكتسباتها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية للمحافظة على المبادئ والقيم التي تميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات في زمن تفشت في أرجائه الفتن وتعاظمت فيه المفاسد.

المرأة الباكستانية اجتماعيًا

المرأة الباكستانية بشكل عام تحظى باحترام قد لا يكون متوفرًا لدى كثير من الرجال في باكستان، فلها الأولوية في جميع المعاملات العامة والخاصة التي تتولى الاضطلاع بها، ولها الأولوية كذلك في الدوائر الحكومية والطرقات.

وليست جميع القوانين التي تطبق على الرجال في المعاملات تطبق على النساء بالمثل، إذ غالبًا ما يتم استثناء المرأة منها، كالوقوف في طوابير المعاملات المصرفية، وتخليص المعاملات في الدوائر الحكومية، فتتجاوز المرأة هذا العناء والانتظار لتتقدم الصف دون تذمر أو معارضة من أحد.

كما تستثنى النساء من مخالفات السير التي يرتكبنها في أثناء القيادة، حسب تصريحات مسؤولين في دوائر المرور الباكستانية، فإن نسبة تقدر بـ٩٠٪ من النساء يقدن السيارات دون رخص قيادة، أو إلمام بقوانين المرور والقيادة.

ويحلو للبعض أن يربط هذه الظاهرة بعدة عوامل، قد تؤثر في إشعار المرأة بمساهمتها الفعلية وتتمثل في:

* سيطرة المرأة الملحوظة أو شبهها على الرجل في المجتمع الباكستاني.

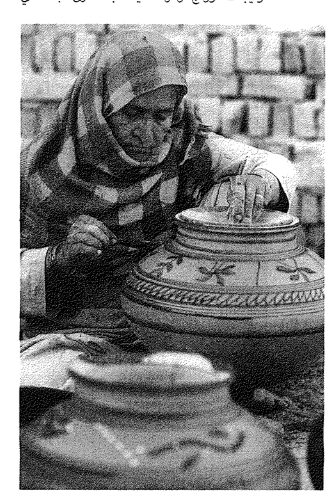
* القيم الآسيوية التي تفسرها النزعة

الإنسانية الخاصة في هذه المجتمعات الجنوب آسيوية إزاء المرأة، من خلال احترامها المفرط الذي يملّكها زمام القرار.

* مشاركتها للرجل ومشاطرته فرص العمل والمصاريف الحياتية.

ضحية الجهاز

في حين يعزو آخرون وبشكل مباشر هذه الظاهرة إلى مفارقة العادة السلبية الشائعة والمكتسبة من الهند في بعض الأقاليم الباكستانية كالبنجاب والسند مثلاً، والتي تلزم المرأة بوجوب إنفاق مبلغ من المال، يتمثل في تجهيز معظم أثاث البيت للزوج الذي عليها حمله إلى بيت زوجها قبل زفافها، بل وقد يصل الأمر أحياناً عند بعض أسر الأزواج إلى رسم قائمة طويلة من الطلبات التي يلزمون زوجات أبنائهم بتجهيزها، الأمر الذي يجعلها ملكة البيت والمتصرف الفعلي منذ يومها الأول فيه، وتستغل المرأة بدفعها المهر منع زوجها من الزواج بأخرى، على اعتبارها قد دفعت له جميع ترتيبات الزواج، وهو ما أيدها به قانون البلد الذي



اشترط على المتزوج حصوله على موافقة زوجته الأولى ليعدد زوجاته أمام القاضي.

ولكن رغم هذه الامتيازات للنساء المدنيات في باكستان، فإن نسبة كبيرة من الريفيات والقرويات اللائى يعتبرن طبقة ثانية لا يحظين بتلك الامتيازات كنظيراتهن المدنيات، خصوصًا بعد أن شاعت وبشكل خطير حوادث جرائم الشرف بدوافع انتقامية أو كسبية بحتة، وهو ما جعل المرأة ضحية أخطاء اجتماعية غاية في التعقيد والإبهام.

وأما في مناطق إقليم الحدود الشمالية الغربية المميزة في باكستان، حيث قبائل البشتون التي تتشاطر مع الشعب الأفغاني العديد من التقاليد والعادات والنسب والمصاهرة، فالمرأة لا حق لها - في الغالب - سوى المأكل والمشرب، ولا تعدو عن كونها متاعًا يورث مقارنة بباقي نساء الأقاليم، إلى الحد الذي يحول دون زواجها من رجل خارج أسرة زوجها في حال وفاته.

المرأة الباكستانية سياسيًا

وأما على الصعيد السياسي، فقد تصدرت بعض السيدات الباكستانيات قيادة أحزاب سياسية فعالة في البلد، مثل رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة «بي نظير بوتو» التي تنتمي إلى عائلة سياسية، حيث تقود «حزب الشعب الباكستاني» رغم أنها تعيش خارج البلد، ووصلت إلى منصب رئاسة الوزراء الباكستانية أكثر من مرة، وكذلك «كلثوم نواز» التي تصدرت لفترة طويلة الزعامة الفعلية لـ«حزب الرابطة الإسلامية» بعد اعتقال العسكر زوجها رئيس الوزراء السابق «نواز شريف» ونفيه خارج البلد، وأيضًا «نسيم ولي خان» التي تقود «حزب العوام القومي» اليساري التوجه، وهناك «غنوة بوتو» زوجة شقيق بي نظير بوتو «ومرتضى بوتو» اللبنانية الأصل، حيث قادت بعد مقتل زوجها حزبه المنشق عن حزب الشعب الباكستاني.

ووصلت بعض السيدات الباكستانيات إلى مناصب وزارية حساسة مثل السيدة «زبيدة جلال» التي تترأس وزارة التربية والتعليم منذ فترة طويلة، وكذلك السيدة «نيلوفر بختيار» التي تشغل مستشارة خاصة لرئيس الوزراء لترقية شؤون المرأة، والسيدة «أسماء جهانغير» رئيسة منظمة حقوق الإنسان في باكستان وغيرهن، إضافة إلى الكثير من السيدات الباكستانيات اللائى خضن معترك الانتخابات في المجالات السياسية وغيرها، خصوصًا بعد الفرصة التي منحتها الحكومة العسكرية في انتخابات المجالس البلدية لهن، والتي اعتبرت نقطة تحول مهمة في السياسة الباكستانية لصالح المرأة، ولا سيما أنها المرة الأولى التي يسمح فيها للمرأة الباكستانية بترشيح نفسها للانتخابات،

بينما كانت تعين في السابق تعييناً في هذه المناصب.

المرأة الباكستانية اقتصاديًا

وأما على الصعيد الاقتصادي فقد نجحت المرأة الباكستانية إلى درجة كبيرة في تصديع وكسر حاجز التبعية الاقتصادية، فخرجت للعمل وكسب القوت بنفسها، لتتحول إلى ند للرجال في كثير من الأحيان والمجالات.

ورغم عدم مساواتها - غالبًا - بالرجل من حيث الراتب، فإن المرأة استطاعت أن تشق طريقها في وسط هذا التحدي، وعملت لتكسب مصاريفها الضرورية، أو لتجمع مهرها الذي فرضته التقاليد والأعراف عليها، أو لترعى أسرتها، خصوصًا أن فرص العمل قد تكون متوفرة بالنسبة للنساء أكثر منها للرجال، بسبب ما يراه البعض من مثابرتهن في إتقان عملهن، وحرصهن أكثر من الرجل على السمعة الحسنة التي قد تعد ضماناً لإجادتهن العمل الذي أوكل إليهن. ومن المناسب الإشارة إلى أنه قد وصل الأمر بالمشاركة النسوية في القطاع المصرفي إلى الخمسين بالمئة أو يزيد.

المرأة الباكستانية ثقافيًا

وعلى الصعيد الثقافي يشكل التعليم في باكستان بالنسبة للمرأة رأس المال الذي تعتمد عليه لفرض احترامها في المجتمع، وهو ما أوصلها إلى رئاسة بعض الجامعات الباكستانية أو الكليات والأقسام، إضافة إلى سيطرتها على وظائف التدريس في جميع المدارس الخاصة المختلفة المراحل بنسبة تتعدى الـ ٩٠٪، وتجاوز ذلك مشاركتها الملحوظة في مجال المعلوماتية، وفي القطاع الإعلامي بأنواعه، الذي تنامى في الآونة الأخيرة، وظهر على السطح عدد من الصحف الباكستانية الناجحة تديرها سيدات باكستانيات.

ويعتبر التعليم غير المختلط - بشكل عام - في باكستان من أكبر المشجعات للتعليم، فضلاً عن رؤية البعض التعليم النسوي بأنه يجب أن يحتل الأولوية في برنامج التطور والتقدم.

ومحاذاة للمدارس العصرية، فثمة بعض المدارس الدينية الباكستانية الخاصة بالنساء، والتي يصل مستوى بعض برامجها التعليمية إلى المستوى الجامعي وما فوقه، حيث شغلت حيزًا لا يستهان به في مجال تعليم المرأة: فخرّجت متخصصات في العلم الشرعي وحافظات للقرآن الكريم.

طبقية المجتمع النسوي

ومع ذلك فقد أشار بعض الباحثين الاجتماعيين إلى وجود الطبقية الحادة في الوسط النسوي الباكستاني، وهو ما يشكل تهديدًا أساسياً للدور المستقبلي للمرأة الباكستانية، فهناك طبقة من النساء تدرس في أرقى المدارس والجامعات المحلية والأجنبية رغم تكاليفها الباهظة، بينما الطبقة الأخرى الكادحة لا تملك القدرة على الالتحاق بهذه الجامعات أو المدارس، حتى ولو توفرت لهن الأهلية العلمية وذلك لانعدام المادة لديهن، وهو ما يزيد من تكريس الفروق التعليمية في المجتمع، من خلال اختلاف المناهج والمستوى العلمي، ففي الأولى المناهج والكفاءات قوية والإمكانات متوفرة، في حين المدارس والجامعات العادية كفاءاتها فقيرة وإمكاناتها محدودة والمناهج فيها ضعيفة، وهو ما جعل نجاح المرأة الباكستانية ينحصر في المدن، وبالتحديد بالنساء المتحدرات من عائلات إقطاعية مشهورة غنية أو سياسية، كون السياسة في هذه المنطقة يطغى عليها عامل الوراثة. وهناك بعض العوامل تكاتفت لتفرض هذا التباين بين المرأة الريفية والمدنية، ففقر المرأة الباكستانية الذي يعتبر حقيقة لا يمكن تجاهلها، حتى وإن ظلت التفسيرات متباينة في تحديد مصادر هذا الفقر ومكامنه، أفرز ظروفًا قاسية وصعبة على المرأة، قد تودي بها في بعض الأحيان إلى العزوف عن الزواج للتخلص من أعباء الأسرة والبيت ومسؤولية الأولاد والزوج، ولا سيما أن غير المتزوجات من النساء أوفر حظًا في تحصيل فرص العمل من المتزوجات.

أشار بعض الباحثين الاجتماعيين إلى وجود الطبقية الحادة في الوسط النسوي الباكستاني ، وهو ما يشكل تهديدًا أساسياً للدور المستقبلي للمرأة الباكستانية

ورغم وجود شريحة لا بأس بها في المجتمع الباكستاني تعمل على توظيف الكثير من الآليات المؤسسية المؤطرة للنهوض بالمرأة، والقضاء على التمييز بينها وبين الرجل، فإن ظاهرة معاملة المرأة بالدونية والإقصاء، خصوصًا في الأرياف التي تزيد نسبة الأمية فيها على ٧٥٪ غالبيتها من النساء في تنام مستمر، لتعيش امرأة الريف الباكستانية مفارقات النقيض إلى النقيض في مجتمع تطغى فيه القبلية والعقلية الإقطاعية.

المطبخ الباكستاني

خبز الفرن لا يمكن الاستغناء عنه و..

«البرياني» سيد المائدة

ستي هاجر . إسلام اباد : (ترجمة محمود عبد السلام)

العنصر الأهم الذي شهر المطبخ الباكستاني، هو دخول التوابل بأنواعها كعنصر أساسي في إعداد وجباته، كمسحوق الفلفل الأحمر والأسود والكركم والثوم والكزبرة والهيل والزنجبيل والقرفة والكمون وورق الغار والزعفران والخولنجان وجوز الطيب واليانسون وغيرها، إلى أن تعدى استعمال التوابل أحيانًا مع بعض الفواكه كالجوافة والرمان والكرز والموز والبطيخ.

مما يميز الطعام الباكستاني الذي توزعت أطباقه ما بين عربية وفارسية ومغولية وأفغانية وحتى أوروبية، هو الرخص والوفرة وعدم التعقيد في إعداده وطهيه، فرغم وجود كميات كبيرة من التوابل التي تبرز في الطعام أكثر من ذائقته الأصلية نفسها، لا سيما وهي تستعمل في كثير من الأحيان بصورة مفرطة للغاية، إلا أنه لا يتطلب من طاهيه طويل وقت لتنظيمه وإعداده، فالمرأة الباكستانية غير ملزمة بالبقاء حبيسة المطبخ لساعات طويلة، كنظيراتها من النساء اللائي يبدأن بإعداد الوجبات المعقدة منذ الليل كالمحاشي وغيرها.

ويعد استعمال المخللات المشهورة بروائحها النفاذة التي يدخل في تركيبها التوابل وزيت الخردل وحبة البركة ميزة ظاهرة في الطبق الباكستاني.

أطعمة مشتركة

وبشكل عام، تعد الخضراوات والحبوب ومنتجاتها عنصرًا مهمًا في المطبخ الباكستاني، نتيجة الطاقة التي تحتويها، ورخص قيمتها في الأسواق، وهو ما يجعلها سهلة المنال لجميع طبقات الشارع الباكستاني، ورغم وجود الطبقية التي تلحظ في بعض المناطق الباكستانية بين أفراد الشعب، إلا أن بساطة الأطعمة بقيت هي الصفة الظاهرة والأبرز على المطبخ الباكستاني للأغنياء وللفقراء على السواء، فهناك بعض الأطعمة مشتركة، ولا يستغني عنها باكستاني في المواسم كافة، سواء من الطبقة الغنية أو المتوسطة أو حتى الفقيرة، كأرز البرياني والكراي والقورما، والعدس بأنواعه وكذلك وجبات بعض الحبوب التي باتت تميز المطبخ الباكستاني عن غيره، والتي تكاد تحتل مكانة يومية في وجبات المطابخ الباكستانية على صعيد القرى والمدن.

المناخ وتأثيره

ومن المعروف عادة أن تشكيل وتراكيب الأطعمة تتأثر بما حولها من الطبيعة، فالجغرافيا والحياة الاجتماعية لها دور كبير في المطابخ، وباكستان التي تضم أربعة أقاليم متناثرة تتميز بمناخات وعادات وتقاليد ولغات مختلفة ومتباينة كذلك، وهي ما بين حارة وباردة، وصحراوية وزراعية، وجافة ورطبة، فتعددت المطابخ فيها بشكل ملحوظ، حيث إقليم البنجاب المتاخم للهند مثلاً، قد تأثر مطبخه وإلى حد كبير بالمطبخ الهندي الذي يستعمل التوابل والفلفل الأخضر والأحمر والزيوت النباتية بشكل مفرط في أطعمته، إلى درجة أن البنجابيين يعتبرون الطعام الذي لا تكون نسبة التوابل فيه عالية، لا يكون صالحًا إلا للمرضى دون غيرهم، وبسبب حرارة الإقليم الشديدة في موسم الصيف، فالبنجابيون يأكلون لحوم الماعز والجاموس دون لحوم الخراف التي تحتوي على كميات كبيرة من الشحوم، باعتبارها أنها لا تتناسب مع حرارة الأجواء في إقليمهم، لاسيما وهم ممن لا يبذلون جهودًا عالية وشاقة حسب اعتقاداتهم.

وأما في إقليم السند المحاذي للبحر، والذي يعتبر ذا موسم معتدل وشديد الرطوبة، فثمة أطعمة بحرية مشهورة فيه أكثر من الأطعمة الأخرى، واستهلاك السنود الأصليين للحوم أقل من نظرائهم في الأقاليم الباكستانية، رغم اختلاف المطابخ وتباينها فيه.

بينما الإقليمان المتاخمان لأفغانستان وهما إقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوشستان يعتبران من المستهلكين الأساسيين للحوم الضأن، وبخاصة لحم الخروف، مقارنة مع الأقاليم الباكستانية الأخرى.

مراحل المطبخ الباكستاني:
الإسلام والمسلمون

لقد مر المطبخ الباكستاني في مراحل متعددة ومتباينة، إذ تأثر إلى حد كبير بتعاليم الدين في إعداد الوجبات منذ دخول الإسلام إلى هذه البلاد، فأبعدت عنه لحوم الخنازير والمحرمات من اللحوم، وكذلك الخمور، إلى أن صار الأمر بالباكستانيين إلى إدخال بعض الأطعمة الخاصة في مناسبات دينية، كنوع من التقاليد الإسلامية باعتقادهم،



وعلى رأسها عيد الفطر والأضحى، وجعلوا لشهر رمضان الكريم طبقًا خاصًا يسبق وجبة الإفطار في كل بيت، ليعكسوا من خلاله اجتماعهم ووحدتهم على نوع من الأطعمة التي يمكن توفرها في كل بيت لغنيهم وفقيرهم، وهو (البكورة والسمبوسة المقلية) المنتشرة والمعروفة في جميع المناطق الباكستانية، والمعدة من طحين الحمص المضاف إليه التوابل وبعض الخضراوات، وكذلك طبق الحلوى اليومي الذي يشتمل على المعكرونة الناعمة والحليب والسكر وبعض المكسرات كالفستق أو اللوز، ويؤكل بعد وجبة الإفطار الرمضانية يوميًا، واقتبس المطبخ الباكستاني كذلك بعض الأسماء لأطعمته من المطبخ العربي كـ(شامي كباب) المصنوع من العدس واللحم، والذي يعني كباب الشام، رغم أنه لا يمت إلى كباب الشام إلا بالاسم فقط، بعد أن طغت عليه نسبة التوابل والفلفل التي ذهبت بطعمه الحقيقي، والـ(نهاري) المعد من اللحم.

المغول

وكان كذلك لدخول المغول إلى باكستان في عام ١٥٢٦ دور كبير في تطوير المطبخ الباكستاني وإدخال بعض المحسنات التي لم يألفها الشارع الباكستاني عليه، وكان أظهر ما ميزه هذا التأثر هو صناعة الأفران الأرضية المختلفة، والخاصة لشي اللحوم والدجاج المتبلة وغير المتبلة دون تقطيعها إلى أجزاء، وكذلك شي الخراف أو الطيور على جمر هادئ وبطرق مميزة يطلق عليها (سجي)، وهناك (المندي) الذي شاع وانتشر صيته إلى أن وصل إلى بعض البلدان العربية.

الأوروبيون

ولم يقتصر تأثر المطبخ الباكستاني بالمطابخ العربية والمغولية فحسب، بل تأثر بالمطبخ الأوروبي أيضًا، خصوصًا بعد دخول البريطانيين إلى هذه البلاد، ودخلت مع دخولهم أنواع كثيرة من الأطعمة المتمثلة في الوجبات السريعة (FAST FOOD)، وانتشرت، خصوصًا في العقود الثلاثة الماضية مطاعمها بشكل كبير، وغزت اليافطات التي تحمل أسماء الـ(هوت بيتزا) و الـ(برغر) شوارع باكستان، وساهم في نشرها أكثر الشريحة الباكستانية الانفتاحية، وبعض من تغرب وتأثر بالثقافة الغربية خلال فترة وجوده هناك، وكذلك توسعت دائرة الأطعمة الدخيلة التي لا يستخدم فيها التوابل كثيرًا، وأضاف المطبخ الأوروبي لقائمة المشروبات الباكستانية الضرورية كذلك الشاي الممزوج مع الحليب، وتقديمه مصحوبًا بالبسكويت كضيافة ضرورية.

الصينيون

والمطبخ الصيني أدرج بعض المأكولات المشهورة في قائمة المطبخ الباكستاني، خصوصًا الحساء المعروف بـ حساء الذرة والدجاج، والذي(Chicken Corn Sup) انتشر حتى على قارعة الطرق فضلاً عن المطاعم، وكثرت في المدن على وجه الخصوص المطاعم الصينية، ولاقت إقبالاً باكستانيًا كبيرًا.

الأرز لم يطرد الخبز

ورغم انتشار أنواع كثيرة ومختلفة من الأرز الأبيض والأصفر في باكستان، والتي تصدر وبشكل كبير إلى بلاد كثيرة من العالم لجودتها، إلا أن اعتماد الباكستانيين بشكل أساسي في طعامهم على الخبز الذي يعتبره الباكستانيون سيد الطعام ولا غنى لأحد عنه، الأمر الذي انتشرت بسببه أنواع عديدة من الخبز، فمنها ما يماثل بمكوناته وطريقة صناعته الخبز المنتشر في البلاد العربية، والذي تدخل فيه مادة الخميرة، ويصنع في الأفران الأرضية ويعرف بـ(ساده نان) الذي لا إضافات عليه و(روغني نان) المطلي بالسمن النباتي بعد إخراجه من الفرن و(تل نان) المضاف إليه السمسم، وهناك الـ(تشباتي) أو (بطير روتي) الذي لا تدخل فيه الخميرة ومعظمه يصنع في البيوت، إضافة إلى

الـ(البراتا) المعجونة بالسمن البلدي أحيانًا وبالصناعي أحيانًا أخرى، خصوصًا للوجبات الصباحية، وثمة بعض أنواع الخبز الأخرى التي تصنع من طحين الذرة وتعرف بـ(مكي كا روتي)، والتي تؤكل خصيصًا مع السبانخ المطبوخة، ويشرب بجانبها مخيض اللبن المملح و(تشاول كاروتي) خبز الأرز المنتشر في مناطق شمال غرب باكستان، وكذلك ينتشر الخبز المصنوع من طحين الحمص المضاف إليه بعض الخضراوات أو اللحم المفروم (بيسن كاروتي)، ليصبح أشبه بالفطيرة المعروفة في البلاد العربية.

والباكستانيون في الغالب، سواء أهل القرى منهم أم المدن، يعدون الخبز في بيوتهم وبطرق بسيطة للغاية بوساطة المقلاة المسطحة، إذ لا يتطلب ذلك وجود فرن خاص في البيت، والبعض الآخر منهم وهم القلة، يشترون الخبز من الأفران العامة، ولكن لكل وجبة من الطعام.

مطابخ الأقاليم الباكستانية

نظرًا لتباعد وترامي الأقاليم الباكستانية، واختلاف مناخاتها وجغرافياتها وعرقياتها وحتى لغاتها، فقد تفاوتت واختلفت فيها العادات والتقاليد، وهو ما انعكس على طبيعة مطابخها وأنواع أطعمتها، فكل إقليم تكيف مع ما يناسبه من الأطعمة والغذاء، فأصبح لكل إقليم صحنه الشعبي الذي يتفاخر به.

البنجاب

ففي إقليم البنجاب الذي لا تعتبر فيه لحوم الضأن من الأطعمة المفضلة لدى سكانه إلا في أوقات قليلة جدًا من السنة، تقتصر على جزء من موسم الشتاء، لاعتقادهم بأنها تحتوي على كميات كبيرة من الشحوم التي تتطلب منهم بذل طاقة كبيرة وجهد كي يتم هضمها، في حين يستهلكون لحم الماعز ولحم الجاموس الذي ينتشر بكثرة دون غيره في الإقليم، فقد اختار أهالي الإقليم كطعام شعبي لهم طبق الـ(نهاري)، وهو نوع من الطعام الذي يعتبره الشارع الباكستاني من الوجبات الثقيلة، ويتكون من لحم الجاموس، وأحيانًا من لحم البقر، ويضاف إليه مخ العظام أو الشحوم وكميات كبيرة من التوابل والثوم، ويستغرق طبخه من ٦ ساعات إلى ٨ ساعات متواصلة على نار هادئة لإذابة اللحم وفصله عن العظم، وعادة يوضع على النار منذ الليل إلى الصباح، ويعتبر طبق النهاري الذي يثرد فيه الخبز بعد طهيه من أشهر أنواع الأطعمة الصباحية في إقليم البنجاب، خصوصًا أن أهالي الإقليم يرون أنه الوجبة التي تسد حاجة أكلها طيلة اليوم، الأمر الذي جعلهم يطلقون عليه اسمًا مستقى من معناه العربي، وهو النهار، أي اليوم.

هناك بعض الأطعمة مشتركة، ولا يستغني عنها باكستاني في المواسم كافة، سواء من الطبقة الغنية أو المتوسطة أو حتى الفقيرة، كالأرز البرياني والكراي والقورما، والعدس بأنواعه

السند

وأما في إقليم السند ذي الكثافة السكانية، والذي يغلب عليه تعدد العرقيات التي تدفقت إليه من مناطق خارج باكستان وداخلها، إذ يضم بالإضافة إلى السنديين الأصليين مهاجرين من الهند، وهناك أعداد كبيرة من البشتون تدفقوا إليه من إقليم الحدود الشمالية الغربية، والبنجابيون، وهناك المكرانيون الذين يعتبر طعامهم أقرب إلى الطعام العربي، خصوصًا وهم يصنفون أنفسهم من عرب عمان وبعض دول الخليج العربي، الأمر الذي انعكس على العادات والتقاليد في الإقليم، فاختلفت وتباينت أحيانًا، وتوافقت أحياناً أخرى، ففي الوقت الذي يجب أن تكون الأطعمة البحرية فيه هي الغالبة على الطبق السندي لمتاخمته البحر، إلا أن الأطعمة توزعت ما بين هندية وعربية وسندية، ودخل استعمال التوابل والفلفل الأحمر بكثرة في إعداد جل الأطعمة، ومع ذلك فقد بقي طبق الـ(سندي برياني) أي الأرز السندي هو الطبق اليومي الأشهر في الإقليم، وخصوصًا للسنود أنفسهم، وكذلك طبق (القورما) سواء المعد من السمك أو اللحم أو الدجاج، إذ غدا طبقًا مشتركًا بين قاطني الإقليم، ومن المعروف أن إقليم السند يشتهر بصناعة أنواع كثيرة من مخللات الخضراوات المشكلة التي يضاف إليها زيت الخردل وحبة البركة والتوابل.

بلوشستان

وفي إقليم بلوشستان، فاللحم هو سيد الطبق البلوشي، ويراه البلوشيون غذاءهم الأساسي، فـ(السجي) سواء المعد من الدجاج أو اللحم غير المقطع، والذي يستغرق إنجازه ثمان ساعات أمام الجمر هو طبقهم المفضل، و اللحم المشوي على الفحم كذلك شائع في أرجاء الإقليم كافة، إضافة



إلى أنواع الخضراوات والحبوب الجافة.

إقليم الحدود الشمالية الغربية

وأما في إقليم الحدود الشمالية الغربية الذي تقطن معظمه قبائل البشتون، والتي تتشاطر مع الشعب الأفغاني معظم العادات والتقاليد، فيعتبر لحم الضأن هو الغذاء المفضل لدى البشتون المشهورين بتحمل المشاق، والطبق المشهور لديهم هو الـ(غوشت كراي) أي اللحم المطبوع بالدهن، ولحوم الضأن المشوية بالأسياخ دون تدخل التوابل فيهما، وكذلك الـ(تشبلي كباب) المعد من اللحم المفروم والتوابل والبصل المقلي بالدهن الحيواني أو بالزيت النباتي، والـ(مندي) المعروف بدفن اللحوم بجلودها في الجمر بعد إغلاق جميع المنافذ إلى أن تنضج.

ومن الملاحظ في الإقليم صفة البساطة على طريقة الأكل، كما هو الحال في إقليم بلوشستان، فمعظم سكانهما يتناولون وجباتهم بأيديهم دون استعمال الملعقة أو السكين أو الشوكة، وعادة ما تجتمع الأسرة على طبق واحد مفترشة الأرض لتناول وجباتها الثلاث، خلافًا لإقليمي السند والبنجاب.

العاصمة

وكما هو الحال في معظم البلدان فيكون للعاصمة وضع مختلف عن غيرها من المدن، فالعاصمة الباكستانية إسلام أباد غزتها المطاعم الأجنبية سواء الأوروبية أو الصينية، حيث انتشرت فيها مطاعم البيتزا، والمطاعم الصينية والأفغانية وغيرها من المطاعم الفارهة وبشكل كبير ليتناسب مع طبيعتها التي تضم أعدادًا كبيرة من الجاليات الأجنبية، وطرح فيها أنواع كثيرة من الأطباق والمطابخ بجانب الأكلات الباكستانية الشعبية، إلى أن بدأت هذه الظاهرة تزحف إلى الأقاليم الباكستانية الأخرى.

الشاي

وأما الشاي في باكستان فهو أنواع كثيرة، منها الشاي الأحمر الذي لا يدخل في صناعته إلا مادة الشاي الخام والسكر، ويعتبر محدود الانتشار، ويوجد بندرة في بيوت مناطق إقليم الحدود الشمالية الغربية المتاخم لأفغانستان وبلوشستان كذلك وفي بيوت بعض المكرانيين الذين يقطنون إقليم السند.

وهناك الشاي الأخضر الذي ينتشر في إقليم الحدود الشمالية الغربية، وبلوشستان أكثر من غيرهما من الأقاليم، ويستعمل الباكستانيون في صناعته حبات الهيل وعصير الليمون لتطييب نكهته، وغالبية شاربيه يضيفون السكر إلى الكأس الأول فقط، وما يشربونه بعد ذلك فبدون تحلية.

وأما سيد الشاي في باكستان فهو الشاي الأحمر المضاف إليه الحليب، باعتباره المشهور في أرجاء باكستان كافة، ويعد المشروب الضروري الذي لا يستغني عنه باكستاني، وخصوصًا في الصباح، فالبعض - وغالبيتهم من المدن - يشربه مع السكر الأبيض المعروف، في حين يشربه معظم أهل القرى والأرياف الباكستانية مع السكر الأحمر المستخرج من قصب السكر.

وأما الشاي الكشميري المميز بلونه الذي يميل للون الزهري، فيدخل في إعداده الشاي الأخضر والحليب والملح والسكر معًا، ليخرج بنكهة - ربما - غريبة جدًا لمن لم يتذوقه من قبل.

الحلويات

تتدخل الألوان المتباينة والدهون والزيوت النباتية، إضافة إلى الكميات الكبيرة من السكر في إعداد الحلويات الباكستانية، والأقاليم الباكستانية الأربعة تتشاطر أنواع هذه الحلويات، وأشهرها الحلوى المصنوعة من الجزر والمعروفة بـ(غاجر حلوى) أي حلوة الجزر، وكذلك الحلويات المصنوعة من مادة السميد المضاف إليها السمن البلدي والمكسرات بأنواعها المختلفة، والتي تعرف بـ(سوهن حلوى).



الموت.. الجسر الجميل!

ليس هناك من شك في أننا نعيش في ظل حضارة تمارس أكبر عملية تنميط للأذواق والرغبات والأفكار والرؤى والمفاهيم على نحو مستبد وطاغ، من أجل تعبيد الطريق أمام الإنتاج العظيم والتسويق الكبير، ومن أجل إزاحة كل الخصوصيات والتنوعات الدينية والعرقية التي تعوق حركة العولمة.

في ظل الحضارة الحديثة يتم نشر الشروط الموضوعية المطلوبة للحياة الطيبة، ومعظم تلك الشروط - إن لم نقل جميعها - لا يتحقق من غير المال. وبما أن المعروض منه دائمًا دون ما هو مطلوب، فقد اشتعلت منافسة ضارية من أجل الحصول عليه. والمنافسة الحامية تتصل على نحو ما بشكل من أشكال انحطاط المدنية. وبما أن الحضارة المعاصرة رسخت في وعي الناس أن المال هو كل شيء فقد صارت كل طرق تحقيق الذات تمر عبر امتلاك أكبر قدر ممكن منه. ومن شدة تعمق هذا الفهم صار كثير من الناس مستعدين لعمل أي شيء من أجل المزيد من الاستحواذ عليه إلى درجة أنه صار الهامش الفاصل بين النجاح على الصعيد المالي وبين اللصوصية ضيقًا لا يكاد يرى!

الحضارة الحديثة تؤكد أيضًا على الحقائق بوصفها الأساس الذي يقوم عليه كل تطوير وكل مراجعة، وتهمل مسألة (القيم) وما يمكن أن يكون لها من دور إرشادي في استخدام الحقائق وتوجيه السلوك.

وهي مرة ثالثة تؤكد على العلم بوصفه حقائق تم اختبارها، أثبتت صلاحيتها في بناء التقدم، في الوقت الذي أهملت فيه دور (الحكمة) بوصفها شيئًا خاصًا وخيارًا شخصيًا، ولهذا فقد صار لدينا اليوم عدد كبير من العلماء، وعدد قليل من الحكماء!

وأخيرًا، فإن الحضارة الحديثة تروّج لثقافة الصورة وثقافة الشكل، وأخذ يستقر في أذهان الناس شيئًا فشيئًا أن الرجل السعيد هو دائمًا شاب، والمرأة السعيدة هي دائمًا جميلة، ويتم غض الطرف عن كل موروث البشرية الذي يؤكد على دور الفضيلة والإيثار والتقوى والقناعة والثبات على المبدأ في الحياة الهانئة واللياقة الاجتماعية!

من الواضح في ضوء كل هذا أن على الذين يرغبون في إعادة الأمور إلى نصابها أن يعيدوا اكتشاف هذا المهمل والمهمش والمسكوت عنه، أي القيم والحكمة والجوهر وتوجيه الإدراك نحو تلمس موارد غير مادية للأمن والسعادة والطمأنينة والنهوض.

وأود هنا أن أركز على نقطة هي أن في إمكاننا من خلال رؤية مغايرة لبعض الأشياء، وتفسير بعض الأحداث على نحو يستجيب للرؤية الإسلامية للحياة - أن نخفف من الطلب على المال والشهرة والنقود بوصفها أدوات لتحقيق الوجود المعنوي والمادي، وأن نخفف من وطأة منغصات الحياة أيضًا.

وليس في هذا أي قفز على الشروط الموضوعية للحياة السوية ولا أي تجاوز للحقائق الثابتة، بل إنه على العكس من ذلك يشكل التصاقًا بالحقائق الأشد عمقًا والأقوى رسوخًا.

إن العالم ليس إلا ما نراه، وإن جوهر الأحداث يكمن في تفسيرنا لها وفي تحديدنا لعلاقتها بنا، وإن للحقيقة الواحدة عشرين ظلاً، ورسم تلك الظلال من شأننا نحن بني آدم. وكما يتم تلوين السائل بلون الإناء الذي نضعه فيه كذلك يمكن أن نتفاعل مع الأشياء وفق الظلال التي نرسمها لها والأصداء التي نصنعها.

يساعدنا في هذا أن عالمنا الداخلي لا يتأثر بالشروط الموضوعية الخارجية ولا بالحقائق الملموسة فحسب، فالأوهام والأحلام والذكريات والمخاوف والأمنيات والخيالات تؤثر في ذلك العالم على نحو قد يكون أشد وأعمق من تأثير الحقائق الصلبة. وحين يقول إنسان: إنه سعيد، فينبغي أن نصدقه، ويجب عليه هو ألا يتساءل عن أسباب سعادته. وليست الدعوة إلى توجيه الإدراك شيئًا جديدًا نبتدعه، فهناك نصوص وآثار وأقوال تؤكد على نجاعة هذا الأمر ومشروعيته، وهناك ممارسة يومية له من كثير من الناس. لنتأمل في قوله - سبحانه -: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٩]. إنها دعوة إلى عدم الحكم على الأمور بناء على عواطفنا وعلى ما يلوح لنا من ظواهرها أو بداياتها، لأن ذلك ينطوي على العجلة السطحية، فمعرفة مآلات الأشياء تحتاج إلى علم مطلق، وهو غير متاح لنا، ولهذا فإن على المسلم ألا يغالي في حب الأشياء وكرهها لأنه لا يعرف كيف ستكون عليه الحال في النهاية، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول: «لا تغبطوا الأحياء إلا على ما تغبطون عليه الأموات». فما دمنا نحن وما نملك شيئًا عابرًا في هذه الدنيا فإن ما يستحق الغبطة فعلاً هو ما يذهب معنا وليس ما يبقى هنا، وهو شيء وحيد لا أشياء، إنه باختصار العمل الصالح. إن المرء من خلال توجيه إدراكه يستطيع أن يستخرج من عمق الأزمة والمصيبة شيئًا يستدعي الحمد والشعور بالرضا، كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث عبر عن ذلك بقوله: «ما أصبت بمصيبة إلا تذكرت فيها ثلاثة أمور: أنها لم تكن في ديني، ولم تكن أكبر مما هي عليه، وذكرت مثوبة الله فيها».

إن الموت الذي يشكل هاجسًا مقلقًا يمكن أن ينظر إليه نظرة وينظر إلى العيش في هذه الحياة على أنه عائق يحول بيننا وبين الحياة الحقيقية المنتظرة، وقد قال أحد فقهاء النفس والشرع: «إن المسلم إذا أدى ما افترضه الله تعالى عليه، وانتهى عما نهاه عنه لم يكن بينه وبين أن يدخل الجنة إلا أن يموت». بهذه اللفتة والرؤية المختلفة تصبح الحياة شيئًا معوقًا، ويصبح الموت جسرًا إلى مأمول عظيم!

وكتب رجل في الثمانين إلى رجل في الستين مهنئًا له ببلوغ تلك السنّ، كتب يقول: «قد بدأت تعيش بعد ستين سنة من التأهب وأنت الآن من الحكمة بحيث يمكنك أن توجه نفسك، وتساعد الآخرين. ولهذا فأنت مقدر لك أن تكتشف كما اكتشفت أنا من قبلك أن أفضل شطر في الحياة هو بين الستين والثمانين. لا تتصور أبدًا أنك تقترب من النهاية، بل من بداية جديدة، وإن مثل هذا الموقف سيغير كليًا استشرافك للمستقبل، وإن هذه الحياة وإن كانت تحتاج إلى أن نتحملها في بعض الأحيان إلا أنها تقدم أساسًا وإلى الأبد الوعد بحياة أسمى وأجمل».

إنه لشيء مدهش أن نمتلك من نفاذ البصيرة ما يجعلنا



عبدالكريم بكار

نبصر خط النهاية ونحن عند خط البداية، فنوفر على أنفسنا الكثير من الجهد والعناء والكثير من صدمات الوعي وظلمات الطريق المسدودة!

المنغصات والمتاعب ومضي الأمور على غير ما نشتهي لها دائمًا وجه آخر يتجلى في كونها جزءًا من توازن الحياة، وبفضلها تتألق المسرات والملذات، إذ إن من الواضح أن لا سبيل إلى الشعور بكمال الهناء إن لم يسبقه شعور بشيء من العوز والشقاء ، فألذ الطعام ما كان بعد جوع وأهنأ الشراب ما كان بعد عطش...

وحين يأتي ما يقطع بهجة من مباهج النفس، فإن تلك البهجة تتحول إلى ذكرى، وبذلك التحول تصبح مصدرًا لاستمتاع نقي نستدعيه متى ما شئنا!

السأم الذي يشكل ألد أعداء الحياة الهانئة، له هو الآخر وجهه المشرق، حيث إنه يشكل أفضل عازل لنفوسنا عن التفاعل مع الأشياء السيئة التي تضر بصحتنا النفسية والعقلية. والكسل الذي لا يلقى أي مديح من أي أحد كثيرًا ما يمهد لانطلاقة روحية وحركية عظيمة، كما أنه يعيد للحياة توازنها من خلال صرفنا عن النشاط المسرف والجدية المبالغ فيها.

المال الذي في أيدينا هو وسيلة تحرير لنا من ذل الحاجة ووسيلة تحرير من عالم الضرورات، لكن مواصلة الرحلة لاكتساب المزيد منه دون أي حدود قد تحوله إلى شيء يستعبدنا وينهكنا.

هكذا بالتفكير اللانمطي وبالبراعة الشخصية في النظر إلى الأشياء من منطلق شخصي وخارج قواعد ما تشيعه العولمة للحياة المرفهة - يمكن لنا أن نستلهم الحقائق الكبرى في الوجود ليبدأ فصل جديد في الحياة هو أكثر غنى وإمتاعًا وأمنًا من كل ما عهدناه وخبرناه.

محمد أسد :

الطريق إلى مكة (١ - ٢)

محمد الصاوي - الاسكندرية

العمل الدبلوماسي مرتبط في أذهاننا بقوة الشخصية، والتناول العقلاني للأمور، والتفتح الضروري على الآخرين وثقافاتهم، والتحلي بالقدر الأكبر من الموضوعية والنزاهة في المواقف الفكرية على الأقل. ولعل ذلك يفسر - إلى حد ما - ما يمكن اعتباره ظاهرة «اعتناق دبلوماسيين غربيين للإسلام». ففي السنوات الأخيرة اعتنق الإسلام عدد غير قليل من الدبلوماسيين والأكاديميين. كما اعتنقه أشخاص معروفون بميلهم الدائم للترحال والاختلاط بأبناء الثقافات الأخرى. والجامع بين هؤلاء وأولئك ميل إلى الاستغراق في القضايا الأخلاقية والسلوكية والجمالية، والانشغال بقضية الحضارة، وإن شئت فقل قضية «الإنسان»: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟

إن كتابات الغربيين المهتدين كتابات موجهة في الأساس إلى القارئ الغربي، يكتب مراد هوفمان مثلاً: «إلى رفاقي المسلمين في الغرب». و كتب محمد أسد: «كم من الرجال يمكنهم أن يتحدثوا إلى الغربيين عن الإسلام مثلما أتحدث أنا». لكن هذه الكتابات ذات نفع جم لكل أحد، بما تحمله من روح ناقدة تحليلية، يجدر بكل عاقل أن يتحلى بها. و إن كان علينا ألا نغفل أن الأصل العظيم: «كلٌ يؤخذ من قوله و يُرَدّ إلا المعصوم ﷺ». وبعبارة محمد أسد نفسه: «إن كل رأي إنساني محدود بالزمن، و قابل للخطأ». والعاقل هو من يقبل الحق ممن جاء به، صغيرًا أو كبيرًا، ولو كان بغيضًا بعيدًا. و يرد الباطل على من جاء به، صغيرًا أو كبيرًا، ولو كان حبيبًا قريبًا. فالإسلام أعظم شموخًا وأبقى من كل ما قيل عنه، و نحن لا نستشهد على عظمة الإسلام بأقوال أحد. لكن يدفعنا إلى ذلك نفر من بني قومنا، لا تروق لهم الفكرة إلا إذا جاءتهم من وراء البحار، فلا ينصتون لقولٍ ما لم ينطق به كل أعجمي الوجه واليد واللسان. فإذا ما حدثت الواحد منهم عن أبي حنيفة اسود وجهه، وإذا نقلت عن الماوردي صعّر خده، وإذا استشهدت بقول الغزالي نأى بجانبه، و إذا أحلته إلى ابن تيمية ولى مستكبرًا، و إذا ذكرت الله وحده اشمئز قلبه. وبرغم هذا فلا يخلو زمان من ناطق بالحق، مقرّ به، خاضع له، داع إليه.

والكتب التي تستحق القراءة ليست بالضرورة هي الأوسع انتشارًا، أو الأكثر مبيعًا. ومن جهة أخرى فالكتب التي تستحق الترجمة ليست بالضرورة الأحدث صدورًا. و كتب محمد أسد هي من هذا الصنف الجدير بالقراءة والترجمة. كما أنها بعبارة هوفمان: «من الكلاسيكيات الأصيلة». لكنها كلاسيكيات لا تموت، إن جاز مثل هذا الوصف، لأن محمد أسد كان فيها بعيد النظر، مصيبًا في تنبؤاته بما حل بالعالم الإسلامي، فقد كان الرجل يؤمن بحقيقة التدين والالتزام بأوامر الله ونواهيه. على العكس مما آلت إليه حال بعض المتحذلقين الذين يفتنون الناس بمثل قول أحدهم: «حقًا، إني لا أمارس الشعائر الإسلامية، ولكني مؤمن من أعماق قلبي، وإيماني (الطبيعي) هذا أفضل من الصلاة والصوم خمس مرات يوميًا»! هكذا.

لقد جاهد محمد أسد لكي يجعل من القرآن الكريم وسنة النبي الأعظم ﷺ أسلوب حياة، وتحقيقًا لجوهر الإسلام. أو بعبارة مراد هوفمان: «ليس هناك من سبيل للدعوة إلى الإسلام أفضل من أن نحياه». أي أن أفضل وسيلة لنشر الإسلام هي ممارسته. وهوفمان - الدبلوماسي الألماني المهتدي - هو القائل: «ما من أحد استطاع خلال المئة سنة الأخيرة أن يبز محمد أسد في إسهامه العظيم في شرح الإسلام و نشره في الغرب». وبعدما التقى هوفمان صنوه وتوأم روحه في لشبونة ١٩٨٥م، وَصَف هذا السيد الرقيق الصوت ذا اللحية الصغيرة بأنه يجمع إلى إسهامه الهائل في

إحياء الإسلام تواضعًا جمًا وطيبة مفرطة.

بعد شهر واحد من واقعة سبتمبر ٢٠٠١م، أجريت مقابلة مع البروفيسور «طلال محمد أسد» في مكتبه بقسم الأنثروبولوجي في جامعة نيويورك. وكانت وسائل الإعلام كلها مستغرقة في إثارة سؤال واحد: «لماذا يكرهون أمريكا؟» ووضعت المناقشات كلها في إطار ما سموه: «صراع الحضارات». وما كان من شخص أبعد عن فكرة صراع الحضارات من طلال أسد، الذي راح يغوص في ذكريات طفولته، وهو الذي ولد بالمدينة المنورة، و شب عن الطوق في الهند، وترعرع في الباكستان، وتعلم في أكسفورد، و يقيم في مانهاتن بنيويورك. إنه يتذكر حين كان في التاسعة، يتمشى مع والده محمد أسد، خلف سياج من الأسلاك الشائكة، في معسكر الاعتقال الذي احتجزتهم فيه السلطات البريطانية في بومباي. ولم يكن في المعسكر المكتظ باليهود الفارين سوى ثلاثة مسلمين: محمد أسد وزوجته وابنهما طلال.

لم يسأل مروجو فكرة صراع الحضارات أنفسهم: «ألم تعتقل بريطانيا اليهود في الهند بسبب جنسيتهم الألمانية؟ ألم تكن ألمانيا من جانبها تضطهد أقارب هؤلاء اليهود في ألمانيا - في الظاهر على الأقل - بسبب يهوديتهم؟ ألم يكن محمد أسد قلقًا على أبيه و أخته اللذين بقيا في النمسا على يهوديتهم؟ فهل يسمى ما حدث ويحدث صراع حضارات؟!

وفي جولة المشي المسائية اليومية مع طلال كان الوالد يقص عليه سيرة العمر، من الميلاد في Lvov والنشأة في فيينا وبرلين ثم زيارته الأولى لبيت المقدس التي غيرت حياته، ثم رحلاته المتواصلة التي تمخضت عن اعتناقه الإسلام، ليصير اسمه محمدًا. و يذكر طلال بكل إجلال كتاب والده :«الطريق إلى مكة»، فيقول: «إنها رحلته من اليهودية إلى الإسلام». ويضيف: «بينما لم يكن محمد أسد يخفي عن أحد أن له جذورًا يهودية، فلم يكن يخفي على جيرانه ومعارفه اليهود أنه قد اختار الإسلام دينًا». محمد أسد المتضلع في دراسة التوراة والتلمود قد استخلص أن الإله الذي تتحدث هذه الكتب عنه ليس إلا إلهًا قبليًا لبني إسرائيل دون سائر البشر. فكان كلما تعمق في دراسة اليهودية ضعف إيمانه بها.

لم يمنعه أصله الأوروبي من أن يصير رجلاً عربيًا. ولم يمنعه كونه سليل بيت يهودي من أن يصير مسلمًا حقيقيًا. لم تمنعه مكانته المرموقة في دنيا الصحافة الألمانية من أن يستقر في جزيرة العرب. لم تمنعه منزلته لدى الملك عبدالعزيز من الترحال شرقًا إلى الهند، و السعي الدؤوب لإيجاد دولة الباكستان الإسلامية. لم يصده اعتقال البريطانيين له من أن يرسل بابنه إلى جامعة أكسفورد. ولم يمنعه منصبه الدبلوماسي المرموق في الأمم المتحدة عن التخلي عن كل شيء، مؤثرًا أن يقضي بقية عمره في الغرب داعيًا إلى الله. و برغم ضآلة ما حققه العالم الإسلامي من تنمية، فإن محمد أسد لم يفقد قط روح التفاؤل. و عندما آثر محمد أسد البقاء في الغرب، فإنه لم يفعل أكثر مما فعله كثير من العلماء والمفكرين المسلمين، الذين وجدوا هناك أرضًا خصبة و ميدانًا مفتوحًا للكتابة والنشر وإلقاء المحاضرات العامة، مستفيدين من الحرية والتفتح العقلي.

في عام ١٩٠٠م - وفي مدينة تابعة لإمبراطورية النمسا آنذاك - ولد ليوبولد فايس Leopold Weiss «تنطق Vyce» لأسرة يهودية، و كانت أمه تعده ليكون حاخامًا مثل جده بنيامين فايس، وأما أبوه Akiva الذي درس التلمود فقد عمل محاميًا. أما خاله مناحم مندل فقد كان مصرفيًا. وانتقل الابن مع أسرته إلى فيينا قبيل الحرب العالمية الأولى. درس الشاب التوراة، وأتقن العبرانية، حتى صار بمقدوره أن يقرأها ويتحدثها بطلاقة ولما يبلغ الثالثة عشرة. وتعرف على اللغة الآرامية، وهو ما سهل له فيما بعد تعلم العربية. وعندما بلغ الثامنة عشرة التحق بجامعة فيينا ليدرس تاريخ

وهوفمان. الدبلوماسي الألماني المهتدي. هو القائل: «ما من أحد استطاع خلال المئة سنة الأخيرة أن يبز محمد أسد في إسهامه العظيم في شرح الإسلام و نشره في الغرب»

الفنون.

عمل في وظائف صغيرة، بعد أن هجر العائلة و هو في سن العشرين، فترك فيينا إلى برلين، إلى أن ساقته الأقدار إلى العمل بالصحافة، وكان عمله بالصحافة مفتاح الخير الذي قاده إلى هداية الإسلام، وإلى الكتابة عن الإسلام والمسلمين ببراعة واقتدار عز نظيرهما.

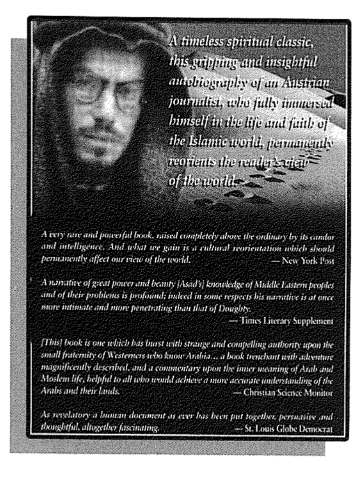
في العشرين من عمره حقق (خبطة) صحفية عندما تمكن من نشر مقابلة أجراها مع مدام جوركي التي كانت متخفية في برلين سنة ١٩٢١م، تقود حملة لحث الدول الأوروبية على عمل شيء لإنقاذ شعبها في روسيا من المجاعة. وما إن نشرت المقابلة على نطاق واسع حتى أصبح الشاب مراسلاً صحفيًا ذا شأن، و لا سيما أنه يتقن عدة لغات.

لم يحقق له النجاح المهني في عالم الصحافة ما كان ينشده، فلم يعثر بعد على الإجابات لما يؤرقه من تساؤلات، فلم يكن حتى ذلك الحين يدري: إلام و إلى من ينتمي؟ حتى كان اليوم الذي دعاه فيه خاله دوريان (محلل نفسي من تلاميذ فرويد) لزيارته في القدس سنة ١٨٩٢م. ذهب الشاب إلى القدس، حيث أقام في بيت عربي من الحجارة، بالقرب من بوابة يافا، وهو ما جعله مثيرًا لذكريات التاريخ، بالإضافة إلى ما كان يحتويه من كتب تشبع نهمه إلى المعرفة.

في القدس بدأ فصل جديد من حياة ليوبولد فايس، فقد عاش في جوار بيت المقدس، و لم يكن قد انقضى على وعد بلفور سوى خمس سنوات. وكانت موجة ثالثة من الهجرة اليهودية في أوجها. خمسة وثلاثون ألف صهيوني من شرق أوروبا، جلبوا ليزرعوا كيانًا جديدًا، وهوية جديدة.

ولأنه جاء إلى فلسطين ليفكر ويكتب، فقد بعث بمقالة عن المشرق الإسلامي إلى عدد من الصحف الأوروبية، وكم كانت دهشته بالغة حين تلقى ردًا إيجابيًا من أكبر الصحف الألمانية Frankfurter Zeitung مع تعاقد على كتاب يكتبه عن المنطقة (شاع لاحقًا مصطلح الشرق الأوسط).

لم يكن ما كتبه فايس ليروق للصهاينة آنذاك - وحتى اليوم - فقد كتب أن الفكرة الصهيونية ضارة خطرة وغير أخلاقية. قال يومها: «ما الذي يعرفه اليهود الأوروبيون عن فلسطين؟ لا شيء! إنهم لم يعرفوا قط أن فلسطين أرض للعرب. وكذلك كنت أنا من قبل، كنت أتخيل العرب هناك من البدو ساكني الخيام هائمين بعيدًا في



الصحراء.. ولأن كل ما سبق أن قرأته عن فلسطين كان بأقلام صهيونية، فلم أكن أدري أن فيها شعبًا عربيًا، الآن - عام ١٩٢٢م - وجدت أن هناك خمسة من العرب في مقابل يهودي واحد.

وعندما واجه الشاب بهذه الكلمات مناحم أوسيشكين Menachem Ussishkin رئيس اللجنة الصهيونية التنفيذية، قطب جبينه، ورد: «إنهم - العرب - لن يعودوا الأغلبية بعد سنوات».

جُوبه ليوبولد فايس بحملة كراهية من المستوطنين اليهود الذين صدموا من مقالاته، برغم كونه - في نظرهم - «يهوديًا على أرض إسرائيل». كما اندهشوا من تنقيبه الدؤوب في الثقافة العربية، برغم كونه أوروبي النشأة. أما المستوطنون فلم يكلفوا أنفسهم عناء التفكير في السكان العرب، ولم يخطر ببال أحدهم أن يتعلم العربية. لقد تقبلوا بشكل قاطع - دون تفكير - مقولة «أرض إسرائيل التاريخية». ولم يكونوا يلتفتون إلى كلام الشاب، أو يأخذونه على محمل الجد.



وعندما ناقش الشاب زعيم الحركة الصهيونية حاييم وايزمان Chaim Weizmann ، في مدى أخلاقية الاستيطان و إحلال اليهود مكان العرب، ابتسم الرجل وغير موضوع الحديث. وبعدها غادر الشاب أرض فلسطين في زيارة للقاهرة، ليبلغه بعد قليل مقتل يعقوب صديقه اليهودي المعارض للصهيونية، بأيدي إرهابيين صهاينة من الهاجناة. واعتبر ليوبولد فايس في عداد المرتدين، حتى إن ذكره لم يرد في السجلات الصهيونية، بل إن كتابه «الطريق إلى مكة» لم يترجم إلى العبرية.

يقول طلال أسد: «نعم كان والدي معارضًا تمامًا للصهيونية، و كان يؤمن أن إقامة دولة إسرائيل ظلم فادح، لكنه لم يكره يومًا الديانة اليهودية أو الأشخاص اليهود. نعم كان يؤمن بأن الإسلام دين متفتح، و لكن لم أسمعه قط يحط من قدر الديانة اليهودية. بل إن من دواعي الافتخار بوالدي وعيه العميق بضرورة أن يتفهم أصحاب كل ديانة مواقف الآخرين».

ونحن من جانبنا نؤكد قول القائل: إن الإسلام وحده هو الذي يعترف بالآخر، وتاريخ السماحة في التطور الإنساني بدأ من الإسلام، فقبل ظهوره لم يكن هناك اعتراف بالآخر.. اليهودية لم تكن تعترف بالمسيحية ولا المسيحية اعترفت بالإسلام.

عندما وصل أسد إلى لندن سنة ١٩٣٨م بتأشيرة على جواز سفره النمساوي، حاول جاهدًا أن يستنقذ أفراد عائلته من نير النازي، لكن محاولاته على مدى أحد عشر شهرًا باءت بالفشل. و عندما أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا، اعتبر محمد أسد من الجنسيات المعادية، فاعتقل فور عودته إلى الهند.

يقص محمد أسد ذكريات مدة الاعتقال فيقول: من غرائب الأحداث أن معسكر الاعتقال كان يضم النازيين وغير النازيين، الفاشيين وغير الفاشيين، لكن المسلم الوحيد هنالك كان أنا. ولم يطلق سراحه إلا في أغسطس ١٩٤٥م. وفي أثناء الاعتقال انقطعت أخبار أسرته، ثم علم أن أخته وأباه وزوجة أبيه قد قضوا نحبهم في معسكر الاعتقال النازي. (كانت والدة محمد أسد قد توفيت من قبل سنة ١٩١٩م).

عندما دعاه خاله دوريان Dorian إلى زيارة القدس، لبى الدعوة، وأمضى زمنًا في دار خاله على بعد خطوات من الحرم القدسي، حيث اكتشف هنالك حقيقة الإسلام. ومعها اكتشف الطبيعة غير الأخلاقية للصهيونية. وبرغم أن دوريان لم يكن يعتبر نفسه صهيونيًا، فإن أخًا له يدعى Aryeh كان من متعصبي الصهاينة، وكان طبيبًا للعيون، ويبدو أن سيرة هذا الرجل قد ولدت لدى فايس رفضه للصهيونية. لكن شاعرًا هولنديًا يدعى Jacob Israël de Haan من المهاجرين إلى القدس آنذاك كان له فضل في تغذية الميول الرافضة للصهيونية لدى فايس. كما ساعده في العمل بالصحافة، و هيأ له فرصة السفر إلى القاهرة، ثم كان أن هيأ له في صيف ١٩٢٣م لقاء الأمير عبدالله في عمّان، التي لم يزد عدد سكانها يومذاك (١٩٢٣م) على ستة آلاف نسمة. وظل فايس يكتب في الصحف الأوروبية والمصرية مقالاته (التي نتمنى على الباحثين أن يعثروا عليها) التي فضحت الخطط البريطانية السرية لمد خط حديدي بين حيفا والبصرة. ولعل مقالاته تلك كانت هي السبب وراء اعتقاله في الهند.

وصار فايس مراسلاً مهمًا للصحيفة الألمانية المعادية للسياسة البريطانية وكتب بالألمانية كتيبًا عن العرب والمسلمين في المنطقة، الأمر الذي جعل الصحيفة

ترغب في أن يضع الرجل كتابًا أشمل، فأرسلته في رحلة ممتدة في العالم الإسلامي استغرقت عامين، اكتشف خلالها الرجل مصادر إلهامه الجديدة.

انتقل الشاب ثانية مراسلاً خاصًا لكبريات الصحف الأوروبية، طاف بعمّان فدمشق فبغداد ومنها إلى إيران و أفغانستان. كما لو كان الإسلام يتكشف أمامه شيئًا فشيئًا، حتى كانت ليلة شاتية في إحدى المقاطعات الجبلية الأفغانية، دار فيها الحوار عفويًا، حتى قال الشاب موجهًا كلامه لمضيفه المسلم: «أنتم كثيرون..ولكن إيمانكم ضعيف». ولما قوبل كلامه بالاستغراب، راح يشرح مراده في صورة سيل من الأسئلة: «كيف حدث أنكم أيها المسلمون قد فقدتم ثقتكم بأنفسكم، تلك الثقة التي مكنتكم في الماضي من نشر دينكم في أقل من مئة عام، من جزيرة العرب حتى الأطلسي غربًا وإلى أعماق الصين شرقًا؟ وأنكم اليوم تسلمون أنفسكم بمثل هذه السهولة ومثل هذه الضعف إلى أفكار الغرب وعاداته؟ لماذا لا تستطيعون وأنتم الذين أنار أجدادكم العالم بالعلم والفن في وقت كانت أوروبا فيه غارقة في البربرية والجهل أن تستجمعوا شجاعتكم للعودة إلى دينكم».. فاجأه أمير المقاطعة بالقول: «إنك مسلم في قرارة نفسك، حتى وإن لم تكن تدري، فلم لا تنطق الآن هنا: أشهد ألا إله إلا الله و أشهد أن محمدًا رسول الله؟!

لكن الشاب فايس لم يفعل ساعتها، وبدلاً من ذلك واصل الترحال: من كابول إلى غزنة إلى قندهار إلى هراة، ومن هناك عبر جبال الأورال فموسكو إلى فرانكفورت.

مرت بالرجل قبل إسلامه فترات طويلة من الحيرة والقلق والتململ من القيم السائدة من حوله في شرق أوروبا وفي غربها. وخبر ما يدور في مقاهي الأدباء من مناقشات لم تشف عنده غليلاً، أو: «لم تجب عن الأسئلة الخالدة في حياة الإنسان». فاقتنع صاحبنا بأن الغرب يعيش حالة خواء روحي وإفلاس قيمي، وزادت قناعته بأن المخرج من حالة الإفلاس هذه لا يأتي من داخل منظومة الثقافة الأوروبية، بل من خارجها. وكما قال طاغور شاعر الهند الكبير، لمفكر غربي: «صحيح أنكم استطعتم أن تحلّقوا في الهواء كالطير، وأن تغوصوا في البحر كالسمك، ولكنكم لم تحسنوا أن تمشوا على الأرض كالإنسان».

وعند هذه النقطة بدأ محمد أسد في تهيؤ حقيقي لدخول عالم جديد مغاير تمامًا، ألا وهو عالم الإسلام.

▌▌أنا لم أصبح مسلمًا لأني عشت زمنًا طويلا بين المسلمين . بل كان الأمر عكس ذلك ، ذلك أنني قررت أن أعيش بينهم لأني اعتنقت الإسلام▌▌

عندما خرج من برلين متوجهًا إلى الشرق في صيف ١٩٢٢م كان لا يزال كما قال عن نفسه: «لقد كنت شابًا أوروبيًا ناشئًا على الاعتقاد بأن الإسلام وكل تعاليمه لم يكن أكثر من طريق فرعي لتاريخ الإنسان، غير جدير بالاحترام، من الناحيتين الروحية والأخلاقية».

وفوق الباخرة المتجهة إلى الإسكندرية، التقى والأب اليسوعي «فالكس»، فدارت بينهما حوارات، تبين منها أن الشاب يائس من الإيمان اليهودي والمسيحي على السواء، لأنه كان حسب قوله: «إنني أحلم بشكل من الحياة يسعى فيه الإنسان كله روحًا وجسدًا، ويجاهد في سبيل تحقيق ذاتي أعمق. شكل لا تكون فيه الروح والمشاعر عدوين كل منهما للآخر.

يروي محمد أسد عن الإرهاصات المبكرة التي ملأت قلبه إعجابا بالإسلام، فيحكي واقعة تنبئ عن الكرم العربي العفوي التلقائي، حين تقاسم كعكة مع مسافر بدوي في القطار المتجه عبر صحراء سيناء إلى القدس. ثم يروي كيف شعر بروعة الصلاة وروحانيتها، عندما شاهد شيخًا في شرقي القدس يؤم رجالاً في تبتل حقيقي.

ويصف محمد أسد سعيه الجاد نحو التعرف على عالم الإسلام بأنه رغبة في فهم الحال التي آلت إليها أوروبا عقب الحرب العالمية الأولى، فقد وصفها بأنها «التسكع اليائس وراء صيغ جديدة من التعبير، في الفنون وعلم الاجتماع والسياسة». واهتدى إلى القول: «إن جميع آلاتنا و ناطحات سحابنا لم تعد تستطيع شيئًا لإعادة وحدة روحنا المحطمة ».

وهي الفكرة نفسها التي صاغها من بعد فوستر دالاس: «إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية. إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي، فبدونه يكون كل ما لدينا قليلاً. وهذا النقص لا يعوضه السياسيون مهما بلغت قدرتهم، أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم، أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أو القنابل مهما بلغت قوتها».

ثم عاد الشاب إلى مقر صحيفة فرانكفورتر في برلين، ليتم الكتاب المطلوب، و هناك في برلين قابل إليسا Elsa، رسامة أرستوقراطية موهوبة، أرمل في الأربعين، لديها طفل في السادسة، من زواج سابق. لم يوهن غياب محمد أسد عن أوروبا مدة عامين من حبه لهذه السيدة التي تكبره بخمسة عشر عامًا. وكانت كلما ترددت في الزواج منه ازداد هو تشبثًا بها. لم يبالغ حين قال إنه لا يتصور حياته دونها، لقد كانت تشاركه قراءة القرآن، حتى قبل أن يعلن هو نفسه الإسلام، وكانت تبدي خلال مناقشاتها مدى تأثرها بتعاليم القرآن الأخلاقية وتوجيهاته العملية.

راح يستغرق في قراءة القرآن الكريم، ويتأمل التعاسة تعلو وجوه القوم، برغم الرواج الاقتصادي نسبيًا آنذاك.

بعد زواجه منها، وبعد تمتعه بوظيفة مرموقة، ومركز أدبي ومرتب كبير ومستقبل واعد، لم يكن في الظاهر ثمة سبب يدعوه لمغادرة أوروبا. وفي يوم عيد الغطاس كان الشاب وزوجته يستقلان مترو الأنفاق، و ظلا يرقبان الوجوه التي لم يبد عليها البشر أبداً، برغم أن اليوم عيد، وبرغم مظاهر الأبهة البادية في ملابسهم و هندامهم. رجع إلى البيت، لمح مصحفًا مفتوحًا على سورة فسرت له حالة الشقاء التي ظهرت بوضوح على وجوه القوم، إنها سورة التكاثر. تحدث إلى إليسا فوافقته على ما أبدى من ملاحظات تربط بين السورة القرآنية وبين حال الشقاء التي لمساها في راكبي المترو.

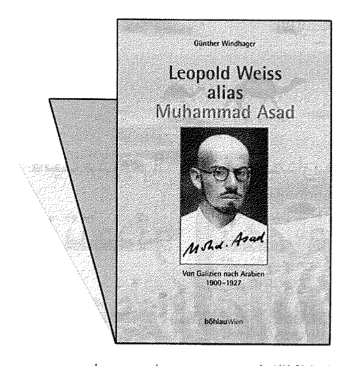
نطق محمد أسد بالشهادتين هناك في أوروبا، أو في برلين تحديدًا في عام ١٩٢٦م. ولما كانت الكلمة اليونانية «ليو» - المقطع الأول من ليوبولد - تعني «الأسد»، فقد اختار له أحد المسلمين المهاجرين هنالك اسم «محمد أسد». أسلم الرجل، وبعد أسبوعين أشهرت إليسا إسلامها، وصار طفلها يسمى أحمد.

أرسل محمد إلى والده خطابًا يخبره بإسلامه، فلم يتلق رده. فأتبعه بثان شرح فيه أن الإسلام لا يقطعه عن البر بوالديه، لكن الرد هذه المرة جاء من أخته التي قالت إنهم اعتبروه في عداد الأموات. لكن الله خفف عن الشاب المهتدي كل عناء عندما بادرت إليسا إلى إعلان إسلامها بعد أسبوعين.

وشأنه شأن غيره من المهتدين، يقص محمد أسد مواجيده حيال أصوات المؤذنين، و يعبر عن تذوقه للأذان في عباراته الفريدة، فيسميه تارة «الإنشاد»، ويصفه تارة بأنه «اللحن الدائم»، ويرى في الأذان مقدار التوحد و النسيج الروحي بين مسلمي المشارق والمغارب. كما يحكي صاحبنا سيرة بدء قراءته القرآن الكريم، عن طريق ترجمة فرنسية وأخرى ألمانية، إضافة إلى بعض الأعمال الاستشراقية، وإيضاحات صديق دمشقي. حدث ذلك في إثر مشاهدته الصلاة الجامعة في الجامع الأموي التي عبر عن انطباعاته إزاءها بالقول: «أدركت مبلغ قرب هؤلاء القوم من ربهم ومن دينهم. إن صلاتهم لم تكن تبدو منفصلة عن يوم عملهم مستقلة عنه، بل كانت قسمًا منه. لم يقصد بها أن تساعدهم على نسيان الحياة، بل على ذكرها عن طريق ذكر الله بطريق أفضل.

أدرك محمد أسد تمامًا مدى تطابق الإسلام مع أشواق البشر، فأوضح ذلك: «إن الإسلام لم يبد لي دينًا بالمعنى الشائع للكلمة (في الغرب) بمقدار ما بدا طريقة في الحياة، ولا نظامًا لاهوتيًا بمقدار ما تبينته منهاجًا للسلوك الشخصي والاجتماعي، قائمًا على ذكر الله».

إن جميع حركات النهضة في الإسلام اليوم، حركة أهل الحديث في الهند، وحركة السنوسي في شمال إفريقيا، ونشاط جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، يمكن أن ترجع إلى الدافع الروحي الذي حركه محمد بن عبدالوهاب في القرن الثامن عشر



ثم يواصل - رحمه الله - القول «إنني لم أستطع أن أجد في أيما مكان في القرآن أيما ذكر لحاجة إلى الخلاص، ليس في الإسلام من خطيئة أولى موروثة تقف بين المرء ومصيره، ذلك أنه ليس للإنسان إلا ما سعى. ولا يطلب أيما نسك أو إماتة لفتح باب خفي إلى الطهارة، ذلك أن الطهارة من الصفات حق يرثه الإنسان بالولادة».

هكذا اهتدى الرجل، وفقه في دين الله، وأخلص لعقيدة التوحيد، وأحب أهل القبلة. ولكن راعه البون الواضح بين صفاء العقيدة وكدر الحياة الواقعية للمسلمين، فقال بغير مواربة: «لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيمًا، بل لقد كان الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء. إلا أنهم ما إن أصبح إيمانهم عادة، وانقطع عن أن يكون منهاجًا في الحياة يتبع بوعي وإدراك، حتى خبت تلك القوة الدافعة الخلاقة التي كانت من وراء مدنيتهم، و أفسحت المجال إلى الاسترخاء والعقم والانحطاط الثقافي».

ألا ما أروع مقولته: «أنا لم أصبح مسلمًا لأني عشت زمنًا طويلاً بين المسلمين، بل كان الأمر عكس ذلك، ذلك أنني قررت أن أعيش بينهم لأني اعتنقت الإسلام». في يناير ١٩٢٧م خرج ثلاثتهم (أسد وإليسا وأحمد) قاصدين الحج، و في طريقهم نزلوا بمصر. وهناك تحدث محمد أسد طويلاً إلى الشيخ المراغي (الذي صار شيخًا للأزهر). ترك اللقاء مع الشيخ مصطفى المراغي أثرًا عميقًا لدى محمد أسد، فتنبه إلى ضرورة إحياء الدين في النفوس على أصوله الصحيحة. و كان تجواله في أرجاء العالم الإسلامي المترامية قد كشف له عن أنماط شتى من سلوكيات المسلمين، فبعد ترحاله توصل إلى نتيجة مفادها أن سبب تأخر المسلمين لا يكمن في دينهم، بل يكمن في سوء فهمهم له، أو عدم التزامهم به. وتأكدت لديه هذه الأفكار من خلال مقابلاته مع شخصيات مرموقة عبر العالم الإسلامي: عمر المختار في برقة، الشيخ ابن بليهد في المدينة المنورة، العلامة إقبال في لاهور.

ثم خرج قاصدًا حج بيت الله الحرام، وهنالك ماتت زوجته الأولى «إليسا»، حيث دفنت في أشرف جوار، بعد تسعة أيام من أدائهم فريضة الحج. وبعد عام من وفاة إليسا، أرسل الطفل أحمد إلى أهلها في ألمانيا. وعانى محمد أسد الحزن والانقباض، اللذين لم يخففهما عنه سوى الانغماس في دراسة الإسلام واللغة العربية.

وبينما كان يتردد كعادته على المكتبة العامرة بمكة المكرمة، شاهده (الأمير) فيصل بن عبدالعزيز الذي دعاه لمقابلة الملك ابن سعود. وصار يتردد على مجلسه بانتظام، حتى منحه الملك ترخيصًا يتيح له التجوال عبر أنحاء الجزيرة العربية دون أن يعترضه أحد.

و أمضى محمد أسد في جزيرة العرب ست سنوات، توثقت فيها علاقته بالملك عبدالعزيز مؤسس المملكة العربية السعودية.

في عام ١٩٣٠م تزوج محمد أسد سيدة من شمر، رزق منها بولده طلال. رزق - بعد تسع سنوات من لقائه والأمير عبدالله في الأردن - بمولود سماه على اسم الأمير الصغير «طلال»، جد الملك عبدالله الثاني، عاهل الأردن الحالي. وأقام ثلاثتهم بالمدينة المنورة، حيث انهمك الأب في دراسة الإسلام. و شعر كما لو كان هنا موطنه الأصلي، فلم يعد غريبًا. واستفاد محمد أسد من عبدالله بن بليهد الذي وصفه بالقول: «إنه أعظم علماء نجد على الإطلاق» و«كان من أذكى الرجال الذين عرفتهم في العالم الإسلامي».

وما كان لمحمد أسد أن تطول إقامته بالجزيرة العربية دون أن يأتي على ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقد سجل: «إن جميع حركات النهضة في الإسلام اليوم - حركة أهل الحديث في الهند، وحركة السنوسي في شمال إفريقيا، ونشاط جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده - يمكن أن ترجع إلى الدافع الروحي الذي حركه محمد بن عبدالوهاب في القرن الثامن عشر ».

دليل تقييم العنف في المدارس الأمريكية

لا تتحدثوا إليهم فقط استمعوا لهم أيضًا

المصدر: THREAT ASSESSMENT IN SCHOOL GUIDE
US Department of Education and US Secret Service 2002
ترجمة : عبدالله الحربي - المدينة المنورة

استغرق العمل ثلاث سنوات بتعاون بين US Department of Education- و US Secret Service ليصدر بعدها دليل العنف في المدارس الأمريكية الذي طبع عام ٢٠٠٢م في ٩٩ صفحة ويشمل سبعة فصول: الفصل الأول كان مقدمة عن تقييم التهديد والعنف في المدارس، والفصل الثاني عن خلق الجو المدرسي الآمن، والفصل الثالث كان عن النتائج الأولية لاستطلاع العنف في المدارس الأمريكية، والفصل الرابع عن مضامين عملية تقييم العنف في المدارس، والفصل الخامس كان عن إدارة وتوجيه عملية تقييم العنف، والفصل السادس عن إدارة مواقف العنف والتهديد، والفصل السابع والأخير كان عن عمل خطط التقييم من القياديين في المدارس ومحتوى برنامج التقييم.

منذ شهر يونيو عام ١٩٩٩م، عمل قسم التربية ومكتب الخدمة السرية في الولايات المتحدة الأمريكية كفريق واحد لمزيد من الفهم حول قضية العنف في المدارس، ولإيجاد الوسائل التي تمنع صور العنف ومنها إطلاق النار في مدارس أمريكا. عندما بدأنا هذا التعاون قبل ثلاث سنوات تقريبًا، كنا لا ندري ما هي المعلومات التي ربما لا نستطيع تغطيتها في دراستنا المشتركة عن ظاهرة العنف في المدارس والتي سميت «نحو مدارس آمنة».

على كل حال، خلال هذا التعاون ركزنا على هدف عام واحد هو: إيجاد معلومات دقيقة ونافعة عن حالات العنف السابقة في المدارس لنتمكن من تجنب حدوثها في المستقبل.

هذه الوثيقة «تقييم العنف في المدارس» دليل إدارة مواقف العنف والتهديد وتوفير أجواء مدرسية آمنة، من خلال خطوات تتمثل في تعريف وتحديد وتقويم، ومن ثم معالجة الطلاب الذين يصدر منهم سلوك التهديد والعنف في المدارس. هذه العملية المسماة«تقييم العنف في المدارس»كانت بمبادرة من مكتب الخدمة السرية للولايات المتحدة الأمريكية الذي اتخذ أساسًا آلية للكشف عن التهديدات التي توجه ضد رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وحماية الدبلوماسيين.



فكرة مكتب الخدمة العسكرية السرية طورت معتمدة على نتائج الدراسات السابقة لمكتب الخدمة السرية عن الاغتيالات والهجمات ضد الدوائر الحكومية والشخصيات الرسمية. هذا الدليل يمثل تعديلاً لعملية تقييم التهديد التابعة لمكتب الخدمة السرية معتمدًا على نتائج استطلاع «السلامة الأولية للمدارس».

و تم تكييف هذا الدليل ليستخدمه العاملون في المدرسة، المحامون الرسميون وغيرهم من المسؤولين عن حماية مدارس شعبنا.

هذا الدليل يتضمن مقترحات لتطوير فريق تقييم العنف داخل المدرسة، والخطوات التي يمكن اتخاذها عند ظهور العنف في المدرسة أو أي موضوع له علاقة بتهديد أمن المدرسة والعاملين فيها مع الأخذ في الاعتبار تدخل قوى الأمن الرسمية في ذلك، وأفكار كثيرة

توفير أجواء مدرسية آمنة.

المبادئ التي تقوم عليها عملية تقييم العنف في المدارس:

هذا الدليل يهدف إلى استخدام منظم لتقويم التهديد المسبق كأساس لتجنب العنف في المدارس، عملية تقويم العنف تتضمن التعريف، التقويم وإدارة الأفراد أو الطلاب الذين يمكن أن تصدر منهم مثل هذه التصرفات العنيفة.

عملية تقويم العنف تقوم على المبادئ التالية:

المبدأ الأول:

العنف المستهدف هو نتيجة نهائية لعملية صادرة عن تفكير وسلوك مفهوم ويمكن إدراكه:



ولشرح هذا المبدأ، من خلال نتائج الدراسة وجدنا أن الطلاب الذين صدر منهم العنف كانوا يتحدثون لأقرانهم عنها وكانت مجرد أفكار، ومنهم من كان يسجل أفكاره نحو العنف في مذكرات أو من خلال مواقع الإنترنت، وبعضهم كان يبحث عن الأسلحة ليتدربوا عليها لاستخدامها في الهجوم على من في المدرسة.

الأفعال العنيفة لهؤلاء الطلاب تصدر بعد صدور هذه الأفكار بأيام أو أسابيع وربما شهور وسنوات.

المبدأ الثاني:

العنف المستهدف ينشأ من تفاعل يحدث داخل الأشخاص، والمواقف، والظروف المحيطة، والأهداف:

يمكن شرح هذا المبدأ كما يلي:

أ - الأشخاص: لتحديد العنف المستهدف، يجب على المهتمين القيام بالتقويم وجمع معلومات عن الأشخاص المتوقع قيامهم بمثل هذه الأعمال.وأهم سؤال يمكن أن يطرح في عملية التقويم هو:

كيف وصل الطالب للموقف الذي قاده لأن يرى حياته لا تحتمل ومليئة بالضغوط النفسية؟

الطلاب الذين لديهم شعور بالإحباط والكبت أكثر من يتوقع منهم أعمال العنف، لذلك يجب إعطاؤهم مزيدًا من الاهتمام.

ب- المواقف: على الباحثين في حالات العنف تفحص الظروف والأحداث المهمة في حياة الأفراد الذين تصدر منهم الأفعال العنيفة، خصوصًا الأحداث الأخيرة التي ربما سببت لهم بعض الضغوط، حيث وجدنا بعض الطلاب كانت تصرفاتهم العنيفة بمثابة ردة فعل لشعورهم بالذل أو الظلم، أو بسبب فقدانهم لعلاقات اجتماعية كانت مهمة بالنسبة لهم. **أغلب حالات إطلاق النار في المدارس كانت بسبب مواقف تعرض أصحابها لضغوط نفسية كبيرة.**

ج- الظروف المحيطة: وأهمها الأقران أو الأصدقاء حيث وجد في كثير من الحالات أنهم يشجعون بعضهم بعضًا على حالات العنف التي تحدث، بل ويساعدون في تنفيذ تلك الأفعال وإن كانت قلة منهم ربما يمنعونه عن مثل هذه الأعمال. لذلك فإن عملية الاتصال والتواصل مع الظروف المحيطة بمن توجد لديهم أفكار العنف من الطلاب والطالبات سيكون له دور كبير في تجنب عملية العنف داخل المدرسة.

د- الهدف أو الأهداف: على القائم بتقويم موضوع

العنف الاهتمام بهدف الطالب القائم بمثل هذه الأعمال، حيث إن هدفه ربما يكون أحد الطلاب الذين يريد الانتقام منهم بسبب عدم معاقبة المدرسة لهذا الطالب، أو ربما يكون هدفه معلمًا معينًا كان يقسو عليه. وتنتقل الأهداف من الخصوصية لأهداف أكثر عمومية مثل أن يكون الهجوم على مبنى المدرسة ككل أو على كل الطلاب، أو على المقصف المدرسي...إلخ.

المبدأ الثالث:

العقلية الاستقصائية الفضولية النازعة للشك مهمة لنجاح عملية تقييم العنف:

العقلية الاستقصائية مطلب أساسي لنجاح عملية تطبيق تقييم العنف في المدارس حيث تتطلب هذه العملية توجيه عناية خاصة للنقاط المفتاحية حول سلوك الطالب قبل ارتكابه لعملية العنف، كما يجب العناية بالدقة والوضوح حول الحقائق الأساسية عن حياة الطالب واهتماماته وجميع المعلومات التي تدعم فرضيات أسباب ارتكابه لهذه الأفعال.

المبدأ الرابع:

التقييم الفعال للعنف هو الذي يعتمد على الحقائق أكثر من اعتماده على الخصائص والسمات:

ويعني ذلك أن الحكم على عنف الطالب يجب أن يعتمد على حقائق سلوكية ذات ارتباط بحادثة العنف وليس على السمات الشخصية للأفراد أو طبقاتهم.

المبدأ الخامس:

النظام التكاملي يجب أن يقود عمليات تقويم العنف:

النظام التكاملي يوضح مدى الحاجة إلى التعاون والمشاركة بين المدارس والأنظمة الأخرى خارج المدرسة. هذه الأنظمة تشمل: قوة النظام، الخدمات الاجتماعية، مستشفيات الصحة النفسية، المحاكم، مؤسسات المجتمع، الأسر، المنظمات الدينية وغيرها.

المبدأ السادس:

السؤال الرئيس لتقييم العنف هو: لماذا كان الطالب ينوي العنف؟ وليس: هل ارتكب الطالب العنف؟ أوضحت النتائج أنه من المهم تكوين الحكم في عملية تقييم العنف اعتمادًا على سلوك الطالب واتصالاته، أكثر من كون الطالب أو الطالبة ارتكبا عنفًا ضد هدف معين، فالجهة القائمة على تقييم العنف يجب أن تفرق بين ارتكاب العنف وبين التخطيط له أو بناء القدرة على أعمال العنف، فالطلاب الذين يشعرون بالغضب،

■■ الطلاب الذين صدر منهم العنف كانوا يتحدثون لأقرانهم عنه وكانت مجرد أفكار، ومنهم من كان يسجل أفكاره نحو العنف في مذكرات أو من خلال مواقع الإنترنت، وبعضهم كان يبحث عن الأسلحة ليتدربوا عليها لاستخدامها في الهجوم على من في المدرسة ■■

والإحباط، والرعب أو القهر من الأقران. ربما توصلهم هذه المشاعر إلى القيام بأعمال عنيفة ضد المدرسة ومن فيها وعلى المهتمين العمل على تجنب مثل هذه المشاعر المسببة للعنف.

عناصر عملية تقييم العنف داخل المدرسة:

سلطة تدبير الاستقصاء:

عندما يخبر المعلم مدير المدرسة بأن الطلاب يقولون إن «جون» أخبرهم بأن لا يذهبوا إلى المقصف هذا الصباح حتى لا يصابوا بأذى، فإن ذلك يؤدي إلى عدة احتمالات أحدها أنه ربما يريد تخويف زملائه فقط ولا يوجد تهديد. والاحتمال الثاني أنه سمع شيئًا عن تهديد من أحد الطلاب بعمل عنيف داخل المقصف. والاحتمال الثالث هو أن جون نفسه يريد أن يرتكب عملاً عنيفًا داخل المقصف. مثل هذا الخبر يجب أن لا يتم تجاهله.

إذًا أهم ما في هذا العنصر:

أ - تأسيس سلطة لاستقصاء السلوك ولعمل ذلك يجب أن يتم تغطية النواحي التالية:

نطاق السياسة وهدفها

- دور المعلمين وفريق تقييم العنف وفقًا لما تسمح بها القوانين.

- تعريف وتفويض السلطة للعاملين في المدرسة فيما يتعلق بتحديد استعلام أو استقصاء تقييم العنف.

- تعريف الحدود المتعلقة باستقصاء تقييم العنف مثل وصف طبيعة السلوك أو الاتصال

الذي يؤدي إلى العنف.

– وصف أنواع المعلومات التي قد تجمع أثناء عملية التقييم.

– تحديد الأفراد أو المجموعات المسؤولة عن جمع وتحديد المعلومات.

جميع الخطوات التالية يجب أن تؤخذ من النتائج الأولية لعملية الاستقصاء.

ب – توزيع المعلومات لدعم عملية تقييم العنف داخل المدرسة.

ج – الاهتمام بالاعتبارات القانونية في سياسات وإجراءات تطوير توزيع المعلومات.

القدرة على القيام بتقييم العنف داخل المدرسة:

كثير من المدارس عبر الولايات المتحدة أنشأت فرقًا لمواجهة العديد من المواقف من حالات الانتحار إلى حالات الاحتياجات التربوية الخاصة. مثل هذه الفرق ربما تكون مفيدة جدًا في عملية تقييم العنف في المدرسة. الأدوار والمسؤوليات المنوطة بالفريق أو أعضاء الفريق يجب أن تحدد بشكل واضح.

المهارات والتدريب:

تطوير القدرة على القيام بعملية تقييم العنف داخل المدرسة يتطلب التجديد والتدريب على أيدي متخصصين، كما يتطلب مهارات خاصة مثل المؤهلات، المهارات، المعرفة.

الطلاب يجب أن يستمعوا بكل الإجلال والتقدير إلى الكبار وإلى أقرانهم ومعلميهم ومديريهم ، وجميع من في المدرسة يجب أن يستمعوا للطلاب بكل الإجلال والتقدير أيضًا . كذلك الاستماع يجب أن يخرج عن الاهتمامات العلمية ليشمل الاستماع إلى مشاعر الطلاب وأحاسيسهم وخصوصًا ممن يشتكون من مشكلات وآلام

والخبرات المطلوبة في عضو فريق تقييم العنف داخل المدرسة يجب أن تشتمل على:

– القدرة على التحليل وطرح التساؤلات والنزوع إلى الشك.

– القدرة على ربط الوقائع والأحداث مثل الربط بين الوالدين، والزملاء، المختصين الآخرين والطلاب.

– الإلمام التام بمراحل النمو وبخاصة الطفولة والمراهقة وبيئة المدرسة، والحاجة لأمن المدارس والمجتمع، وأن تكون له مكانة داخل المدرسة ومعروفًا داخل المجتمع بوضوحه وصدقه.

– القدرة على جمع وتقويم المعلومات من مصادر مختلفة.

– التحفظ وتقدير أهمية حفظ المعلومات سريًا، وإدراك الضرر المحتمل من معرفة الغير بالمعلومات السرية.

– إدراك الفرق بين الضرر والمساعدة في حالات التدخل في تعديل سلوك الطلاب.

علاقات الأنظمة التكاملية:

لتحديد وتعريف التعامل مع الطلاب الذين ربما يخططون لارتكاب أعمال عنف، يجب أن يبني برنامج تقييم العنف علاقات مع الأفراد والمؤسسات داخل المدرسة وخارجها.

هذه العلاقات يمكن أن تساعد الفريق على اكتساب واستخدام معلومات حول موقف معين لتطوير استراتيجيات لتجنب العنف الذي يستهدف المدرسة.

المعلومات المطلوب استقصاؤها:

أول قرار يجب أن يتخذه القائم بتقييم العنف في المدرسة هو الاستقصاء عن معلومات تشمل خمس نقاط:

الحقائق التي توضح ماهية الطالب والموقف والهدف:

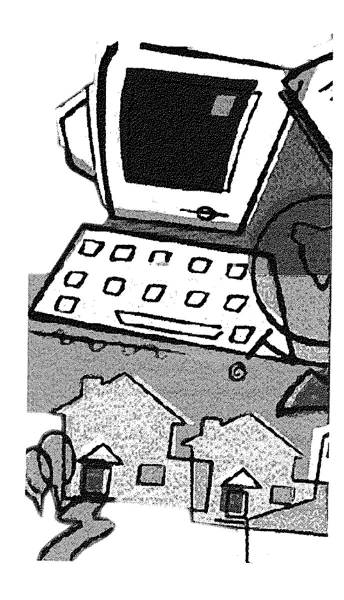
بمعنى أنه يجب السؤال عن كيفية انتباه الجهاز لتصرفات الطالب المتهم بالعنف، وما التصرفات التي صدرت منه وتم رصدها رسميًا، من هم الشهود على تصرفاته، كم مضى من الوقت على كتابة التقرير عن هذه التصرفات.

–المعلومات عن الطالب:

أ–هويته: وتشمل:

الاسم، بنيته الجسمية (الطول، الوزن...إلخ).

تاريخ الميلاد.



رقم الهوية.

ب-معلومات تعطي خلفية عن الطالب: وتشمل:

معلومات السكن.

حالة العائلة الاقتصادية.

الحالة التعليمية العائلية.

أداء الطالب العلمي.

علاقاته الاجتماعية.

تاريخ العلاقات والصراعات التي يعانيها.

تاريخ إزعاجه للآخرين أو إزعاج الآخرين له.

تاريخ العنف نحو نفسه والآخرين.

تاريخ بقائه ضحية للعنف أو عاملاً للعنف.

اتجاهاته نحو العنف والسلوك الإجرامي.

تاريخ معالجته النفسية.

تاريخ تعلمه واستخدامه الأسلحة.

ج-معلومات عن حياته في الوقت الحالي:

موقع سكنه الحالي.

طبيعة ومستوى علاقاته الحالية بالآخرين.

المفقودات الأخيرة في حياته (مثل فقدان أحد أقاربه أو علاقات مع أحد كان مهمًا بالنسبة له).

شكاواه الحالية.

ملاحظات عن تصرفات غير سليمة قام بها الغير نحوه.

صعوبات يشعر بها بسبب حدث معين يمر به.

الانخفاض في تقديم وظائفه الاجتماعية، العلمية، السلوكية أو النفسية.

المعلومات المتعلقة بسلوك العنف:

وتشمل هذه المعلومات:

الأفكار والخطط حول أذى الطالب لنفسه أو مهاجمة المدرسة أو أشخاص فيها.

الاتصال أو الكتابات التي تشير إلى أن الطالب غير عادي أو له اهتمامات مقلقة في المدرسة.

الملاحظات التي تعبر عن أن الطالب لدية تفكير في ارتكاب العنف في المدرسة .

سلوكه الأخير في البحث عن سلاح.

الملاحظات التي تشير إلى أن الطالب استخدم العنف لحل مشكلة ما.

- الدوافع:

معرفة أهداف الطالب من ارتكاب العنف شيء أساسي في تقييم العنف وهذه الأهداف تشمل:

- الانتقام بسبب ظلم معين تعرض له في المدرسة.

- جذب انتباه الآخرين بسبب تجاهلهم له.

- عجزه عن حل مشكلة جعلته يرى أن الحياة لا تحتمل فتولدت الرغبة لديه بالموت أو الانتحار.

اختيار الهدف:

كثير من الطلاب يخبرون أصدقاءهم وأقرانهم بأهدافهم التي يوجهون إليها أعمال العنف قبل تنفيذها. المعلومات حول أهداف الطلاب توفر أفكارًا عن أهداف الطلاب، وخططهم، وكل ما يتعلق بسلوكهم العدواني.

مصادر المعلومات عن الطالب العنيف:

أ- معلومات المدرسة:

والمقصود بها سجلات الطالب لدى المدرسة كما يجب أن يوجه للمدرسة هذا السؤال:

هل الطالب معروف لجميع العاملين في المدرسة؟

ب- المقابلات الإضافية داخل المدرسة:

على القائم بعملية تقييم العنف في المدرسة توجيه عدد من الأسئلة للطلاب والمعلمين والعاملين في المدرسة الذين لهم علاقة بالطالب مصدر السلوك العدواني، وأهم هذه الأسئلة ما يلي:

- ماذا كان يقول؟ وإلى من كان يتحدث؟
- ماذا كان يكتب؟ ولمن يرسل كتاباته؟
- ماذا كان يفعل؟
- متى وأين تظهر أفعاله؟
- من أيضًا لاحظ هذا السلوك؟
- هل الطالب قال لماذا هو يفعل ذلك؟

ج-المقابلات مع أولياء الأمور:

من المهم لمقوم العنف الكشف عن اهتمامات الطالب موضوع العنف داخل المدرسة من خلال والدية أو الأوصياء عليه.

د- المقابلات مع الطلاب (مرتكبي العنف):

الهدف الأول الذي يمكن أن تحققه المقابلة مع الطالب أو الطلاب مرتكبي العنف هو التعرف على أفكاره ودوافعه نحو السلوك العدواني.

المعلومات التي يجب أن تجمع مرتبة وتحلل:

المعلومات التي يجب أن تجمع مرتبة وتحلل عن الطالب مصدر السلوك العدواني تتمثل في تحليل إجابات الأسئلة التالية:

- ما دوافع الطالب وأهدافه؟
- هل لديه علاقات أو روابط شجعته على السلوك العدواني؟
- هل الطالب مصدر السلوك العدواني مهتم باستخدام السلاح ومتابعة أخبار التصرفات العدوانية داخل المدرسة؟
- هل الطالب سبق أن اشترك في سلوكيات لها علاقة بالعنف؟مثل:
- التخطيط أو طرح فكرة هجوم عدواني على المدرسة أو الطلاب أو العاملين فيها؟
- القيام بالتدرب على استخدام السلاح.
- هل الطالب لديه القدرة الكافية لتنفيذ السلوك العدواني؟
- هل الطالب يشعر بالإحباط واليأس وفقدان الأمل؟
- هل الطالب لديه علاقة موثوقة مع واحد على الأقل من المسؤولين في المدرسة؟
- هل الطالب ينظر إلى العنف على أنه شيء مرغوب فيه أو أنه فقط طريقة لحل المشكلات؟
- هل حديث الطالب أثناء مقابلته منسجمة مع ما نفذه من سلوك عدواني؟
- هل الناس الآخرون حول الطالب كانوا متوقعين أو قلقين من ارتكابه عملاً عنيفًا؟
- ما الظروف التي جعلت احتمالات القيام بالسلوك العدواني قوية؟

أسس توفير جو مدرسي آمن ومترابط:

- تقييم الجو العاطفي للمدرسة:



لا بد من عمل استطلاع للجو العاطفي داخل المدرسة، حيث إن نتائج استطلاع الجو المدرسي من شأنها أن توجه الجهود لعمل خطط تعزز الأمن والاحترام المتبادل داخل البيئة التعليمية.

- تأكيد أهمية الاستماع داخل المدرسة:

الطلاب يجب أن يستمعوا بكل الإجلال والتقدير إلى الكبار وإلى أقرانهم ومعلميهم ومديريهم ، وجميع من في المدرسة يجب أن يستمعوا للطلاب بكل الإجلال والتقدير أيضًا. كذلك الاستماع يجب أن يخرج عن الاهتمامات العلمية ليشمل الاستماع إلى مشاعر الطلاب وأحاسيسهم وخصوصًا من يشتكون من مشكلات وآلام.

- تأكيد الحزم مع الحذر تجاه فك رموز الصمت:

الصمت يترك أفكار الطلاب ومشاعرهم غير معروضة وغير معروفة لدى المدرسة، والصمت يشجع الطلاب للتحرك في طريق أعمال العنف للتعبير عن مشاعرهم التي لم تجد من يستمع إليها وينفس عنهم.

- العمل الفعال توفير تغيير يجعل الطالب الذي ورّط بعمل السلوك العدواني يسارع لتبليغ المدرسة ولو خلسة أو بدون علم الآخرين.

- إيجاد الطرق لوقف «التنمر»:

«التنمر» أتت من كون الطالب يجعل نفسه «نمرًا» على طالب أو طلاب آخرين، حيث إنه يستخدم القوة بالألفاظ أو الأفعال ليسيطر على زملائه روحيًا وأحيانًا يؤذيهم أخلاقيًا. في المدرسة التي يسودها جو الأمن والترابط، كل من الطالب المتنمر وضحية التنمر لابد أن يلقوا عناية خاصة، وفي المدرسة التي يسودها الأمن والترابط لا أحد يتغاضى أو يتعامى عن التصدي لمعالجة سلوك التنمر عندما يعلمون أنه بدأ يظهر في المدرسة.

- اشتراك الطلاب في التخطيط والعمل على توفير جو مدرسي آمن ومليء بالاحترام:

تكوين جو المدرسة الآمن عملية يجب أن يشترك فيها جميع أعضاء مجتمع المدرسة بمن فيهم المعلمون، والطلاب وأولياء الأمور، الاستشاريون التربويون، ومديرو المدرسة والجهات الصحية، والمختصون الأمنيون وجهات الدعم الأخرى.

- تأكيد أن يشعر الطالب أو الطالبة بأنه أو أنها على علاقة وثيقة مع أحد العاملين بالمدرسة:

علاقات الثقة بين العاملين بالمدرسة والطلاب توفر

تكوين جو المدرسة الآمن عملية يجب أن يشترك فيها جميع أعضاء مجتمع المدرسة بمن فيهم المعلمون ، والطلاب وأولياء الأمور والاستشاريون التربويون ، ومديرو المدرسة والجهات الصحية ، والمختصون الأمنيون وجهات الدعم الأخرى

شيئًا من الترابط والتفاعل والاتصال، وهذا من شأنه تقليل العنف في المدارس.

إيجاد الحركية في تطوير وتأكيد الجو المدرسي الآمن:

و هذا الأساس يجب أن يكون بمثابة عربة تسير نحو التخطيط والمراقبة الدائمة لجو المدرسة العام. وهذه الحركة عملية مشتركة يجب أن يقوم بها مديرو المدارس والمعلمون والاستشاريون والطلاب، وطاقم النظام في المدرسة. من الأسئلة التي يجب أن توضع في الاعتبار: ماذا يجب عمله لتطوير ودعم الأمن في المدرسة؟

إلى أي حد إدارة المدرسة والمعلمون يشجعون التركيز على تعلم احتياجات الطلاب الاجتماعية والعاطفية؟

العناية بالبيئة الملموسة وأثرها في توفير أجواء مريحة:

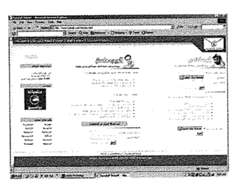
ويقصد بذلك المبنى المدرسي ووجود الساحات الكافية فيه للطلاب، وإضاءته وديكوراته، كلها تساهم في الشعور بجو مدرسي آمن والعكس صحيح.

تأكيد نموذج النظام التكاملي:

توفير جو مدرسي آمن لا بد من تكامل الجهود وترابطها من خلال الطلاب والمعلمين ومديري المدارس وأعضاء مجلس التعليم، وأولياء الأمور وموظفي النظام ومؤسسات ما بعد المدرسة وغيرها.

لماذا لا نستبدل بجملة YOU'VE GOT MAIL وصلك بريد !!





من أفضل المواقع العربية التي توفر خدمة البريد الإلكتروني المجاني موقع «جواب» www.gawab.com والذي يوفر مساحة هائلة للبريد الإلكتروني، إضافة إلى العديد من المميزات الآخرى التي ينفرد بها.

ومن مميزات هذا الموقع الكثيرة :

- يوفر لك أكبر مساحة مجانية ١٥ ميجا بايت.

- يدعم خدمة POP3/SMTP.

- يوفر لك فلاتر حماية من الـ SPAM والفيروسات والرسائل الإباحية.

- تصميمات مختلفة لواجهة البريد.

- إمكانية تكوين عدد لا محدود من المجلدات.

- ومن إمكانيات البريد المتميزة والتي لا تتوفر في أي بريد آخر هي خاصية التبليغ بقراءة الرسالة، بحيث يقوم البريد بإعلامك متى قرأ المرسل إليه الرسالة.

- خاصية رائعة ومميزة وهي خاصية الرد التلقائي في حالة السفر مثلاً سيتم إرسال رد على كل رسالة تصلك تخبرهم بحالتك الآن و إذا ما تم وصول رسالتك.

- الأجمل هو وجود برنامج ريتشي لتنسيق رسالتك بالشكل الذي تفضل و بالألوان.

- تستطيع عمل إمضاء يظهر في نهاية كل رسالة.

- تفريغ البريد من الرسائل في وقت تحدده تلقائيًا حتى لا يمتلئ صندوق الوارد لديك.

- في كل رسالة هنالك إمكانية عمل مسودة للرسالة وإعطائك رؤية أولية عنها، واستخدام برنامج جواب لمن لا يستطيع الكتابة بالعربية وتدقيق إملائي للرسالة وإرسال مرفقات.

- الأهم هو تعدد اللغات التي يدعمها البريد سواء العربية أم الإنجليزية أم البرتغالية وغيرها.

- إمكانية عمل مرشحات للرسائل بحيث تقوم بكتابة الكلمات التي لا تريد استقبالها ثم طلب حذفها تلقائيًا حال وصولها أو نقلها الى مجلد آخر و هذه ميزة ينفرد بها بريد جواب، حيث كونه آمنًا للأطفال.

- توجد مفكرة خاصة بك تستطيع إضافة مواعيدك الخاصة بها.

- حجب العناوين التي لا ترغب في استقبال بريد منها.

- لمحبي برنامج المسنجر يمكنهم استخدام البرنامج أيضًا بعد إنشاء جواز مرور للمايكروسوفت.

بالإضافة إلى موقع جواب هناك مواقع عربية متميزة في هذا المجال مثل:

نسيج www.naseej.com

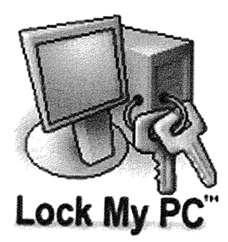
مكتوب www.maktoob.com

طريق الإسلام www.islamway.com

أين www.ayna.com

برنامج مفيد

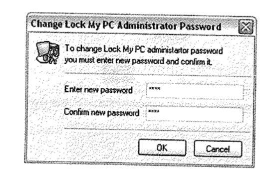
lock my pc



هل مللت من تطفل الغرباء على جهاز الكمبيوتر الخاص بك؟

هل تريد منع أي شخص من استخدامه في غيابك؟ هذا برنامج صغير الحجم، سهل الاستخدام، وعمله كبير، مهمته وضع كلمة سر على جهاز الكمبيوتر بحيث لا يمكن لأحد الدخول عليه أو استخدامه إلا بإدخال كلمة سر أنت تضعها بنفسك، بهذه الطريقة ستأمن على ملفاتك الخاصة و السرية من أعين المتطفلين، كذلك لن تخشى أن يعبث أحد الأطفال بجهازك في غيابك .

بعد تنصيب البرنامج ستظهر لك هذهِ الرسالة lock my pc

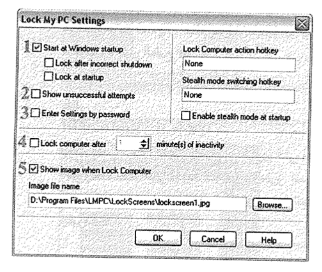


قم بإدخال رقم سري خاص بك ثم أعد كتابته للتأكيد .

عندما تريد أن تغادر الجهاز قم بتشغيل البرنامج والاطمئنان على أن كل الأعمال ستظل على حالها مع عدم إمكانية الدخول على الويندوز إلا بعد إدخال الرقم السري .

إعدادات البرنامج

بعد الدخول على إعدادات البرنامج ستجد عدة خيارات:



١- لتشغيل البرنامج عند انطلاق ويندوز.

٢- إظهار المحاولات الفاشلة لإدخال رقم سري.

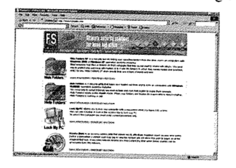
٣- عدم تمكين دخول الإعدادات إلا بالرقم السري.

٤- إقفال الجهاز بعد وقت معين.

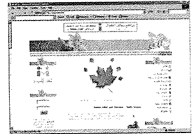
٥- إمكانية عرض صورة عند إقفال الجهاز تستطيع اختيارها بنفسك.

حجم البرنامج : ٧٩٦ KB

موقع التحميل: www.fsprolabs.com



مواقع لها



لكِ

www.lakii.com

موقع يهتم بالمرأة وشؤونها الخاصة، يتميز بتصميمه الجميل وأقسامه المتعددة، يغلب عليه الطابع الإسلامي، يضم مطبخًا لكِ.



بوابة عالم حواء

www.hawaaworld.com

موقع يختص بعالم المرأة الخاص، يحتوي على زوايا متعددة منها منتديات عالم حواء،أسماء المواليد، الفتاوى الجامعة ودليل الطبخ.



طفلي

www.mynono.com

موقع يُعني بشأن الطفل العربي، يحتوي على مواضيع تهم الأم وتساعدها على تربية أطفالها بالطرق السليمة، يضم أقسامًا عديدة منها: تغذية الطفل وصحة الطفل وثقافته وغيرها.

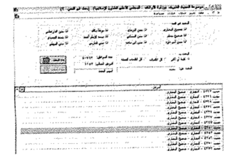


دليل الطبخ العربي

www.acookweb.com

العنوان يُغني عن الحديث عن هذا الموقع المتميز بطرحه.

برنامج عربي



موسوعة الحديث الشريف

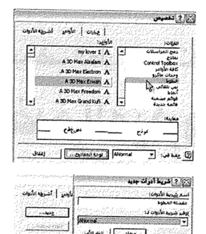
www.islamic-council.org

برنامج غني عن التعريف، مهمته فهرسة الأحاديث النبوية الشريفة بطريقة منظمة وبسيطة تسهل عملية البحث عن الأحاديث الشريفة أو كلمات منها.

يضم كلاً من: صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد.

للبحث عن كلمة في الأحاديث النبوية الشريفة ليس علينا سوى الاتجاه لنافذة خدمات ثم بحث في النص، وسيتم البحث عن الكلمة المطلوبة في أي مسند أو صحيح ترغب مع امكانية النسخ من المسند.

أفكار وحيل



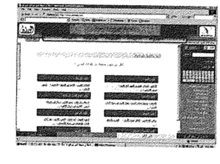
هل مللت في كل مرة تبحث عن خطك المفضل في برنامج وورد؟ الآن تستطيع عمل مفضلتك الخاصة للخطوط والتي تساعدك على اختيار خطوطك المفضلة بسرعة.

كل ما عليك عمله هو أن تنتقل الى (أدوات) ثم إلى (تخصيص). قم بالضغط على (جديد)، ثم قم بتسمية شريط الأدوات (مفضلة الخطوط) ثم موافق.

ستظهر لنا رسالة صغيرة قم بسحبها وإفلاتها في أعلى البرنامج بجانب الاختصارات.

نعود الى النافذة السابقة ونختار تبويب (الأوامر) ومن القائمة نختار (خطوط)، ستظهر لنا الخطوط الموجودة في الجهاز، قم بسحب الخط الذي تريده وأفلته في مفضلة الخطوط التي وضعناها في أعلى البرنامج.

مواقع متميزة



الوراق

www.alwaraq.com

موقع غني عن التعريف يضم أكثر من مليون صفحة من التراث العربي! تستطيع البحث عن أي كتاب سواء في الأنساب أو الأدب أو التاريخ أو الجغرافيا أو التراجم وغيرها.



فلاشيات

www.flashyat.com

الموقع العربي الأول المتخصص في تعليم برنامج الفلاش، يحتوي على أقسام عدة منها: منتدى فلاشيات، وبرامج الفلاش، وبطاقات الفلاش.



غوغل

www.google.com

أشهر موقع على الإطلاق يوفر محرك بحث عالمي و بعدة لغات منها العربية.

تحرم بعض الطيبات وتكره بعضها :

موضة الميكروبيوتيك

محيي الدين لبنية ـ المدينة المنورة



بدأ بعض من ينشدون الشهرة في الوطن العربي من الأطباء يشجعون استعمال نظام الميكروبيوتيك Microbiotic كأسلوب حياتي وغذائي جديد، مرتئين فيه الفن والعلم والصحة والديمومة التي تتحقق عن طريق دراسة وفهم العلاقات والتداخلات في جسم الإنسان، فيما يخص الطعام الذي يأكله وأسلوب الحياة الذي يختاره والبيئة التي يعيش فيها. فالميكروبيوتيك - كما يزعمون - محاولة للعودة بالإنسان إلى حالة صحية منسجمة مع البيئة الطبيعية.

الميكروبيوتيك كما تقول أسسه مدرسة للتفكير وللأفعال الحياتية تعتمد على استعمال مواد طبيعية - غير صناعية - في صناعة الملابس وبناء المنازل وتحضير الطعام. وبلا شك ليست جميع المركبات الموجودة طبيعيًا في النباتات غير ضارة بصحة الإنسان، فالكثير منها ذات خطورة على حياته مثل: نبات الشوكران السام والدفلة والأفيون، وهذا يعني ضرورة تحديد الاستعمالات الصحيحة للمواد الطبيعية غير الضارة بحياة الإنسان. ولقد صنفها أتباع نظام ميكروبيوتيك وفقًا لأساس معين خاص بهم، وتتعارض بعض الأساليب الغذائية لهذا النظام القادم إلينا من الشرق الأقصى في أصله ومولده مع النظام الغذائي المتزن سواء في حظر تناول بعض الأغذية البروتينية كاللحوم والألبان والبيض، أو في الإقلال من تناول الفواكه الطازجة وعصائرها التي لا تقل أهميتها في التغذية عن محاصيل الحبوب والبقول التي يرتكز عليها طعام الميكروبيوتيك.

وقد كان الياباني جورج أوهساوا George Ohas-wa، رجل الأعمال والمدرس والكاتب، أول من أدخل نظام ميكروبيوتيك إلى العالم الغربي العلماني الذي يتقبل سكانه بسرعة كل تقليعة جديدة ترد إليه. فعندما كان مراهقًا اكتشف هذا الفيلسوف إصابته بمرض الدرن، وظن أطباؤه في ذلك الوقت أن الفرصة ضئيلة في بقائه حيًا لكنه عاش - بعد إرادة الله تعالى - باتباع مبادئ الميكروبيوتيك التي وضع أسسها، ثم تلاه ظهور تعليمات الياباني ساجن إشزوكا Sagen Ishizuka الذي اشتهر وذاع صيته في بداية القرن العشرين في مجال العلاج الطبيعي للأمراض، وسافر من اليابان إلى أوروبا في عام ١٩٢٩م، ثم بدأ بعد مرور فترة قصيرة من وصوله إليها في تعليم الميكروبيوتيك. وساهم أتباع هذا النظام في ترويج تعاليم هذا الأسلوب الياباني في أصله ومولده على شبكات الإنترنت وفي مختلف دول العالم.

مبادئ الميكروبيوتيك

يقول دعاة الميكروبيوتيك إنه مفهوم مبني على أسس ونظريات وممارسات لفلاسفة وعلماء وأطباء عبر التاريخ الإنساني الطويل، فكلمة ميكروبيوتيك تعني في اللغة اليونانية macro كبير أو طويل ولفظ Bios أي حياة.

وتحدد مبادئ الميكروبيوتيك التأثيرات البيئية والغذائية وأسلوب حياة آلاف الأشخاص الذين استطاعوا إطالة أعمارهم - وهي من قدرة الله تعالى - بعد شفائهم من الأمراض المزمنة التي عانوها مثل: علل في القلب والسرطان وداء البول السكري.

وقد وضع ميشو كوشي Michio Kushi مصدر معظم التطورات الحديثة في أسلوب نظام الميكروبيوتيك دليلاً عامًا لنظام الحياة والطعام للأشخاص الذين يعيشون في المناطق القارية، وهو يشمل نسب الأغذية الأساسية لهم مصحوبة بممارسة عادات صحية أفضل تأخذ

في حسابها الحالات الفردية لكل شخص منهم، وإذا احتاج أي شخص إلى نصيحة خاصة بهذا الأسلوب الحياتي الشرقي في أصوله يجب عليه زيارة معهد كوشي لمقابلة خبير الميكروبيوتيك، إذ لديه برنامج تدريبي طوال الأسبوع يسمى «الطريق إلى الصحة» وهو يؤهل الشخص لاكتساب مهارات ومعارف معينة تحت إشراف متخصصين فيه.

وفي الميكروبيوتيك استخدمت مبادئ الطب الشرقي القديم نفسها بما سمي نظرية ين Yin ويانج Yang لتحديد نوعية المواد الموجودة في حياة أتباعه، وهذا يعني أهمية المواضيع الخاصة بالبيئة في تفكير أتباع الميكروبيوتيك والتأكيد بشكل خاص على الطعام الذي يتناوله. ويسود الاعتقاد بأن الأغذية التي يأكلونها تصبح جزءًا من أجسامهم، فيتوجه اهتمامهم بشكل خاص نحو نوعية البيئة التي يعيشون فيها والأغذية التي يأكلونها، مصنفة ضمن مجموعتين هما: ين more Yin أو يانج more Yang، وتعني كلمة طعام ين (Yeen) أغذية تحتوي على كميات أكبر من السكر مائية أو باردة أو استوائية في موطنها أو اثنين منها أو أكثر، بينما تعني طعام يانج (Yang) أغذية جافة ومطبوخة وقطبية في موطنها تحتوي على كميات أكبر من اللحوم.

وهناك أغذية من نوع يانج شديدة very yang food مثل: لحوم الماشية والدجاج وملح الطعام والجنسنغ يجب الامتناع عن تناولها. كما توجد أغذية (ين) شديدة very yin food مثل: السكر وأدوية تبعث النشاط ومشروبات مسكرة تحتوي على نسبة مرتفعة من الغول (الكحول) كالويسكي والبراندي والفودكا، وفي أحوال كثيرة سميت هذه الأنواع من الأغذية (المتطرفة).

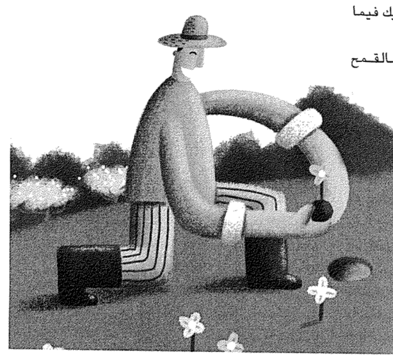
وتكون الأغذية المتزنة - غير المتطرفة - وهي طعام أتباع الميكروبيوتيك عبارة عن بذور المحاصيل الحقلية الكاملة مثل: القمح والدخن والشوفان ومنتجاتها المصنعة كالخبز والمعكرونة. ويقول فلاسفة الميكروبيوتيك إنه لا توجد أي حضارة بشرية قديمة لم تستعمل الحبوب في تحضير طعامها. كما يتركب طعام أتباع الميكروبيوتيك من بذور البقول ومنتجاتها وفيه تنوع واسع من الخضراوات وأعشاب البحر، والكثير من الشوربات والبهارات وأحيانًا الأسماك والفواكه التي يتناولونها (في المناسبات)، ويوجه الأشخاص الميكروبيوتيك انتباهم الشديد نحو حالتهم الشخصية ويضبطون نوعية ين ويانج فيما يحصلون عليه من الأغذية في طعامهم للمحافظة - كما يقولون - على حياتهم بعيدًا عن الإصابة بالأمراض في سعادة نفسية، بالإضافة إلى تصنيفهم الأغذية حسب نوعها فيأخذون في الحساب جودة هذه الأغذية، فمثلاً يشترطون زراعة الخضراوات التي تؤكل بالطريقة العضوية دون استعمال الأسمدة ومبيدات الآفات الزراعية. وتصطاد الأسماك وتجمع أعشاب البحر من مناطق بعيدة عن الشواطئ لضمان عدم تأثرها بما تسببه المدن من التلوث الصناعي. كما يمتنعون عن تناول الأغذية المعدلة وراثيًا حتى بذور الحبوب والبقول منها، ويكون أفضل المحاصيل النباتية لديهم تلك التي زرعت بطرق تقليدية وبذور لقحت طبيعيًا بغبار الطلع. ويعتقد بعض أتباع هذه الطريقة أن هذه العملية بكاملها مصدرها من الأزمان الغابرة - كما يقولون - ويزعمون أن طعام الميكروبيوتيك قد شفى آلاف الأشخاص عانى بعضهم أمراضًا خطيرة كالسرطان وعلل في القلب وكذلك مرضى البول السكري الذين كانوا يستعملون حقن هرمون الإنسولين في علاجهم. وسردت الكثير من القصص تناقلها الناس أو ذكرتها بعض الكتب الشعبية عن أشخاص شفوا من أمراضهم المزمنة باتباعهم أسلوب الميكروبيوتيك في حياتهم.وليس الميكروبيوتيك - كما يدعي أنصاره - عبارة عن دين لكنه وسيلة ثمينة تستعمل لتحسين صحة الإنسان وتنقي فكره وتزيد حدة أحاسيسه ووعيه.

يعتقد أنصار الميكروبيوتيك أن نظامهم المعيشي هو أفضل أساليب الطب البديل أو الطب المكمل شعبية في علاج السرطان والوقاية من حدوثه

تركيب طعام الميكروبيوتيك

بناء على الأسس الغذائية ونظام الحياة اليومية التي وضعها ميشو كوشي لأتباع الميكروبيوتيك فيما يخص مكونات طعامهم يتكون من الآتي:

- ٥٠٪ من بذور المحاصيل بأنواعها كالقمح والشوفان والدخن والأرز مع قشورها.
- ٢٠ ـ ٣٠٪ خضراوات طازجة بأنواعها.
- ٥ ـ ١٠٪ بذور بقول وأعشاب بحرية.
- ٥ ـ ١٠٪ شوربة بأنواعها.



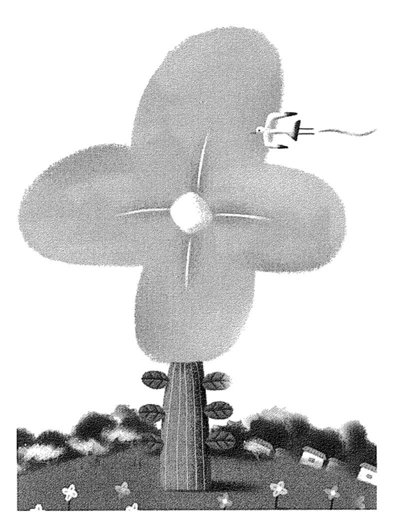
ويسمح لأتباع الميكروبيوتيك بين حين وآخر بتناول الأسماك والأغذية البحرية والفواكه الموسمية والمكسرات وغيرها في طعامهم.

وهذا يعني احتواء طعام الميكروبيوتيك على الألبان واللحوم بأنواعها والبيض، وهي مصدر جيد لما يحتاج إليه جسم الإنسان من البروتينات ذات القيمة الحيوية التي تفوق ما توفره بروتينات بذور البقول، ناهيك من استبعاد الفواكه الموسمية من طعام الميكروبيوتيك أو تناول القليل منها، وهي مصدر جيد للفيتامينات والعناصر المعدنية التي يحتاج إليها جسم الإنسان!

بذور المحاصيل مع قشرتها

وهي تمثل ٥٠٪ من وزن ما يتناوله أتباع نظام الميكروبيوتيك في طعامهم، ويشترط أن تكون من نواتج ما يسمى الزراعة العضوية ـ أي لا يستعمل فيها الأسمدة الصناعية ـ بهدف تجنب ارتفاع نسبة النترات في محاصيلها، وهي مركب أصبح موضع اتهام لإمكان تحوله في الجهاز الهضمي للإنسان إلى مركبات نتروز أمين nitrosamines المسرطنة لحيوانات التجارب، كما يكون الاتجاه الجديد نحو استعمال الأسمدة العضوية في الزراعة موضع اهتمام عدد متزايد من العلماء في العالم وليس أتباع الميكروبيوتيك فحسب. ويمكن طبخ بذور المحاصيل كالقمح والدخن بأي طريقة، وتشمل الحبوب الكاملة كلاً من الأرز الأسمر (الأرز مع قشرته) والشعير والدخن والشوفان والذرة والراي Rye والقمح الأسود Buk wheat، وكذلك تناول نسبة بسيطة من منتجات الحبوب كالمعكرونة والخبز الأسمر (البر) التي لم يستعمل في صناعتها الخميرة، وهي تمثل ٢٠ ـ ٣٠٪ من وزن طعام الميكروبيوتيك. ويوصى أتباع هذا النظام بتناول الخضراوات التي تزرع محليًا بالأسمدة العضوية وليست المستوردة، وطبخت بطرق مختلفة كالسلق بالبخار أو بعض الزيت الذي استخلص بطريقة العصر دون تكريره، وغذائيًا يوصى باستعمال بعض الزيوت النباتية فور عصرها دون تكرير مثل زيت الزيتون والسمسم، ولكن لا يمكننا تناول الزيت المستخرج من جنين البذرة ودوار الشمس وبذرة القطن دون خضوعه لعمليات تكرير وتنقية للتخلص بما يعلق به من شوائب تكسبه مذاقًا ولونًا غير مرغوبين.

وتضم الخضراوات المسموح بها يوميًا في طعام أتباع الميكروبيوتيك الكرنب والبروكلي وكولارد Collard ـ نوع من الكرنب ـ وكيل Cale ـ نوع من اللفت ـ القرنبيط والقرع العسلي والرشاد والبقدونس وكذلك الكرنب الصيني والهندباء البرية (طرخشقون) والأجزاء الخضرية لنبات الخردل والبصل والفجل واللفت، بالإضافة إلى الجزر والقرع الشتوي والكوسا، والكثير من هذه المحاصيل النباتية التي لا تزرع في بلادنا ويمكن استيرادها من دول بعيدة، لكن ذلك لا تسمح به مبادئ



الميكروبيوتيك التي تدعو إلى الاقتصار على تناول الخضراوات المزروعة محليًا، ويسمح بين وقت وآخر (٢ ـ ٣ مرات كل اسبوع) بتناول الخيار والسلق والخس ونباتات مثل الشبت والثوم المعمر Chives. كما ينصح الميكروبيوتيك أتباعه بعدم تناول بعض الخضراوات بشكل منتظم في أطباق طعامهم وتشمل: البطاطس والبندورة والباذنجان والفلفل الأخضر والسبانخ والبنجر لأنها لا تتناسب مع أجسامهم، وهذا أيضًا يخالف أسس التغذية السليمة، وما ينصح به المتخصصون في التغذية هو ضرورة تنويع الإنسان السليم للأغذية التي يتناولها في طعامه لتوفير ما يحتاج إليه جسمه من جميع العناصر الغذائية الموجودة في الأغذية.

بذور البقول والأعشاب البحرية

وهي تمثل ٥ ـ ١٠٪ من وزن طعام الميكروبيوتيك ويكون أفضل بذور البقول المستعملة بشكل منتظم في الطعام هي نوع يسمى Azuki beans والحمص والعدس، لكن يمكن بين حين وآخر تناول بذور البقول الأخرى في الطعام. كما يسمح بوجود منتجات مصنعة من بذور البقول مثل Tofu المحضر من بذور فول الصويا وNutto في طعامهم وهي شائعة الوجود في موائد طعام سكان شرق آسيا. وتكون الأعشاب البحرية مثل Wakame وNouri وHiziki وKombu وDulse وArane جزءًا مهمًا من طعام أتباع الميكروبيوتيك، وتستعمل أيضًا في تحضير أطباق طعام سكان الشرق الأقصى، وهي توفر فيتامينات وأملاح معدنية لأجسامهم.

شوربات

وهي تساهم بـ ٥ ـ ١٠٪ من وزن الطعام ويمكن تحضير الشوربة من الخضراوات والأعشاب البحرية والحبوب أو بذور البقول، ويمكن استعمال توابل مثل Miso وصلصة فول الصويا Tamarsoy sauce والملح البحري وهي أطباق طعام لا يعرفها عامة الناس في بلادنا.

السوائل

تشمل السوائل التي يوصى بشربها: أنواعًا من مشروب الشاي Twig tea من الفروع الصغيرة، وشايًا محضرًا من تحميص الأرز الأسمر، وقهوة محضرة من حبوب بعض المحاصيل المحمصة، وشايًا محضرًا من جذور الهندباء البرية، كما يمكن تناول أي مشروب شاي عادي ليس له نكهته المميزة أو تأثيره المنبه للأعصاب. كما يوصى بشرب مياه الينابيع والمياه الأخرى ذات الجودة العالية، وتكون هذه المشروبات غير معروفة على موائد طعام الأشخاص العاديين في بلادنا.

أغذية تؤكل بين حين وآخر

- تؤكل الأسماك الطازجة مرة واحدة إلى ثلاث مرات كل أسبوع وهي تمثل ٥ ـ ١٠٪ من وزن الطعام الذي يستهلكه أتباع الميكروبيوتيك يوميًا، والمسموح بتناوله منها السمك المفلطح Flounder وسمك موسى Sole والقد Cod وسمك الكارب Carb وسمك الهالبوت Halibut وسمك الترويت Trout.

- فواكه أو حلوى محضرة من الأنواع الطازجة أو المجففة للفواكه، ويمكن الحصول على ٢ ـ ٣ أطباق منها كل أسبوع، ويفضل تناول الفواكه التي تنتج محليًا والتي زرعت عضويًا ـ دون أسمدة ومبيدات ـ وإذا كان

الشخص الميكروبيوتيك يعيش في منطقة ذات طقس معتدل يجب امتناعه عن تناول الفواكه الاستوائية وشبه الاستوائية بحصوله على فواكه المناطق المعتدلة مثل: التفاح والبرقوق والخوخ والمشمش والبطيخ والشمام وثمار التوت بأنواعه، ولا ينصح بشربه عصير الفواكه بشكل متكرر. وفي علم التغذية لا يتوفر سبب علمي يدعم رأي أتباع الميكروبيوتيك في ضرورة امتناعهم عن تناول الفواكه الاستوائية وشبه الاستوائية إذا كانوا يعيشون في منطقة ذات طقس معتدل، فقد أمكن في علم النبات الحديث بوسائل التربية والانتخاب وتقنية الهندسة الوراثية تنوع نمو أصناف محاصيل الكثير من الفواكه بين الطقس البارد والحار.

- يستطيع أتباع الميكروبيوتيك بين حين وآخر بين وجبات طعامهم الرئيسة تناول المكسرات المحمصة بدرجة خفيفة، وكذلك بذور القرع العسلي والسمسم ودوار الشمس والفول السوداني والجوز.

- يمكن استعمال شراب الأرز والشعير المنبت Barley malt وAmasake وMirin كمحليات، وهي أغذية يعرفها سكان شرق آسيا ولا يستعملها العرب في طعامهم.

- يمكن بين وقت وآخر استعمال خل محضر من الأرز الأسمر لإكساب بعض أطباق الطعام المذاق الحمضي، وينتشر تحضير هذا النوع من الخل في شرق آسيا لانتشار استعمال الأرز كمحصول نباتي رئيس. في الشرق الأوسط، وفي بلدنا نعرف الخل المحضر من العنب أو التفاح وغيره من الفواكه السكرية.

التوابل الموصى بها

يسمح لأتباع الميكروبيوتيك باستعمال مسحوق أعشاب بحرية في عمل بعض أطباق طعامهم وهي تشمل Wakame وKomu وKelp وغيرها، ويمكنهم تناول مسحوق بذور السمسم مع الأعشاب البحرية وUmeboshi plums ومخلل Tekks pickles ومخلل كرنب مصنوع من ملح بحري، وTamari وMiso، وتستعمل هذه التوابل عادة في تحضير أطباق سكان شرق آسيا ومن يقلدهم وليس في الوطن العربي.

اقتراحات غذائية إضافية

- يجب استعمال زيوت طبخ مستخرجة من النباتات فقط، ويفضل استخدام مقادير معتدلة من زيت السمسم أو زيت الذرة غير المكرر في عمليات الطبخ، وفي المنطقة

> ويؤدي فرض قيود غذائية في طعام الميكروبيوتيك تشمل منعهم تناول أغذية حيوانية كالألبان ومنتجاتها واللحوم إلى تناقص مركب (كوبال أمين) المسؤول عن حدوث حالة فقر الدم الخبيث

العربية لا نعرف زيت الذرة الخام غير المكرر فمذاقه يختلف عن النوع المكرر، وهو أسرع تزنخًا عند تخزينه من النوع التقليدي الذي يباع في الأسواق.

- يجب أن يكون ملح الطعام من النوع المستخرج من البحار وغير المكرر، كما يمكن استعمال صلصة الصويا غير المعاملة كيماويًا، وعلميًا يحتوي الملح غير المكرر المستخرج من البحار على شوائب عضوية ومعدنية غير مرغوبة فيها غذائيًا، ومنها مركب النترات الذي كثر الحديث عن خطر ارتفاع تركيزه في الأغذية لإمكانية تحوله في الجهاز الهضمي إلى مركب نترو أمينات المسرطنة، وشاع في الأسواق بيع الملح النقي المدعم بعنصر اليود لأهميته في الوقاية من ظهور حالات نقصه في الجسم ومن حدوث مرض الدراق goiter.

أغذية يفضل استبعادها لصحة أفضل

كما يدعي أتباع الميكروبيوتيك أفضلية استبعادهم تناول أغذية أحلتها الأديان السماوية كافة، وكذلك علم التغذية الحديث، وإن كان يفرض بعض القيود على وجود بعضها في الطعام لدى علاج بعض الأمراض وهي تشمل ما يلي:

- اللحوم ودهون اللحوم والدجاج والبيض ومنتجات الألبان بما فيها الزبد والزبادي والآيس كريم والحليب والجبن والسكر العادي والشوكولاته والمولاس (وهو ناتج ثانوي من صناعة السكر وتكريره) والعسل والسكريات البسيطة الأخرى كسكر العنب (الجلوكوز)

وسكر الفواكه (الفركتوز) والفواكه المعاملة بالسكر والفانيليا.

- ثمار الفواكه الاستوائية وشبه الاستوائية كالأناناس والمانجو وعصائر الفواكه والمشروبات الصناعية ومشروبات منبهة للأعصاب كالقهوة وجميع أنواع الشاي المنبه للأعصاب والمعطر منه والمضاف إليه النعناع.

- جميع المركبات الملونة الصناعية والأغذية المعاملة كيماويًا وجميع حبوب المحاصيل المزال منها القشرة كالأرز الأبيض والشابورة والكيك والكعك والأغذية المحفوظة في علب والأغذية المجمدة والأغذية المعاملة بالإشعاع لإطالة فترة حفظها من الفساد الميكروبي.

- التوابل الحارة وأي مركبات نكهة للأغذية والخل الصناعي ومشروبات ذات تركيز مرتفع من الكحول، وبلا شك لا يشجع علم التغذية الحديث أيضًا على استخدام مركبات النكهة الصناعية والإكثار من إضافة التوابل إلى أطباق الطعام.

اقتراحات في نظام الميكروبيوتيك

وهناك مبادئ في الميكروبيوتيك يكون مصدر الكثير منها علم التغذية السليمة مثل:

- تناول أتباع الميكروبيوتيك طعامهم فقط عند شعورهم بالجوع.

- مضغ الطعام جيدًا (حوالي ٥٠ مرة أو أكثر) كل مرة يملأ فيها الفم بالطعام لأهميته في عملية الهضم وللاستفادة بشكل أفضل من مكوناته الغذائية.

- تناول الطعام بشكل منتظم مرتين أو ثلاث مرات كل يوم وبالكميات التي يرغبها الشخص ويجب ترك مائدة الطعام بعد الشعور بالرضا وليس الامتلاء (التخمة).

- شرب السوائل باعتدال، فقط عند الشعور بالعطش.

- ذهابه إلى السرير في منتصف الليل وتجنبه تناول الطعام قبل النوم وألا يقل عن ٢-٣ ساعات من ذهابه إلى النوم، ونومه بشكل عميق ومريح.

- حصول الشخص على حمام لجسمه حسب حاجته، لكن يشترط ألا يكون الحمام ساخنًا يستغرق فترة طويلة، وألا يستعمل رشاش الماء لأنه يستنفد العناصر الغذائية من الجسم.

- استعمال منتجات التجميل والتنظيف للجسم المصنوعة فقط من مكونات طبيعية غير سامة وتجنب استخدام المنتجات المصنعة كيماويًا والمعطرة.

- ارتداء ما أمكن ملابس مصنوعة من القطن، خصوصًا الداخلية منها، وعدم استعمال الملابس المصنوعة من ألياف صناعية أو صوفية على الجلد مباشرة، وتجنب لبس الخواتم على الأصابع والسلسلة على الرقبة أو ما شابهها في الأجزاء الأخرى من الجسم.

- ممارسة الشخص جزءًا من وقته خارج المنزل في المشي حوالي نصف ساعة كل يوم وتعريض جسمه بعض الوقت لأشعة الشمس.

- ممارسة رياضة بدنية بشكل منتظم كالمشي واليوجا والسباحة وغيرها.

- تشجيع عمليات زرع نباتات خضراء كبيرة في المنزل لفائدتها في زيادة تركيز غاز الأكسجين في الهواء وفتح نوافذ المنزل يوميًا لتجديد الهواء فيه حتى خلال الطقس البارد.

- جعل جميع أجزاء المنزل نظيفة.



خصوصًا مكان تحضير الطعام.

- تدليك جميع أجزاء الجسم بمنشفة كل صباح أو كل ليلة لتحسين الدورة الدموية فيها، وإذا لم يتيسر ذلك فيمكن على الأقل فرك اليدين والقدمين وأصابعهما.

- تجنب استعمال أجهزة الطبخ الكهربائية كالفرن أو أفران الميكروويف وأفضلية الطبخ على فرن الغاز أو الخشب.

- استعمال أواني الطبخ المصنوعة من الحديد المغطى Cast iron أو الصلب الذي لايصدأ وليست المصنوعة من الألنيوم أو المغطاة بطبقة (التيفلون).

- الإقلال ما أمكن من مشاهدة شاشات التلفزيون والتعرض للأشعة الصادرة من شاشة الحاسب الآلي واستخدام شاشة حماية خاصة للحاسب لوقاية العينين من الأشعة الضارة الصادرة عنها.

إصابة أطفال الميكروبيوتيك بالكساح

أجرى فريق من العلماء الهولنديين دراسة علمية على معدل انتشار حدوث مرض الكساح بين الأطفال الرضع بأعمار تراوحت بين ١٠-٢٠ شهرًا والذين يتناولون طعام الميكروبيوتيك بالمقارنة بأطفال آخرين في العمر نفسه وحصلوا على تغذية عادية، ونشروا نتائج هذا البحث العلمي في المجلة الأمريكية للتغذية السريرية Nutritio Amer.J.clinical واكتشفوا ظهور الأعراض المرضية للكساح في ٢٨٪ من مجموعة الأطفال الميكروبيوتيك وكان تركيز فيتامين (D) ٢٥ في مصل دمائهم أقل من الآخرين، ثم ازدادت إلى ٥٥٪ في مجموعة الميكروبيوتيك بعد مرور عدة شهور صاحبه انخفاض أكبر في تركيز فيتامين (د) في دمائهم، ولقد فسروا حدوث هذه الحالة نتيجة تجنب أطفال الميكروبيوتيك شرب الحليب ومنتجاته في طعامهم المصحوب بارتفاع مخزون طعامهم من الألياف الغذائية الموجودة في الأغذية النباتية التي تعوق امتصاص بعض العناصر الغذائية الضرورية لأجسامهم في الأمعاء ومنها فيتامين (د) الذي يؤدي نقصه إلى قصور في تطور عظامهم وحدوث حالات الكساح بينهم.

الميكروبيوتيك والسرطان

يعتقد أنصار الميكروبيوتيك أن نظامهم المعيشي هو أفضل أساليب الطب البديل أو الطب المكمل شعبية في علاج السرطان والوقاية من حدوثه، ويكون نظامهم الغذائي أساسًا نباتي المكونات أي يمكن تصنيفهم ضمن مجموعة الأشخاص النباتيين، وزعم البعض شفاء حالات إصابة السرطان نتيجة اتباع الأسلوب الحياتي للميكروبيوتيك، وصاحب تناقص خطر حدوث السرطان في النساء اللواتي يتناولن طعام الميكروبيوتيك لأنه يقلل تركيز هرمون الإستروجين في دمائهن وهو ما يقلل خطر إصابتهن بسرطان الثدي.

لكن لا تتوفر دراسات علمية كافية تؤكد أو تعارض التوصيات الخاصة للميكروبيوتيك في علاج السرطان، وما يتوفر من معلومات بهذا الخصوص هو تحليل يعبر بشكل شخصي عن الرأي المنحاز للباحث العلمي نحو تأييد النظام المعيشي للإنسان أو الوقوف ضده. ونتيجة لتوفر أدلة عملية عن الدور المهم لوجود بعض العناصر الغذائية في الوقاية من حدوث العديد من أنواع السرطان، فهناك ضرورة إجراء المزيد من الأبحاث العلمية لتوضيح فيما إذا كانت مكونات طعام الميكروبيوتيك أو ما شابهه هو بشكل أكيد فعال في الوقاية من السرطان أو في علاج بعض أنواعه.

إصابة الميكروبيوتيك بفقر الدم

درس فريق علمي ظهور حالات نقص مركب (كوبال أمين) Cobalamine في مصل دم المراهقين الذين حصلوا على طعام الميكروبيوتيك في سن مبكرة حتى بلوغهم سن ست سنوات من حياتهم، ثم تحولوا إلى طعام نباتي مع الحليب Lactovegetarian diet أو Lactoovo-vegetartarian diet أو Omnivorous diet، ويكون مركب (كوبال أمين) مسؤولاً عن حدوث فقر الدم الخبيث، واكتشف العلماء ظهور انخفاض ملحوظ في تركيز مركب كوبال أمين في مصل دماء أولئك المراهقين، وكان متوسط تركيز حمض الفوليك (أحد فيتامينات مجموعة ب المركب) في الدم أعلى في مصل دم المراهقين الميكروبيوتيك من الآخرين العاديين، ويؤدي فرض قيود غذائية في طعام الميكروبيوتيك تشمل منعهم تناول أغذية حيوانية كالألبان ومنتجاتها واللحوم إلى تناقص مركب (كوبال أمين) المسؤول عن حدوث حالة فقر الدم الخبيث، ويتوفر هذا المركب بشكل رئيس في الأغذية الحيوانية. ■



المطلوب هو تعزيز التكامل بينهما :

جمعيات تحفيظ القرآن الكريم داعمة للمؤسسات التعليمية وليست منفصلة عنها

عبدالعزيز حنفي ـ جدة *

* رئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة .

الشباب هم محور اهتمام الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم كما هو الحال في المؤسسات التعليمية؛ فكلاهما يعمل على ترسيخ القيم بين الشباب على أساس التربية والتهذيب والثقافة والسلوك. وإذا كان هناك مطالبة بتطوير مناهج التعليم فلا بد أن يشمل التغيير والتطوير الجمعيات الخيرية وأنظمتها ومجالسها وإداراتها التنفيذية لإيجاد التكامل المطلوب من خلال الحوار بينهم وبين الشباب لتلبية احتياجات المرحلة القادمة وأن تكون هناك منهجية حيث تعمل الجمعيات على تحفيظ القرآن الكريم وبذلك تقدم أثرًا إيجابيًا واضحًا في سلوك الشباب.

أي باحث في مدارس التعليم العام سيجد أن الأبناء والبنات الحافظين للقرآن الكريم أو المتقنين لقراءته هم الذين لهم ارتباط بمدارس وحلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وإذا بحثت عن الطلاب المتفوقين والمتميزين والمنضبطين سلوكيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا لوجدت أن معظمهم من منسوبي حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد أو المراكز الصيفية. وسمعنا كثيرًا عن حالات لطلاب المدارس يحولهم المرشد الطلابي في المدارس إلى حلقات التحفيظ في المساجد أو للارتباط بأحد المراكز التابعة لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم حتى يستقيم أمر الطالب، وبالتالي فإن الجمعيات تقدم دورًا إيجابيًا فعالاً لصالح التعليم العام بشكل خاص وللمجتمع بشكل عام.

فالشاب الذي تربى على مائدة القرآن الكريم وعاش في ظلالها وأجوائها سوف يناله من معينها ما هو مقاس وغير مقاس، فالمقاس مثل الحفظ القرآني والتفوق الدراسي، وغير المقاس التقوى والورع والبعد عن أجواء الفساد، وذلك انطلاقًا من الحديث الشريف «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

هناك إحصائية قام بها أحد المهتمين في محافظة جدة توضح أن أغلب المتفوقين دراسيًا هم من حفظة كتاب الله الكريم أو في طريقهم لحفظ القرآن الكريم كاملاً، والجمعية تتابع الموهوبين والمتميزين دراسيًا حتى يكونوا من حفظة كتاب الله.

الفراغ قاتل ولذلك يحتاج الطلاب بعد كل عام دراسي مضى إلى تجديد النشاط والترفيه المنضبط وفي أيد أمينة ليكونوا أقدر على مواصلة العملية التعليمية، فجمعيات تحفيظ القرآن الكريم قادرة على توفير ذلك من خلال الإجازة الصيفية حيث تشرف على المراكز الصيفية وتقدم خدمة مهمة للطلبة والطالبات دون سن المدرسة فتعلمهم النطق الصحيح وتحفظهم قدرًا من القرآن الكريم قبل دخولهم المدرسة، فإذا ما دخلوها كانوا أقدر على التميز والتفوق وحفظ الدروس.

والجمعيات لها دور تكاملي مع التعليم في الاهتمام بالشباب لمراجعة القرآن الكريم خلال الإجازة الصيفية بإقامة الدورات المكثفة لحفظ القرآن الكريم والمسابقات التشجيعية وجو التنافس الإيجابي، فمراجعة الطالب لما حفظه في المدرسة يساعده على مواصلة حفظه لمقررات القرآن الكريم المدرسية في السنوات اللاحقة.

المطلوب واقعيًا هو التكامل المشترك بين الجمعيات الخيرية والمؤسسات التعليمية التي تعمل على بذل الجهود والطاقات وتذليل الصعاب لأجل بناء الشباب دينًا وفكرًا وثقافة

وسلوكًا. والدور الذي تؤديه جمعيات القرآن الكريم لا يستغني عن الدور التعليمي الثقافي الذي تؤديه المؤسسات التعليمية، والعكس صحيح فالشباب بحاجة لتكامل الجمعيات الخيرية والمؤسسات التعليمية لتحقيق التوازن بين العلم الدنيوي الذي أصبح ضرورة ملحة والحاجة إلى التمسك بالعروة الوثقى والارتباط بقيم الإسلام وتعاليمه. وهناك عدة جوانب يمكن أن نوضح من خلالها الآثار الإيجابية للتعاون بين الجمعيات والمؤسسات التعليمية أهمها ثلاثة آثار رئيسة:

ـ الآثار التربوية

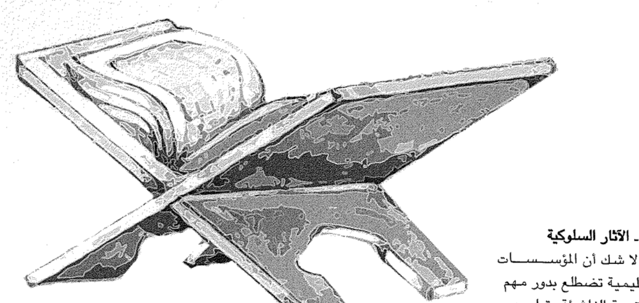
بناء الشخصيات وتنمية المهارات واكتساب العلوم والتفاعل مع الآخرين عوامل مهمة تركز عليها إدارات التربية والتعليم، بحيث يصبح الطالب واثقًا من قدراته وعطائه ولديه القدرة الفكرية والنفسية لخدمة الآخرين. والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم تسعى لتأصيل هذا التوجه وتعميقه في نفوس الناشئة من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تعمق تلك المفاهيم، بحيث يستطيع الشباب التفاعل الإيجابي مع مجتمعه والانطلاق من قدراته وثقته ـ بالله عزوجل ـ ثم بنفسه وتربيته على التخطيط المستقبلي من خلال رؤيته للواقع واستشرافه للمستقبل، وأن يُعمل عقله وثقافته ومهاراته فيما يعود عليه بالفائدة. فالجمعيات والمؤسسات التعليمية تشترك في صقل مواهب الطلاب والطالبات وقدراتهم وتربيتهم على الاعتماد على النفس والثقة بها والقدرة على العطاء وبناء الروح المنتجة. ولا شك أن للأسرة أيضًا دورًا في إنجاح هذا الجانب أو إفشاله؛ لأنها الأساس في تكوين نفسيتهم وتحديد توجههم التربوي الأولي، فهي التي تنتج الشباب الطموح النشط وهي التي تخرج الانطوائيين السلبيين، فالأسرة والتعليم والجمعيات مسؤولة عن الناشئة وإذا أدت كل جهة مسؤولياتها بإتقان وتكاملت مع الجهات الأخرى فستكون النتيجة دون شك في صالح الجميع.

ـ الآثار المعرفية الثقافية

ارتباط الشباب بقيم الدين الإسلامي الحنيف من خلال حلقات تحفيظ القرآن الكريم ينمي لديهم التصور الصحيح لوجودهم والنظرة القرآنية لحياة المسلم التي تقوم على أساس الإصلاح في الأرض وعمارتها وعبادة الله عزوجل والبحث عن النافع المفيد للنفس وللناس وللأرض التي نحيا عليها ولا يتأتى ذلك إلا من خلال العلم والمعرفة قال عزوجل: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾**، **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾**، **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** كلها شواهد على حض القرآن الكريم على تعلم العلم والمعرفة والاستزادة منهما **﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**. وقال المصطفى ﷺ: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه». وقال عليه الصلاة والسلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». فعندما يدرك الشاب والفتاة هذه التوجيهات الإسلامية العظيمة وأن المسلم مطالب بالجد والاجتهاد والحرص على الترقي في درجات العلم لا شك أن ذلك سيكون له أثر كبير في تحصيله الدراسي والثقافي والمعرفي وحبه للعلم نفسه.

أما إذا تغيبت تلك النظرة الصحيحة عن الشباب فستكون القضية مرتبطة بمصالح دنيوية بحتة بحيث يكون التحصيل العلمي والمعرفي لأجل غايات محددة كالوظيفة وتحقيق المتطلبات الشخصية، وسيكون العلم وسيلة وليس غاية.

وإذا بحثت عن الطلاب المتفوقين والمتميزين المنضبطين سلوكيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا لوجدت أن معظمهم من منسوبي حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد أو المراكز الصيفية



- **الآثار السلوكية**

لا شك أن المؤسسات التعليمية تضطلع بدور مهم في تربية الناشئة وتعليمهم الأخلاق الحسنة والمثل العليا، خصوصًا أنها تستمد منهجها من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ. وإذا تضافر ذلك مع ما يستمده أبناؤنا وبناتنا كذلك من حلقات القرآن الكريم والأوامر والنواهي التي زخرت بها آيات القرآن تكونت لديهم مرجعية دينية أو ما يطلق عليه (وازع) يحكم سلوكهم وتصرفاتهم وتعاملاتهم. وإذا كان أبناؤنا وبناتنا غير الملتحقين بالجمعيات يستمدون قيمهم من مناهج التعليم العام فإن طلاب الجمعيات تزداد فرص استيعابهم والتصاقهم بقيم الإسلام وتعاليمه السمحة من خلال الجرعات الإضافية المركزة التي تتيحها حلقات تحفيظ القرآن الكريم. ولعل الواقع يوضح مدى الفائدة المتحققة لطلاب جمعيات القرآن الكريم سلوكًا ومظهرًا وسمتًا، وهذا تنعكس آثاره الإيجابية على أسرهم وتعاملهم مع والديهم وإخوانهم ثم زملائهم وأقرانهم ثم مجتمعهم ككل، ولذلك فإن التمسك باستقطاب أبنائنا وبناتنا إلى حلقات التحفيظ وجعلهم قدوة لغيرهم كفيل بأن يوضح الغايات المباركة والآثار الإيجابية لحلقات التحفيظ.

التكامل يتطلب من المؤسسات التعليمية بصفة عامة وإدارات التربية والتعليم بصفة خاصة أن تقدم بعض المميزات لحفز أبنائنا وبناتنا على الالتحاق بجمعيات القرآن الكريم من خلال:

- منحهم درجات في مقرر القرآن الكريم والتفسير والتجويد.
- شهادات تقدير للحفظة والتنويه بذلك في المدرسة.
- إعطاء معلمي التعليم المتعاونين مع حلقات التحفيظ امتيازات كالإجازات.
- زيادة أعداد مدارس القرآن الكريم.

وفي المقابل العمل على تطوير الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وإداراتها التنفيذية، وأن تكون داعمة ومكملة لدور المؤسسات التعليمية وليست منفصلة عنها.

وفي المحصلة هناك بعض التكامل والتطابق في الدور الإيجابي الفعال بين المؤسسات التعليمية والجمعيات الخيرية التي توفر للشباب تعليمًا للقرآن وآدابه الذي هو أساس كل تعليم ناجح، وتسعى إلى إيجاد معلم للقرآن الكريم لديه مهارات ميدانية تربوية وتعليمية وتوجيهية ترفيهية، فإذا قويت لدى الشباب قدرة الحفظ فإنه يسهل عليهم حفظ باقي الدروس، كما توفر الميادين التربوية التي تخرج الشاب متأدبًا بآداب القرآن.

كما تقدم المؤسسات التعليمية كل عون ومساعدة وهم متعاونون مع الجمعيات الخيرية في الرسالة المشتركة بتوفير الإمكانات المتاحة لأنشطتها مثل توفير المدارس كمسرح للأنشطة الصيفية، ويضعون إمكاناتهم كافة لخدمة القرآن الكريم، فجزاهم الله خيرًا، وفي هذا تطبيق لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ ولكن المطلوب تعاون أكبر ليكون هناك تكامل وتطابق.

- الانتماء .. ثقافة أم صناعة ؟
- أستاذي علمني الكذب!!
- سور المدرسة لوحة للعبث!
- أستاذ .. عندك «سوني» ؟

سبورة

من المحرر

ستبقى «سبورة» تتلون بخطوطكم وتتموه بأسمائكم... أنتم محرروها وقراؤها ونقادها.

ولأنها «سبورة» الجميع فهي بلا هامش ولا متن، وبلا سطر يعلوه سطر!! نفتحها لكل فكرة ورؤية تحمل جودة وعمقًا وتلقائية بعيدًا عن مطولات المقدمات والسير الذاتية التي تصيبنا (أحيانًا) بدوار المفارقات!!

نضعها بين أيديكم كما ترونها بعد أن أزلنا خطًا وهميًا يفصل بينها وبين ديوان الشعر والنثر لتكون أرحب في احتواء مساهمات جديرة تقع على هذا الخط المحير.

يحق لنا الآن وقد تجاوزت المعرفة العدد المئة أن تصبح «سبورة» رحمًا خصبة لميلاد كتّاب وقراء قادمين وفاء بعهدنا الأول: «المعرفة المجلة التي لا تشيخ».

عبدالوهاب المكينزي

الانتماء.. ثقافة أم صناعة؟

سهام القحطاني . الرياض

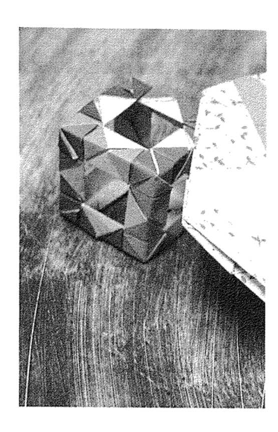
الانتماء منهج مدروس ومخطط لصناعة الأفراد وفق مواصفات وتشريعات أيديولوجية المجتمع، ومع إيمان الجميع بهذا المفهوم إلا أن إستراتيجيات تنفيذه عادة ما تصاب بخلل يسهم في إضعاف زراعة الانتماء داخل نفوس أطفالنا وشبابنا. فالتنفيذ أيضًا يحتاج إلى ثقافة، وثقافة التنفيذ لا تقل أهمية عن ثقافة معرفة المصطلح؛ لذا لا بد من أجل تنفيذ صناعة الانتماء داخل الأفراد من معايير نتحرك وفقها، وأنظمة مرحلية وأنساق فكرية تتدرج حسب الفئات المستهدفة والطبقة الاجتماعية. ولا شك أن تعددية خطط التنفيذ أمر يفعّل سهولة غرس مفهوم الانتماء ومحاوره التي لا تقتصر فقط على حب الوطن، فالحب غريزة تحتاج إلى عقلنة وتوعية للمفهوم والاختيار وكيفية التنفيذ وإلا لتحول إلى تفريغ عاطفي. فنحن نؤمن بأننا ننتمي وطنيًا، ولكن كيف ننفذ هذا الانتماء؟ إن جهل المرء بأشكال الانتماء يعني خللاً في مفهوم الانتماء، فحب الوطن شكل من أشكال الانتماء

للوطن، والإيجابية شكل من أشكال الانتماء للوطن، وتطوير الذات شكل من أشكال الانتماء للوطن، والدفاع عنه شكل من أشكال الانتماء، والمحافظة على سمعته العقدية والتاريخية شكل من أشكال الانتماء، ومعرفة تاريخه والإيمان بعظمة هذا التاريخ شكل من أشكال الانتماء، وتشجيع صناعاته والتقليل من الاستهلاكيات الأجنبية شكل من أشكال الانتماء. فهذه الأشكال وأمثالها ركائز عقيدة الانتماء الوطني، وهي ركائز تأمين الوعي المجتمعي للفرد والجماعة ضد حوادث التذويب والتغريب، وهذا لا يتحقق إلا من خلال تسهيل هذه المحاور وتقريبها من المعجم الشعبي، من خلال المؤسسات التربوية والثقافية لدينا بمناهجها المرحلية، ففي مرحلة الطفولة لا بد أن تركز مناهج الانتماء على أمور منها:

استشعار الطفل بالخصوصية والتميزية المكانية والعقدية لوطنه، الخصوصية المكانية التي تنبثق من خلال قدسية المكان، مهد أعظم البشر والمرسلين ومهبط أعظم الرسائل السماوية التي أخرجت الإنسان من جحيم الظلم إلى جنة النور والهداية، إن الاستشعار الحقيقي بهذه الخصوصية يزرع داخل الطفل القاعدة الأولى للانتماء المتين بالأرض وهذا لبّ الانتماء. وخصوصية سياسة الحكام التي تنبثق من خلال التمسك بالشريعة الإسلامية وهذا يشعر بتميز القانون وعدالته المطلقة كيف ولا وهو قانون من تشريع خالق النفس الإنسانية، وهذان الأمران يجب أن يكونا نقطة التمهيد للفخر بهذا الوطن.

معرفة الطفل بتاريخ وطنه والإيمان به أمر في غاية الأهمية، فنحن نؤمن بما نحب وندافع عنه إذا أحببناه؛ ولهذا فدراسة التاريخ يجب أن تكون لها خصوصية على مستوى الطرائق والوسائل ونوعية الأهداف الوجدانية وتكثيف تنميتها، وغرس مفهوم البطولة والشجاعة والقيادية لدى الأطفال من خلال سيرة قواد التاريخ، فالطفل في مراحله الإدراكية الأولى يميل إلى تمجيد البطولة وتقليد أصحابها، وهذا جانب غريزي تفتقد مناهجنا التربوية استغلاله في تنمية صفات الشخصية الإيجابية عند الطفل.

وهذا لا يتم إلا عند ربط الطفل بتاريخ وطنه والاستشعار به من خلال الرحلات المدرسية للآثار التاريخية، ومن خلال تنويع طرق وأساليب تقديم مادة



التاريخ، وهو ما يوثق ارتباط الطفل بتاريخه، ويمكنه من التفاعل معه والعيش ضمن خلفياته المختلفة، وفهم أساسيات صناعته.

مفهوما المواطنة والوحدة الوطنية بين طبقات المجتمع وفئاته من المفاهيم المهمة التي يجب أن تغرس داخل الطفل منذ بداياته؛ لأنها من أساسيات تفعيل الانتماء الوطني، ولا أقصد بالمواطنة، كما يفهمها القوميون، الاقتصار على الانتماء الجغرافي أو المكاني، بل المواطنة بمعناها الخاص الجغرافي والعام العقدي الذي يقوم على رباط الأخوة في الإسلام، وهذا يؤدي إلى الوحدة بين أفراد المجتمع، بصرف النظر عن الأصول القبلية أو غير القبلية، فمقياس التفاضل كما علمنا الإسلام التقوى التي تعني في مضمونها الإيجابية وعمل الخير.

ولا شك أن مناهج الانتماء تتطور مفاهيمها في مرحلة المراهقة عن مرحلة التأسيس عن مرحلة الشباب تبعًا لإحساس المرء بتطور دوره ومسؤوليته ونضوج فاعليته، وثقافة وعيه مع استمرار الأساسيات في كل مرحلة. ■

أستاذ.. عندك «سوني» ؟!

خالد الجاسر- الرياض

الأستاذ... عفوًا المعلم راشد مدرس الصف الخامس.

استيقظ مبكرًا بعد أن نبهه المنبه الثاني. حمل حقيبته السوداء وفيها أقلام السبورة الملونة، مساحة، شريط قرآن منهج الصف الخامس، قلمان أحمر وأزرق، كشف الدرجات، دفتر التحضير.

توجه إلى المدرسة، أوقف سيارته، دخل المدرسة وكله حيوية ونشاط، وقف عند سجل الحضور والانصراف كتب اسمه ثم وقع الساعة ٦:٤٤، وكان بوده أن لو حضر في وقت أبكر.

وجد بجانب سجل الحضور جدول الإشراف والمراقبة في الفسح وعند انصراف الطلاب، وقع مرة أخرى معلنًا قبول الإشراف.

توجه إلى الساحة للمشاركة في تمارين الصباح، عفوًا لمشاهدة تمارين الطلاب: أمام فوق تحت أسفل، آخر مرة جماعة قف، انتهت التمارين.

بقي الإذاعة، تلاوة القرآن الكريم (مشرف الإذاعة يصحح للطالب اللحن في الآيات الكريمة) جزاه الله خيرًا.

حديث شريف، ثم ثلاثة أبيات شعرية بعدها حكمة اليوم، انتهت الإذاعة.

حمل الطلاب حقائبهم متوجهين لفصولهم.

دخل الأستاذ راشد فصله وكله طموح في أداء رسالته فهو يعرف أن (وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة).

سلم على الطلاب فردوا عليه السلام بصوت مرتفع يطرد الكسل.

العريف يعطي الأستاذ راشد أسماء الطلاب المشاغبين، يضعها الأستاذ على الطاولة (الضرب ممنوع)، كتب معلمنا التاريخ وكتب المادة: توحيد، الموضوع: أركان الإسلام الخمسة.

أراد الأستاذ أن يسردها للطلاب كي يبدأ بشرحها فوجد الطلاب يحفظونها، فقد مرت عليهم في الصف الثاني والثالث والرابع.

شرح الأستاذ راشد الدرس في عشر دقائق، بقي ٣٥ دقيقة.

الأستاذ راشد: اقرأ الكتاب يا تركي. وهكذا قرأ جميع الطلاب الكتاب.

بقي (٢٥) دقيقة.

الأستاذ راشد: يا شباب عندكم واجب سؤال ١، ٢، ٣، ٤ صفحة ١١.

طالب: أستاذ نحل الواجب هنا ولا في البيت؟

الأستاذ راشد: لا الواجب تحله في البيت.

طالب آخر: أستاذ نحل الأسئلة كلها؟

الأستاذ: راشد بحلم: نعم.

طالب: نكتب السؤال بالأحمر؟

الأستاذ: اكتب السؤال بأي لون أهم شيء تكون الإجابة بالأزرق.

طالب: والقلم المرسم يا ستاذ؟

الأستاذ راشد: لا لا أحد يكتب بالقلم المرسم أنتم كبار.

طالب: أستاذ نحلها في دفتر الفصل ولا في دفتر البيت؟

الأستاذ: قلت لكم ما عندنا إلا دفتر واحد للفصل وللبيت.

طالب: أستاذ، نجيب دفتر «أبو أربعين» ولا «أبوستين»؟

الأستاذ: (الله يرحم أيام دفتر أبوعشرين، ثلاثة شهور فيها ١٢ واجبًا لكن) تجيبون دفتر أبو أربعين لأنه متوفر في السوق.

طالب: أستاذ اللي ما يجيب الواجب وش تسويله؟

الأستاذ: نعاقبه.

الطالب: بس الطق ممنوع يا أستاذ، أبوي يقول إذا طقك أحد من المدرسين علمني.

الأستاذ: نوديه للمدير أو المرشد الطلابي يتفاهمون معه، إذا تكرر منه ثلاث مرات.

(في الاجتماع الأخير قال المدير والمرشد الطلابي إذا تكررت المخالفة من الطالب ثلاث مرات أرسله).

الطالب: يعني ما تسوي له شي؟

الأستاذ راشد: إلا أكتب له في سجل الواجبات لم يحضر الواجب، وأخصم عليه ربع درجة.

(المدرس راشد نهاية كل فصل يطلب من الطلاب تكميل دفاترهم حتى يعطيهم الدرجة كاملة).

انتهت أسئلة الطلاب التي تتكرر في كل حصة ويجيبهم فيها ببرود.

بقي من الحصة (١٥) دقيقة.

طرق الباب حارس المدرسة ومعه تعميم يأتي في كل سنة (التبكير في الحضور، أهمية دفتر التحضير، توزيع المناهج، التأكيد على منع الضرب، تغير ختم المدرسة الفلانية، الصلاة جماعة في المدرسة) وعلى الأخيرة السلام. تم التوقيع، انصرف حارس المدرسة بالتعاميم.

الوكيل يستأذن، يطلب الأستاذ راشد تعبئة البيانات الخاصة بالمدرسة، الاسم كاملاً، رقم البطاقة، سنة التخرج، المؤهل، التخصص،...إلخ.

الوكيل:معليش أستاذ راشد هذه البيانات يطلب تعبئتها في السنة ثلاث مرات، من يوم تعينت وهم على هذا المنوال.

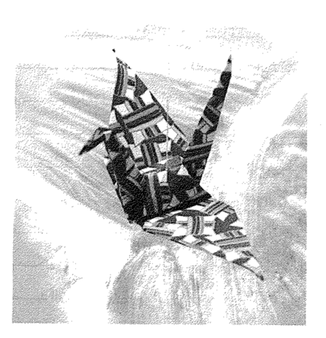
الأستاذ راشد: لا.. عادي، الله يعين الجميع.

انصرف الوكيل إلى مدرس آخر.

طرق الباب طالب من الصف السادس ومعه دفتر أسماء الطلاب الغائبين.

وقع الأستاذ راشد: لا يوجد غياب.

عامل النظافة يطرق الباب ويحمل معه مصيبة، دفتر الانتظار، مدرس الفنية غائب ويتحملها عنه الأستاذ راشد الحصة السادسة فترة راحته، إذًا عليه أن يقضيها في فصل (٢/١).



الأستاذ راشد ينظر في ساعته، بقي (٨) دقائق.

المرشد الطلابي يستأذن، حث الطلاب على سجل الواجبات والكتابة فيه أولاً بأول، وأنه سوف يتم التفتيش على الشعر والأظفار في الطابور غدًا.

انصرف المرشد الطلابي ولا يدري الأستاذ راشد، لم يتكلم المرشد الطلابي بغضب وقال في نفسه (وما ذنبي أنا)؟!

أحس الأستاذ راشد بتعب قدميه من الوقوف فأراد أن يجلس نهاية الحصة بعد أن أدى ما عليه، ولكن المدير أخرج الكراسي من الفصول حسب التعميم القاضي بسحب الكراسي من الفصول حتى لا يجلس المدرس و.. يحلل راتبه!

الأستاذ راشد حلها وجلس على طاولة أحد الطلاب المفروشة بالسجاد!

بقي (٥) دقائق.

انفتحت الأسئلة مرة أخرى على الأستاذ راشد.

طالب: أستاذ عندك سوني؟

الأستاذ: مسجل ولا تلفزيون؟

الطالب مستغربًا (بدأ يفقد الفصل انضباطه مع نهاية الحصة الأولى) سوني يا أستاذ! طالب من بعيد يعني «بلاي استيشن».

الأستاذ راشد: قصدك أتاري؟

الطلاب ينظر بعضهم إلى بعض، لا يدرون ما معنى قوله، ولكن فهموا أنه فهم قصدهم.

طالب: أستاذ من أقوى مصارع؟

جاوب الأستاذ راشد حسب معلوماته: توني أطلس والريبا وأندريه العملاق وسنوكا.

ظن الأستاذ راشد أن الطلاب أعجبوا بمعلوماته الفذة.

الطلاب: أستاذ ما فيه مصارعون اسمهم كذا.

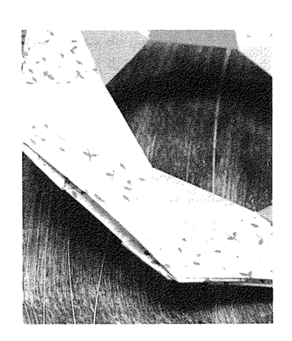
الأستاذ راشد: وش علمكم أنتم توكم على الدنيا.

طالب يسأل: أستاذ وش أنت من لحية؟

رن الجرس معلنًا نهاية الحصة الأولى.

وبقي على الأستاذ راشد مشوار حتى نهاية السنة وهو على هذا المنوال!!

صف مزعج



شعر: محمد علي الحريري

صف يذيقك في الدروس العلقما / وصباح يومك فيه يبدو مظلما

سيجف حلقك حين تدخل صفهم / ولسوف تحبط قبل أن تتكلما

عبثًا تحاول أن تلم شتاتهم / كلٌ على ما يرتضيه تحرجما

جمع على كرة يدور حديثهم / كيف السبيل لكي يفوز ويهزما

وهناك من يحكي عن (الجوال) في / نغماته أو ما حوى أو قدما

وهناك جمع نائم يجترُّ ما / سهروا عليه محللاً ومحرما

وأقلهم ضررًا فريق أحضروا / (كوتشينة) وأستاذنوك تكرما

صف يريك من العجائب كلما / أبديت ضيقا أو أريت تبرما

وإذا غضبت سمعت ما يحلو لهم / صوت الصغير أو المواء المبهما

ولربما قذفوك بالطبشور إن / وليت ظهرك رغبة أن تحجما

وإذا عطست حمدت ربك عندهم / هتفوا بصوت واحد أن ترحما

ولربما نادوك يا أستاذ في / أدب فيأتيك النداء مرخما!!

إن الطرائق في السباب عديدة / كالرمز يأتي واضحًا أو مبهما

وإذا سمعت شخير شخص راقد / فسألت يأتيك الجواب ملعثما:

قد جاء هذا الصوت من (برا) فلا / تعجل بنا غضبًا وكن مترحما

يتضامنون فليس يشهد بعضهم / ضد الزميل وإن أساء وأجرما!!

أستاذي علمني الكذب!!

يحيى آل صهفان. خميس مشيط

جلست ذات يوم مع أحد المتدربين في مدرستنا وكان يكتب أسئلة لتلاميذه فأعجبني خطه فقلت له:

ما أجمل خطك!

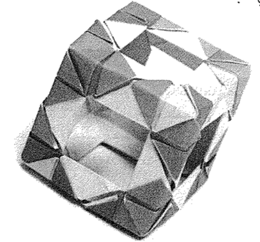
فقال لي بعبارة ملؤها الحزن: كان يجب أن يكون أفضل من هذا.

قلت: وكيف ذلك؟

فذكر لي قصة حدثت له عندما كان في بداية رحلته العلمية (في الصف الثالث الابتدائي).

يقول: كلفنا معلم القراءة بكتابة قطعة في القراءة كواجب منزلي وقد فرحت بهذا الواجب كثيرًا، فقد كنت أحب الكتابة وما إن وصلت منزلنا حتى بدأت في الاستعداد لحل الواجب فاجتهدت في بري قلمي الرصاص، وجلست لأكتب باهتمام فائق، وكان خطي جميلاً بالنسبة لسني، لافتًا للنظر.

وفي اليوم التالي في المدرسة كنت أنتظر كلمة شكر وثناء كأقل حافز من معلمي ولكن للأسف فوجئت به يقول: من كتب لك الواجب؟ فقلت له: أنا الذي كتبته.



فلم يصدقني. فأقسمت له أنني أنا الذي كتبته فأصر على تكذيبي، وبعد طول نقاش قرر أن يرسلني إلى مدير المدرسة، ولكم أن تتصوروا طالب في الصف الثالث الابتدائي يذهب إلى مدير المدرسة. خصوصًا في ذلك الوقت الذي كان فيه المعلم مهيبًا. وذهبت إلى مدير المدرسة وأنا في حالة من الرعب والخوف الشديدين. وليتني وجدت عند مدير المدرسة ولو شيئًا يسيرًا من الإنصاف، ولكنه لم يكن منصفًا إذ لو كان حريصًا على ذلك لكان يكفيه أن يطلب مني أن أكتب أمامه، ولكنه سألني السؤال نفسه الذي سألنيه المعلم من قبل، من كتب لك الواجب؟

وقد حاولت بكل طريقة، وعيناي تذرفان، أن أقنعه بأنني الذي كتبته دون مساعدة من أحد ولكن كان يصر على تكذيبي. وأخيرًا قرر استدعاء أخي الأكبر وكان معي في المدرسة نفسها، وعندما وصلت مشكلتي إلى هذا الحد كان لا بد من وضع نهاية لها فقررت أن أقول: إن أختي الكبرى هي التي كتبت لي واجبي المنزلي، وتعهدت لهم بألا أعود لمثل هذا مرة أخرى!

وبعد هذه الحادثة أقسم لكم إن المعلم كان يكلفني بالواجب المنزلي فأتعمد كتابته بخط سيئ حتى لا يتكرر ما حدث لي سابقًا.

أذكر هذه القصة الواقعية دون تعليق ودون استخلاص للدروس المستفادة منها تاركًا ذلك لكل تربوي يقرؤها. ■

سور المدرسة لوحة للعبث!

هند مرزا. الرياض

سمعت حوارًا بين سائل ومجيب، أنقله لكم فيما يلي:

س: كيف يستطيع المواطن أن يستدل على موقع مدرسة ما في بلادنا؟

ج: يمكن الاتصال على المدرسة هاتفيًا أو الاستفسار عن موقعها من قريب أو صديق.

س: ماذا لو لم يتسن له ذلك؟

ج: يمكن التجول داخل الحي والبحث عنها بين المباني السكنية، لأن أغلب المباني المدرسية الحكومية والأهلية هي مبان سكنية مستأجرة.

س: كيف لنا أن نفرق بين المدرسة والمنزل السكني، وهل للمباني المدرسية المستأجرة شكل أو لون أو مواصفات معينة أو مساحات واسعة تحيط بها؟

ج: كلا، لا تختلف المباني المدرسية في تصميمها أو حجم المساحات المحيطة بدرجة كبيرة عن تلك المطلوبة للمباني السكنية.

س: إذًا، كيف الوصول إليها؟

ج: إن أسهل وسيلة تساعد على التعرف على المدرسة هو أنك ترى على أسوارها مقولات في العلم والحكم والقيم، فمدارسنا تحرص على تنمية معارف ومهارات واتجاهات طلابها بتعليق اللوحات الحائطية على أسوارها ومداخلها. ومن أمثلة ذلك (العلم نور، ومن جد وجد ومن زرع حصد، والمخدرات آفة الحياة، والتعاون أساس النجاح، والعلم فريضة على كل مسلم، وتجنب أصدقاء السوء، واختر الجليس الصالح) وغيرها من المفاهيم والقيم التربوية.

س: ما النظرية التربوية التي تستند إليها ظاهرة اللوحات على أسوار المدرسة؟

ج: أعتقد ولا أجزم بأن مدارسنا تستخدمها كمنظر جمالي وكوسيلة ظنًا منها أن ما لم يتسع له الوقت داخل الصف الدراسي أو داخل المدرسة يمكن أن يكمله سور المدرسة، وبذلك تفوقت مدارسنا على المدارس العالمية في نظم التعليم، ومما يؤسف له أن هذه اللوحات تفتقد عددًا من معايير اختيار الوسائل التعليمية التي يزخر بها الأدب التربوي وهي:

- توافق الوسيلة مع الغرض الذي نسعى إلى تحقيقه كتقديم معلومات أو إكساب مهارات أو تعديل اتجاهات: ولا يتضح ذلك على اللوحات المعلقة على أسوار المدارس لعدم وجود هدف واضح من إعدادها.
- مناسبة الوسيلة لأعمار الطلاب ومستوى ذكائهم وخبراتهم السابقة: إذ نجدها معلقة في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية على حد سواء.
- أن تبقى في حالة جيدة ومتجددة في محتواها كي تحافظ على دورها التربوي الفعال، في إثارة انتباه الطالب وزيادة قدرته على الملاحظة والتأمل وجمع المعلومات: فبعضها يبقى معلقًا لسنوات عديدة يتعرض خلالها للشمس والرطوبة والأمطار وعبث الطلاب وهو ما يجعلها عرضة للتمزق.
- أن تتناسب مع التطور العلمي والتكنولوجي: فأغلبها مصنوعة من الخشب أو القماش أو البلاستيك، في الوقت الذي انتشرت فيه اللوحات الكهربائية الإلكترونية.
- أن يتساوى الجهد والمال المدفوع في إعدادها مع العائد منها وإلا كانت غير اقتصادية: فغالبًا ما يتم دفع مبالغ كبيرة للخطاطين والرسامين من خارج المدرسة لإعدادها، ولا يعتمد في ذلك على الطلاب وهو ما يحرمهم من فرصة اكتساب خبرات في تحمل المسؤولية والابتكار والعمل الجماعي.

س: إذا كانت هذه سلبيات اللوحات المعلقة على أسوار المدارس، لماذا لا يتم إجراء دراسة علمية لدراسة جدواها الاقتصادية وفاعليتها التربوية من وجهة نظر الطلاب والمختصين وأولياء الأمور وغيرهم من الشركاء في العملية التربوية؟

ج: هذا اقتراح نتقدم به إلى وزارة التربية والتعليم ونأمل أن يجد قبولاً لديها. ■



منير شفيق:

الإسلام جدّد شبابي



حسن محمد ثاني:

لاعب كرة القدم كان طالب
مدرسة ذكيًا ، فهم الدرس . .
واختصر الطريق



ملكة جمال «البوليميا»

يقال أن الإنسان يمر في حياته أيضًا بالفصول الأربعة، تلك التي تغشى الكرة الأرضية كل عام «ربيع ـ صيف ـ خريف ـ شتاء».
وكما أن هذه الفصول غير منتظمة في إطلالتها على أرجاء الأرض، فهنا يطول الصيف على حساب الشتاء، وهناك العكس. بل إن بعض مواقع الأرض لا تتجلى فيها كل الفصول الأربعة بشكل واضح مميز.
فكذلك الإنسان الذي قد يطول في حياته الخريف على حساب الربيع أو العكس، بل قد لا تتجلى كل الفصول في حياته كاملة واضحة!
لكن تبقى الفرصة الأساسية في أن حياة كل منا هي فصول أربعة.. فلنحاول أن نتلمس أين يكمن صيف حياة ضيفنا.. وخريفها.. وشتاؤها.. وربيعها!
ضيفنا لهذا العدد هو الكاتب الفلسطيني: منير شفيق.

منير شفيق :

الإسلام جدّد شبابي

عندما نتحدث عن أربعة فصول في حياة الإنسان فلا بد أن يفهم من ذلك أننا نتناول سنة من سنن الله في الإنسان. وهذا لا ينطبق إلا على الجانب الجسدي الفسيولوجي. ولا ينطبق إذ نأتي إلى الجوانب المتعلقة بالنفس والعقل والإيمان والأخلاق والعلم وما شابه. فهذه لها مسارات وأطوار لا تسير سننها كما تسير سنن المادة أو الجسد، الأمر الذي لا يسمح بتقنينها بأربعة فصول إلا إذا أفرغت من المحتوى وسميت مراحل.

بل إن استخدام أربعة فصول يوحي بالربيع والصيف والخريف والشتاء وهو ما لا تأخذ به حتى التقسيمات المتعلقة بعهود الطفولة والمراهقة والشباب والرجولة والكهولة والشيخوخة من زاوية التطورات الجسدية الفسيولوجية، وذلك لصعوبة تشبيه الدورة المناخية ووظائف كل فصل بدورة حياة الإنسان ووظائف كل طور من أطواره. وذلك حتى لو جعلنا الطفولة والمراهقة بمثابة الربيع، والشباب والرجولة بمنزلة الصيف، والكهولة مثل الخريف والشيخوخة كالشتاء. فأين ما قيل في الربيع والصيف والخريف والشتاء بما قيل في مراحل حياة الإنسان؟ فعلى سبيل المثال، الربيع هو الزهر والثمر والجمال، وهو ابن الشتاء الذي لا وجود له من دونه. وكيف تشبه الكهولة بالخريف إذ تتساقط أوراق الشجر صفراء تتقاذفها الرياح لتزيد الأرض والشجر عريًا فيما قد تكون الكهولة بعد الأربعين هي ربيع العمر من حيث نضوج الثمر والعطاء، وقد كانت سن نزول الوحي على رسول الله ﷺ.

وخلاصة، علينا أن نبحث في فصول حياة



▌▌ إذا جئتم لتضعوني في الزاوية لأتحدث عن فصول مررت بها فإني سأفعل إكرامًا لإلحاحكم وأنا كاره ، ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت بين أيديكم الآن مذكراتي ▌▌

كنت قد قررت قطع علاقاتي بالحزب الشيوعي الذي انتميت إليه، فكانت القطيعة لأسباب سياسية وفكرية ومبدئية

الإنسان، وهي ليست واحدة، حين نبتعد عما يجري من تطورات على الجسد العضوي، لأننا هنا ندخل في عالم من سنن الله أشد تعقيدًا من سننه في المادة الميتة أو الحياة المادية من تأثير عمر وجسد. وهنا يمكن لكل فرد أن يبحث عن أطواره الفكرية والإيمانية والنفسية والسياسية والعملية في كسب المعاش وتكوين أسرة ومواجهة صعوبات الحياة ويسرها، وحلو الأيام ومرها، ودعك من تجربة كل فرد من حيث المصائب والأحزان والابتلاءات. ومن هنا يأتي سبب آخر يؤكد لماذا لا نتحدث عن فصول أربعة في حياة الفرد منا ما دام لكل منا تجربته الخاصة الفريدة.. والفصول مختلفات في كل تجربة.

والآن، إذا جئتم لتضعوني في الزاوية لأتحدث عن فصول مررت بها فإني سأفعل إكرامًا لإلحاحكم وأنا كاره، ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت بين أيديكم الآن مذكراتي. وقد ألح أصدقائي أن أكتبها وما زلت مترددًا، راغبًا عنها. ولا أدري إن كنت سأفعل أم سأبقى متهربًا حتى ألقى وجه الله سبحانه وتعالى حيث كل ما حدث لي، أو مر بي، في كتاب مسطور.

وباختصار كانت حياتي في مرحلة الطفولة إلى بداية المراهقة أو قبيلها ميسورة جميلة لا أحمل لها إلا أطيب الذكريات. وقد زاد حنيني إليها وحبي لكل ما كان فيها من بيوت وبساتين وأحجار وأشجار وأهل وجيران، وأصدقاء طفولة، بسبب انقطاعي الطويل إلى اليوم عنها بعد أن احتلها واغتصب أرضها ودورها العدو الصهيوني وقد شرد أهلها ليقيم دولته ومجتمعه عليها.

بعد الهجرة سرعان ما دخلت في عهد المراهقة ولكنها كانت مراهقة اكتهلت سريعًا بسبب ما أحاطها من هموم الهجرة، وترك مرابع الطفولة، ومعاناة شعب بأسره، تشرد أغلبه، وحشر بعض منه فيما عرف بالضفة الغربية وقطاع غزة، وكان قدري أن أبقى وعائلتي في القدس الشرقية، لأبدأ رحلة العمل السياسي مثل العشرات والمئات من أترابي بحثًا عن التغيير الذي يعيدنا إلى ما فقدنا من فلسطين، ويصحح الأوضاع العربية التي تسببت في عدم القدرة على منع النكبة.

وامتدت بي هذه المرحلة من ١٩٥١ إلى ١٩٦٥ حيث أمضيت فيها عشر سنوات في السجن. وخرجت منه بعد عفو عام، وكنت قد قررت قطع علاقاتي بالحزب الشيوعي الذي انتميت إليه، فكانت القطيعة لأسباب سياسية وفكرية ومبدئية لا مجال في هذه العجالة لذكرها والتفصيل فيها. وإن كنت أذكر تلك الأيام بالخير ولست بنادم عليها فلعل تجربتها متعددة الأوجه هي ما قادني إلى ما وصلت إليه الآن، والحمد لله.

المرحلة السياسية الثانية كانت من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٠ حيث انتسبت إلى حركة فتح، واقتنعت بمنطلقاتها الأساسية، وحققت من خلال هذه الخطوة بعض أو أكثر ما كنت اختلفت عليه مع الحزب الشيوعي، وهو ما انعكس فيما كتبت خلال السبعينيات في القضية الفلسطينية وتجربة ثورتها المعاصرة، وفي قضايا الوضع العربي والوحدة العربية، فضلاً عن عدد من الكتابات الماركسية ولاسيما عن تجارب التغيير والثورات.

والمرحلة الثالثة تتمثل في حدوث تغير في مرجعيتي العقدية والفكرية والنظرية أساسًا وذلك بالانتقال إلى الإسلام. وهو ما انعكس في عدد من الكتب التي صدرت لي خلال العقدين الماضيين.

وإذا عدت إلى حديث الفصول وهو المطلوب هنا فيحضرني ما كتبه ابن خلدون حول المراحل الأربع التي تمر بها الدول، وهي مرحلة العقيدة والدين والمبدأ، ثم مرحلة القوة والهيبة، ثم مرحلة الرفاه والبذخ، ثم مرحلة التفسخ والانحلال من خلال الغرق في الملذات وشيوع الفساد.



المرحلة السياسية الثانية كانت من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٠ حيث انتسبت إلى حركة فتح ، واقتنعت بمنطلقاتها الأساسية ، وحققت من خلال هذه الخطوة بعض أو أكثر ما كنت اختلفت عليه مع الحزب الشيوعي

والمرحلة الثالثة تتمثل في حدوث تغير في مرجعيتي العقدية والفكرية والنظرية أساسًا وذلك بالانتقال إلى الإسلام . وهو ما انعكس في عدد من الكتب التي صدرت لي خلال العقدين الماضيين

لاحظت من خلال تجربتي شيئًا شبيهًا، هذا مع الفارق، يحدث في حياة كثير من العاملين في الحقل السياسي، وبغض النظر عن حزبهم وانتمائهم وذلك أنهم يبدؤون إذ يبدؤون بروح عقدية إيمانية قوية بمبادئهم ومثلهم ويحملون أمل تغيير العالم ضمن تصورهم، ولا يبالون بالتضحيات، بل يميلون للتقشف والتشدد على أنفسهم. ولكن ما إن تمر عشر سنوات أو خمس عشرة أو عشرين سنة، وفقًا لكل حالة، حتى تبدأ مرحلة جديدة تذهب فيها تلك الروح أو تخف كثيرًا لتبدأ مرحلة «الواقعية» حيث يأخذون بالمساومة في كثير مما كانوا لا يساومون عليه، من أصغر الأشياء، وأحيانًا إلى أخطرها. ففي هذه المرحلة بعضهم يبقى في موقعه محافظًا على ما كان عليه ولكن بلا حرارة واندفاع واستعداد للتضحية.

أما بعض آخر فتذهب به الواقعية إلى الاعتزال، أو إلى الانتقال التدريجي إلى عالم أصحاب القوة والسلطان والمال حيث البحث عن وظيفة، أو موقع أو وزارة ومن هنا قد تستكمل مراحل ابن خلدون الثالثة والرابعة، أو لا تستكمل فتبقى درجة من التوازن وفقًا للحالة. انظر مثلاً بعض أعضاء فريق بوش من اليمين المتطرف بدؤوا شبابهم يساريين أو تروتسكيين أو ديمقراطيين. وأذكر أن كثيرًا ممن عرفتهم في السجن أصبحوا من الوزراء أو رؤساء مجالس الإدارة في الشركات الكبرى، أو حتى من الموظفين الكبار في دوائر الأمن والمخابرات.

هكذا تتبدل الفصول في حياة الإنسان السياسي، وقليل قليل لا يحدث لهم مثل هذا التبدل فيثبتون ولو بحماسة أقل. أما الذين يحافظون أيضًا على روح إيمانية بالقضية، بغض النظر عن طبيعتها، فهؤلاء على (ندور). ولكن شرط ذلك تجديد أنفسهم وأفكارهم بحيث يستعيدون الشباب عن دخولهم بمشروع جديد يتخطى الأول دون أن يكون نقيضًا له من حيث طلب التغيير وحمل الرسالة والبحث عن النهوض.

الظاهرة الأولى في الانتقال إلى المرحلة «الواقعية» عامة أكثر، لكن الظاهرة الثانية تحتاج إلى الوعي والتصميم والقدرة على الاحتمال بعد أن يكون الشاب بلغ مبلغ الرجال والكهول وبدأت تتكاثر عليه المسؤوليات العائلية. فيصبح هم «العيال» وكبره في المستقبل من مشاغله. ومن هنا أفهم حديث رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليبلى في جوف أحدكم كما يبلى الثوب فجددوا إيمانكم». ومن هنا أفهم الحديث الآخر: «يبعث الله في أمتي كل مئة عام من يجدد لها دينها».

أما بالنسبة إلي فقد شاءت إرادة الله أن أنتقل من قضية آمنت بها إلى قضية أخرى آمنت بها وكان من المفروض أن أتعب. ثم إلى قضية أكبر فأكبر حيث جدد الإسلام شبابي وهأنذا أدخل في شيخوخة الجسد. وكفى بين فصول العمر ترحالاً، والله أسأل حسن العاقبة.

سمعة سيئة وتاريخ مجيد!

مي سالم عبدالله - رجال ألمع

جاءتني من الصف الثالث وهي تحمل على ظهرها حملاً تنوء به الجبال وتنكسر له النفوس وتدمع له العيون وتقفل معه العقول. هذا الحمل هو سمعة خلفها تاريخها المجيد من الصف الأول ثم الثاني ثم الثالث، وهذه السمعة ليست سوءًا في الأخلاق ولا في التربية ولا هي خروج عن المألوف الديني والأخلاقي لمجتمعنا، لا.. على الإطلاق وإنما سمعة رؤوس أقلامها وعناوينها الرئيسة:

المشاغبة.. العناد.. المشكلات.. ويتوجها الإهمال، الإهمال على كل الأصعدة الدراسية: دفاتر.. واجبات.. مذاكرة..

جاءتني.. جسمها صغير أناملها صغيرة قامتها صغيرة مثل عمرها فهي لا تزال في الصف الرابع الابتدائي.

اسمها أمل!! الجميع يتمنى لو يناديها «يأس»!!

دخلت عليهن في اليوم الأول من السنة الدراسية هنأتهن بالعام الدراسي الجديد ثم أرسلت لهن غارات من النصائح والتوجيهات التي كن في أثناء سردها عليهن مشرئبات الأعناق.. محدقات العيون.. مرهفات السمع. وبعد تلك الغارات أرسلت لهن قذائف من الأوامر والطلبات التي كان على رأسها: الأدب، والالتزام، وحل الواجب (صوابًا أو خطأً) المهم المحاولة، وإحضار الأدوات اللازمة لحصة الرياضيات ابتداء بالقلم الرصاص وانتهاء بعلبة الأدوات المدرسية...

وبدأت رحلتي مع أمل..

وستكون مفاجأة لو قلت لكم إنها رحلة من أجمل الرحلات وأمتعها..

بشكل عادي جدًا شرحت الدرس الأول، لم أستطيع تصنيف نظراتها لا أدري هل هي نظرات توجس أم خوف أم انكماش أم تردد؟ فكنت أحفزها لا أقول على الإجابة ولكن على فتح حوار معي، كنت ولا أزال كل يوم حتى الآن أفاجأ بما تبديه أمل من تجاوب ومشاركة، وكنت أرسل قدرًا هائلاً من كلمات التشجيع وبطريقة تشعر معها بأنه لا مثيل لها على وجه الأرض، وكأنني بذلك عزفت على أوتار حساسة في نفسية أمل.

أمل عندما تراني في ساحات المدرسة لا تملك إلا أن ترسل لي ابتسامة.

في قمة الشرح وأقصى درجات الانهماك في الحصة تأتيني أمل حتى عند السبورة وبثقة تهز الأرض من تحتها هزًا وتقول لي والحزن يملأ عينيها - لأنني قد أفهمتهم أن عدم وجود القلم الرصاص يعني الحرمان من درس الرياضيات - «أبلا» أحتاج إلى قلم رصاص. وبالفعل أوقف حصتي وأوفر لها حاجتها ثم أستكمل درسي؛ لأنني أعرف أن مكاسبي ستكون وفيرة إن استقرت نفسية أمل في الحصة.

الجميل والغريب في أمل أن مبادراتها سريعة

ومباغتة ومدهشة بشكل يجعلني أقف حائرة أمام مجموعة الآراء التي أسمعها حول زميلاتها من النخبة وعلية القوم وحول أمل...

عندما أتصفح دفتر أمل لمادة الرياضيات لا أجد تمرينًا واحدًا محلولاً بشكل خاطئ، وليت الأمر يتوقف عند هذا بل إني لم أجد دفتر أمل في يوم ما غير مزدان بكل الألوان الخشبية الناعمة وكأنها تريد أن تنقله لي وهو حلة مزينة بأجمل الزينات.

أنا متأكدة وأعرف يقينًا أن أمل لا يمكن أن تكون تحفظ جدول الضرب وهي قادمة إليَّ بذلك التاريخ المجيد، ولكن في إحدى الحصص قررت أن أخصصها لمراجعة جدول الضرب؛ فإذا بأمل تملأ الفصل صراخًا أنا.. أنا.. أنا فتوقفت لحظة فإذا بها أمل بالفعل!!

واستمررت أسأل ما لا يقل عن عشر مرات وفي كل مرة تلح أمل رغبة في الإجابة، وكنت أجعل نصف الإجابات للفصل كله والنصف الآخر لأمل حتى أرى ما هي النهاية..

وعندما كانت إحدى زميلاتها تجيب على ٤×٥=.... كنت أسمع همسًا... تبعت الهمس فإذا به يأتي من عند أمل.

ماذا تقولين يا أمل تتكلمين في وسط الشرح؟!

لا والله يا «أبلا»!

فماذا كنت تقولين؟

...

ماذا كنت تقولين يا أمل؟

...

اقتربت منها وجعلت أذني عند فمها وقلت لها ماذا كنت تقولين؟

كنت أحسب المسألة التي بعدها.

ابتسمت لها ابتسامة تمنيت معها لو استطعت رفعها إلى سقف الفصل من شدة سعادتي ولكن اكتفيت بأن قلت لها أحسنت يا أمل ولكن اجعلي ذهنك معنا.

إليكم وبأمانة المهنة وبصدق العاطفة، إليكم أمل الأخرى، أمل في حصة الرياضيات فقط، أمل مع معلمتها كاتبة هذه السطور:

تجلس على كرسيها وفي عينيها بريق الألماس.. وذهنها متوقد توقد النيران... وشعرها وهندامها ينبئ بأناقة لا حد لها.. فقد أصبحت لا تتأنق في فكرها وشخصيتها فقط بل حتى في مظهرها في حصة الرياضيات.

فقط تخيل أنك تتعامل مع أرق المخلوقات، وأبسط العقول، وأنظف القلوب، وأصفى النفوس... عندها فقط ستتمكن من احتوائهم بكل معنى يمكن أن تعنيه هذه الكلمة. ■

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: د.حسن محمد ثاني ـ أستاذ علم النفس التربوي المشارك ـ مدير مركز التدريب وخدمة المجتمع
كلية المعلمين بالمدينة المنورة
يقدم لنا شيئًا من وجهات نظره فيما يلي:



حسن محمد ثاني:

٩٠٪ من المرضى النفسيين خارج المصحات النفسية

*** علم النفس علم أفكار وظنون وافتراضات خيالية.. هو علم نظريات تنعدم فيه القوانين.**

الذي أعرفه أن علم النفس، علم قائم على أساليب متقدمة للبحث العلمي، كثير من نظرياته تجاوزت مرحلة النظرية وأصبحت قوانين ثابتة، من لم يسمع بقوانين الأثر والتدريب والتكرار والانطفاء والروائز الرياضية المنطقية المستخدمة لقياس الذكاء..؟

*** أحاط الإنسان بعالم الماديات من حوله: كشف أسراره وفك ألغازه وقرأ طلاسمه .. لكن معرفته بنفسه لا تزال بدائية.**

موضوع النفس في جانبها الروحي الغيبي هذا: «من أمر ربي»، وهو ليس موضوعًا لعلم النفس. علم النفس يدرس سلوك المخلوق الحي في مظاهره القابلة للقياس، وما يوجّه هذا السلوك.. لا ينبغي أن يقوّم علم النفس في أمر خارج عن تخصصه.

*** «للإسلام نظرية معينة في النفس الإنسانية.. هذه النظرية لا بد أن تكون موجودة في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة». (محمد قطب).**

لا تخلط بين موضوع النفس كجانب روحي غيبي، وبين علم النفس كعلم إنساني متخصص في دراسة مظاهر السلوك وقياسها، واستنتاج أحكام منطقية.

*** دعاوى أسلمة علم النفس والعلوم الإنسانية: ليست سوى ردة فعل على التفوق المعرفي الغربي. (المفكر**



- في قاعة المحاضرات يمارس الطالب الجامعي مقاومة سلمية . . على طريقة «غاندي»!

- علم النفس غير مسؤول عن انتحار نصف مليون شخص سنويًا

- من يدعِ الكمال فهو مصاب بمرض نفسي بالفعل . . لكن لا يدري!

اللبناني علي حرب).

العلم والحقائق العلمية المجرّدة ليس لها دين، إنما الشخص الذي يكتشفها قد يكون مؤمنًا فيزداد إيمانًا، وقد يكون خلاف ذلك فيحدث خلاف ذلك أيضًا... ربما كانت دعاوى الأسلمة من مظاهر العجز العلمي لدى المسلمين.

*** التديّن... يغنيك عن العيادة النفسية.**

البحث عن العلاج لا يتعارض مع الدين «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء»، من يقول مثل هذه العبارة - عبارتك - لا يعمّمها بل يحصرها على العلاج النفسي.. المرض النفسي اختلال، تمامًا كالاختلال الذي تنجم عنه الأمراض الجسمية الفسيولوجية.

*** تسعة أعشار المرضى النفسيين.. خارج المصحات النفسية.**

أتدري أين هم؟ إنهم في أوكار السحر والشعوذة وما يسمى بالطب الشعبي... بعض المرضى النفسيين لا يبحث عن الشفاء، لكنه يبحث عن تبرير للمرض النفسي!!

*** في جميع برامج الدراما العربية، اختصاصي علم النفس شخصية كاريكاتورية أكثر جنونًا وتعقيدًا من مرضاه.**

الدراما العربية تسقط جنونها على الطبيب النفسي، والإسقاط من أشنع مظاهر المرض النفسي... هل عرفت السبب في تخلّف الدراما العربية عالميًا؟!

*** عندما عجزت السيكولوجيا (علم النفس) عن دراسة السلوك غير التقليدي وخوارق العادات، ادّعت إنجاب الباراسيكولوجيا (ما وراء علم النفس).**

ما زلت تخلط في أسئلتك! علم النفس يقول إن هناك جانبًا روحيًا غيبيًا للنفس لا يمكن دراسته وفق المناهج العلمية المتبعة في علم النفس، قد تكون الخوارق من باب الباراسيكولوجيا، ثم إن علم النفس لم يدّع إنجاب الباراسيكولوجيا.

*** أحدث دراسة عن الانتحار: «نصف مليون شخص ينتحرون سنوياً حول العالم، بمعدل منتحر لكل دقيقة».. وعلم النفس يدّعى النضج هذه السنوات.**

تقدّم العلوم الطبية، بما فيها علم النفس، ليس سببًا في وجود الأمراض المتفشية.. سلوك البشر غير العلمي وغير المنطقي هو الذي يؤدي إلى المرض، جسميًا كان أم نفسيًا.

*** «عالم السياسة محكوم بالغرائز، وليس بالدوافع» (تفسير عالم نفس لبعض أفعال السياسيين).**

السلوك السياسي كالسلوك اليومي، محكوم بالتعزيز ثوابًا أو عقابًا.. وعالم السياسة - في رأيي - انعكاس للسلوك اليومي.

*** الشجاعة هرمون، والجبن هرمون آخر، والانبساط هرمون ثالث، والانطواء هرمون رابع،... السلوك (مسيّر) بالهرمونات.**

هذه سلوكيات متعلّمة، وليست مجرّد هرمونات مفرزة، بل إن هذه السلوكيات هي التي تتحكم في إفراز هرمونات معينة بشكل أو آخر.

*** القلق، والفوبيا، والهستيريا، والاكتئاب، والوسواس، والشيزوفرانيا.. كل من يقرأ كتب عن مثل هذه الأمراض النفسية، يتملّكه شعور بأنه يعاني أحدها.**

هناك من يقرأ عن السل وعن العلل القلبية، ويتملّكه شعور بأنه يعاني أحدها.. الخلل في بعض القراء وليس في الكتب.

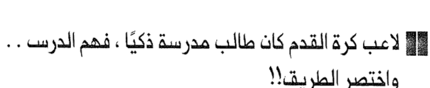
*** برمج ذاتك، سيطر على نفسك، البرمجة العصبية الدماغية، بوصلة التفكير، اكتشف طاقاتك، كيف ترتقي المنابر؟ كيف تؤثر في الناس..؟ تطوير لموضة دايل كارنيجي أم ميكنة للإنسان؟**

معظم الكتب والدورات التجارية التي تقدم مثل هذه البرامج هي برامج غير علمية، وقائمة على أفكار شائعة لا تحمل سوى قشور من علم النفس، وتحاول أن تحل المشكلات المعقدة بطريقة سهلة وشاذة.. أتصور أن التجارة والربح المادي لهما علاقة بالموضوع.

*** سَوي ١٠٠٪... لُفّقت له تهمة وأودع مصحّة نفسية، فهل يستطيع إقناع أحد بأنه سَوي؟**

من يدّع الكمال، فهو مصاب بمرض نفسي بالفعل، ولكنه لا يدري، و الجَمَل لا يرى سنامه أو عوج رقبته كما يقال.. على كل إذا كان صاحبنا هذا سويًا إلى درجة معقولة فالأمر ميسور جدًا.

*** علماء النفس لا ينظرون إلا من زوايا: العقد والعلل والعيوب والأمراض والآفات والانحرافات والتشوهات.**



بافلوف أجرى تجاربه على الكلاب في روسيا وثورندايك على القطط في أمريكا . . لماذا عممت النتائج علينا نحن البشر ؟!

لاعب كرة القدم كان طالب مدرسة ذكيًا ، فهم الدرس . . واختصر الطريق!!

سبحان الله! كتب علم النفس مليئة بالدراسات التي تنظر إلى السلوك من نواحي: الذكاء والتفكير والإبداع والتفوق وغيرها من الزوايا الإيجابية. الأطباء النفسيون فقط هم من يهتمون كثيرًا بالعقد والعيوب والأمراض والانحرافات.

*** أبناء يقتلون آباءهم... فهل هي «عقدة أوديب»؟** القتل انحراف، ومن يقتل أباه أكثر انحرافًا من غيره. الانحرافات الشديدة من هذا النوع كثيرة، خذ على سبيل المثال من يقتل أخاه أو «عقدة قابيل» على غرار سؤالك.

*** التعلّم إما رغبة... وإمّا رهبة (قول شعبي متوارث).**

أي تراث هذا الذي تنقل عنه؟ التعلّم رغبة، ولن يكون رهبة بحال من الأحوال، (التعلّم) بمعناه الواسع أمر (حتمي) مرافق للإنسان من الميلاد حتى الممات. أكاد أجزم أن الإنسان حتى لو أراد أن يهرب من التعلّم، فإنه (سيتعلّم) الهروب من التعلّم.

*** المتحف التربوي يتسع لعدد من الوسائل أولها....**

طالبت في عدد من المقالات الصحفية بأن توضع «العصا» و«الفَلَكَة» وأخواتهن في صدر المتحف التربوي منذ زمن، لكن الذي أراه في (بعض) مدارسنا - للأسف - أن المتحف التربوي يتسع للوسائل والأجهزة التعليمية، بينما «العصا» و«الفَلَكَة» في صدر غرفة المدير.

*** «بالعصا تعلّمت، وبفضلها وقفت معلّمًا أمامكم اليوم... وبها سأجعلكم تقفون مكاني في يوم من الأيام». (معلّم مدرسة).**

شخصية معلّم مازوكيّة/ ساديّة (تستكين للظلم ثم تمارسه على الآخرين).. هذا المعلّم كان طالبًا مازوكيًا (يعشق الألم والظلم)، وعندما أصبح معلمًا صار ساديًا (يمارسهما على الآخرين).

*** المدرسة هي تلك المؤسسة الاجتماعية التي تحوّل الصغار الأذكياء إلى كبار أغبياء. (مقولة تربوية شهيرة).**

المدرسة الحقيقة هي المؤسسة التي تعلّم الصغار: «من أين تؤكل الكتف؟»، بعض الأذكياء والمبدعين والمفكرين أخفقوا مدرسيًا .. لم يعرفوا وقتها من أين تؤكل الكتف؟

*** طلابنا «بنوك تمشي على الأرض»... إيداع معلومات في الأدمغة طوال العام، استرجاع سريع وقت الامتحان.**

تعبير «التعليم البنكي» تعبير تربوي قديم أكل عليه الزمن وشرب.. الحقيقة هي أن طلابنا في ظل استمرار أسلوب التلقين الذي لم يتغير، أصبحوا عبارة عن (مستودعات) بشرية (للخردة)، والاختبار ليس إلا (جردًا) لمحتويات المستودع.. ليت طلابنا بنوك تنمّي وتعمل وتستثمر.

*** الغيرة، والعشق، والجاذبية الجنسية، سمات «منحوتة» أساسًا داخل المخ البشري، وليست نتاجًا للثقافة والتربية. (دراسة حديثة).**

هذه السمات سمات متعلّمة وغير موروثة (دراسات قديمة وحديثة ومخضرمة).

*** طفلة مصرية في سن العاشرة شنقت نفسها تقليدًا لبطلة فيلم أجنبي. (خبر صحفي).**

صدّقني أن الطفل العربي (يعاني!).. الفيلم



الأجنبي قدّم للطفلة العربية وسيلة للهروب من واقع المعاناة ليس إلا.

*** «أحداث العراق هي الحديث المفضّل للأطفال العرب بدلاً من أفلام الكارتون». (تقرير صحفي).**

الأطفال العرب رأوا معاناتهم في معاناة العراق بشكل أو آخر، الأطفال العرب يدفعون ثمن أخطاء الكبار.. تمامًا كما دفع العراق ثمن أخطاء القادة.

*** «معاملة زوج أم صدام حسين السيئة، تركت آثارًا نفسية بارزة على صدام». (مدير برنامج علم النفس السياسي بجامعة واشنطن).**

نوع من أنواع التبرير وإسقاط المسؤولية على الغير، كم من أمراض الساسة النفسية كانت بسبب الغرب وممارساته السياسية؟

*** «لقد هرب بعض الآباء من سيطرتنا لعدة أسباب، ولكن الطفل الصغير لا يزال تحت سيطرتنا، علموه مواجهة والديه، إن مثل هذا التلميذ سيحمل السلاح ليلاً ونهارًا ومن دون تردد عندما يطلب منه مواجهة الإمبريالية». (صدام حسين في كلمة وجهها للمعلّمين عام ١٩٧٧م).**

هرب الآباء من العراق ولحق بهم الأبناء عندما كبروا، لم يوجد منهم من حمل السلاح لا لمواجهة صدام ولا لمواجهة الإمبريالية ولا لمواجهة الاحتلال.

*** أعطني اثني عشر طفلاً سليمًا وعالمي الخاص لتربيتهم، وسوف أؤكد أنه بالإمكان تدريب أي منهم كي يصبح متخصصًا كما اختار أنا. (متعصب لأفكار طومسون في الحتمية البيئية).**

(أعطني!!).. القول السابق مقولة كل تربوي كسول.

*** حينما كان بافلوف يجري تجاربه مع الكلاب في روسيا، كان ثورندايك يجري تجاربه على القطط في أمريكا... ثم عمّموا النتائج علينا نحن البشر.**

كثير من العلوم جربت على الحيوان ثم طبقت على البشر: الطب الفسيولوجي استخدم الحيوان للتجربة ولم يعترض أحد. علوم الفضاء جربت على الحيوان وأطلقته في الفضاء ولم يعترض أحد كذلك.. وعندما يأتي الحديث عن علم النفس.. قف واعترض وانتقد واستنكر! لماذا علم النفس مستهدف دائمًا؟!

*** لاعب كرة القدم في العالم العربي، تلميذ مدرسة فاشل... ثم يطلب منه أن يستوعب خطط المدربين المعقدة.**

صدقني أن لاعب كرة القدم كان طالب مدرسة ذكيًا، فهم الدرس وعرف «من أين تؤكل الكتف؟» واختصر الطريق، دون الحاجة إلى الشهادة العالية.. تلك القطعة من الورق المقوى، لا تسمن ولا تغني من جوع أحيانًا.

*** الأخلاق ما هي إلا اتباع عادات المجتمع وتقاليده على علاّتها. (أستاذ علم النفس التربوي توما خوري).**

إن تعارض الاتباع مع القيم الدينية والحقائق العلمية، ليس من الأخلاق في شيء.

*** عندما نعاقب الطفل بالضرب لسلوكه المضطرب، نكون قد حققنا الغرض له بالحصول على الانتباه. (سامر رضوان).**

الضرب لا يحقق للطفل أي شيء، لا انتباهًا ولا غيره، الضرب يقتل في الطفل كل شيء: روحه، إنسانيته، بساطته، تلقائيته، فطريته، إبداعه، مواهبه، أخلاقه...

*** التفوق في مادة الرياضيات، هو المؤشر الوحيد والحقيقي للمستوى العالي من ذكاء الطفل.**

لقد حجّرت واسعًا! الذكاء أكثر شمولاً من أن يختزل في مجال واحد، التفوق اللغوي يعني ذكاء عاليًا، التفوق الفني والذوق الرفيع يعنيان ذكاء عاليًا.. بل حتى (اللعب) قد يظهر نوعًا من الذكاء العالي.

*** بين طموحات الدولة وطموحات الوالدين وطموحات**

الأمة... ضاعت طموحات الطالب نفسه.

لو تركنا للطفل (أي طفل) أن يعمل على تحقيق طموحاته (بحرية)، لتحققت طموحاتنا جميعًا في المحصلة.. إجابة تقليدية.. أعرف، لكنها الحقيقة.

*** الطالب الجامعي السعودي، وقّع اتفاقية عدم اعتداء مع الأستاذ.. بموجبها: لانقاش، لاحوار، لا أخذ ولاعطاء.**

هي ليست اتفاقية بين الطرفين.. إنها حالة «مقاومة سلمية على طريقة غاندي»، يمارسها الطالب الجامعي السعودي.. ربما كانت اعتراضًا على المناهج والمقررات وأساليب الدراسة.

*** المعلم المحبط المقهور، يبحث عن ضحية يسقط عليها رغباته المكبوتة وتطلعاته المحبطة.. ولا يجد افضل من التلميذ الصغير لممارسة هذا التنفيس والإسقاط.**

لا يوجد معلم مقهور ـ لدينا على الأقل ـ هناك معلم «فاشل»، لا يمتلك مهارات تربوية عالية أو لا يريد أن يمتلك أو يمارس، هو فقط يضرب ويسب ويشتم ويصرخ ويوبّخ اختصارًا للوقت والجهد...

*** هناك خواف معروف يسمى «فوبيا المدرسة»، ويقدّر أن ما يقرب من ١٪ إلى ٣٪ من الأطفال لديهم مثل هذه الحالة... المعلمون لا يعانون «فوبيا المدرسة».**

أعتقد أن النسبة أكبر في العالم العربي بالذات، لكن النسبة خافية، السبب أن الطفل العربي (يخاف) من التعبير، خوفه (وجه من وجوه مأساة الطفل العربي).. المعلمون لديهم «فوبيا المدير» و«فوبيا المشرف التربوي».

*** في المجتمعات متعددة الأعراق والديانات والمذاهب توجد فجوات مذهبية، ثقافية، عرقية... ليس من السهل على المعلم والطالب اجتيازها.**

يفترض ـ في المجتمع العصري الحديث ـ أن يكون التباين والتنوّع أمرين محمودين، يثري المجتمع ويمنحه سعة الأفق وقبول الآخرين والمحبة والتعاون.. المسؤولية تقع على المعلم بالمقام الأول، في سبيل تجاوز هذه الإشكالية.■

حسن محمد ثاني

أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.
هذه هي لغة السر في سر اللغة!
«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.
هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضًا على عواهنه.. بكل رحابة صدر.



ملكة جمال «البوليميا»

إيمان القويفلي - الرياض

شيخة:

«.. تدرين، صرت أتساءل كثيرًا عن المعيار الجمالي، أتخيله شيئًا يشبه المسطرة، موحدًا وقاسيًا ونهائيًا. لا يمكننا أن نطوعه أو أن نتحايل عليه، والأصعب هو أننا لا نفهمه أو نعلمه تمامًا. أشعر أن العالم الخارجي والنساء الشهيرات والثريات هن من يصنعنه ويفرضنه علينا، وأننا لا نستشعر الجمال وفق أحاسيسنا الشخصية الذاتية. تذكرين عندما جلسنا - أنا وأنت وندى ومنال - أربع ساعات في باحة الجامعة نراقب كل شابة تمر ونقومها جماليًا؟ كنا نحاول قهر أنفسنا - كفتيات شابات - بأن نعثر على نموذج الجمال المثالي في الواقع رأي العين، بعيدًا عن جميلات الأفلام والجمال الذي تصنعه مشارط الجراحين. هل كنا فعلاً نقهر أنفسنا يومذاك؟ أذكر تمامًا أننا وجدنا ما نعيبه على أي واحدة، كل واحدة مرقت أمامنا ذلك النهار، هل كنا نقهر أنفسنا باستعراض نماذج الجمال تلك المكتملة إلا قليلاً؟ أم أننا كنا نعزز ثقتنا بالتركيز على الـ(إلا قليلاً) هذه؟ أمتعني لعب دور «المُحكمّ». سعدت جدًا بتحطيم فكرة الجمال المثالي والمطلق بانتقاد كل الشابات الجامعيات السارحات اللواتي عبرن أمامنا. آخر النهار وقفت أمام مرآتي، وقلت لنفسي إنني جماليًا كالبقرة، يا الله.. انظري إليَّ في هذا البنطال: كم أبدو مترهلة!!»

فاتن:

«.. هل تذكرين تلك المعتوهة الأمريكية التي وضعت خطة وكتاب «ريجيم هوليوود؟» كان اسمها «جودي مايزل» أليس كذلك؟ تلك المرأة كانت معتوهة تمامًا، انسي نصائحها حول أكل الأناناس طوال الوقت والحياة على الفاكهة فقط، ليس هذا هو ما أقصده، بل أمر آخر، هل تذكرين كيف أنها كتبت في إحدى نصائحها التشجيعية على الحمية أن صديقًا لها انهارت حياته العاطفية، وفقد من وزنه ١٢ كيلو غرامًا، لكنه بعد مدة تجاوز محنته واستأنف حياته وكأن شيئًا لم يكن، بل بالعكس لقد ربح أنه تخلص من ١٢ كيلو جرامًا من الوزن! هذا يعني - حسب «مايزل» - أنه من الجيد أن يمر الإنسان بأزمات نفسية قاسية لأنها تساعده على فقدان الوزن! اسمعيني جيدًا، لقد كنت دائمًا شديدة الانصياع لهذه المعايير، وهي معايير فاسدة في رأيي، تصنع من الجمال البشري إلهًا وثنيًا



صغيرًا يجعلكم تكفرون بالمبادئ الأساسية والأصلية للحياة والسعادة. هل تعتقدين أن حياتك ستصبح أسهل إذا فقدت بعض الوزن؟»

ندى:

«فاتن،...

أمس، خلال العمل، هاتفتني نزيهة، اتصلت لتحيتي. سألتها عن أخبار شيخة، قالت لي إنها أصبحت رائعة، رائعة حقًا. لم أفهم، قالت لي إنني لو شاهدتها اليوم لن أعرفها حتمًا، وإنني لن أتخيل كيف أصبحت. ثم أخبرتني أن شيخة نحلت كثيرًا، فقدت الكثير من الوزن، تلك الكيلوغرامات التي تحاول منذ أعوام التخلص منها، لقد تخلصت منها فعلاً! فاتن، اسأليها، أعني شيخة - أي ريجيم تتبع ثم أخبريني بسرعة...طيب؟»

فاتن:

«... نعم، لقد فقدت شيخة بعض الوزن، لكنها لم تتغير إلى هذه الدرجة، ثم إن شيخة كانت جميلة دائمًا وبطريقتها الخاصة! لن أسألها عن حميتها، أحسب أنها تكره هذا الموضوع، آسفة ندى..»

منال:

«... قضينا - أنا وندى - أمس وقتًا في السوق، توقعي: كم أنفقت في ساعتين؟ للمعلومية لقد ذهبت للتسوق مباشرة بعد أن استلمت «الجمعية» هذا الشهر، في مركز التسوق الأكبر في المدينة. هل تذكرين كيف كانت الأسواق عندما كنا صغارًا؟ كانت المحلات الصغيرة عائدة لمستثمرين محليين من أبناء البلد والبضائع تركية أو فرنسية مزورة، وكنا نجد أشياء ترضي أذواقنا بصعوبة بعد زيارتين أو ثلاث للسوق والخياط، لكن التسوق اليوم متعة من المتع، سهل كالماء، عذب كآيسكريم التوت! اشتريت ملابس أحتاجها، وأخرى لا أدري لم اشتريتها أصلاً، وحزامًا وإيشارب، وحذاء، وصندلاً، وحقيبة، وهدية لإحدى قريباتي، وأحمر شفاه مع ظلال للأعين، وكريمًا مضادًا للهالات، وعطرًا، ومررت على المطعم وطلبت عشاءً ضخمًا لعائلتي، شيخة: هل تتخيلين كم أنفقت في ساعتين؟ لا أريد أن أفكر في المبلغ الذي أنفقته. عدت أمس إلى المنزل، جربت كل الثياب والأشياء وتمنيت أن تكون مستحضرات التجميل تستحق غلاء الثمن الذي دفعته فيها. شعرت أمس بإشباع وامتلاء وطمأنينة حتى موعد نومي، استيقظت اليوم خاوية كطبل، فزعة كأرنب، نظرت إلى الحاجيات الجديدة الملقاة في كل مكان. أخرجت محفظتي وعددت الأوراق النقدية التي بقيت فيها بعد موقعة الأمس. نظرت من النافذة، كان الجو مشمسًا بحدة كأنه سكين وقفت وسط غرفتي وتطلعت حولي إلى كل شيء.



خشيت أن يكتشف سري الذي أخبئ، حتى لو اكتشفه لم يكن ليفعل أي شيء، لكنني خشيت، هكذا. في الكيس كانت هناك علبتان من الملينات، والمدرات، وكبسولات لإيقاف الشهية، وعلكة خالية من السكر، وأشرطة لقياس مستوى «الكيتونات» في الدم. وحده الصيدلي فقط عرف أي نوع من الأشخاص يستخدم هذه الأشياء ولم كل هذه الأشياء معي دائمًا عندما أقيس خصري وأجده أصغر، معي عندما أرتدي ثيابًا أبدو فيها رائعة كما لم أكن من قبل، معي عندما آكل، تحسب كل سعرة زائدة أكلتها، معي عندما تلاحظ كل كيلوغرام أزيده أو أنقصه.

أمس، أنهيت ستة أيام من الصيام، لم آكل خلالها أي شيء، عدت أمس للأكل، أكلت كالمجنونة، كنت لا أتوقف عن المضغ، وفي الوقت نفسه لا أشعر بأي لذة فيما آكله، أكلت كل تلك الأشياء التي حرمت نفسي منها، صرت أشعر أن الخيال ألذ من الواقع، أنا أفقد شهيتي ببطء، لا لذة لأي شيء ألبتة. يثنون على رشاقتي صباحًا، لكن لا أحد منهم سيكون معي وأنا لا أستطيع النهوض من فراشي إعياءً. لا أحد سيصدق أنني لم آكل منذ ستة أيام. لا أحد سيكون معي في تماريني العنيفة على معدة خاوية منذ أيام. لا أحد سيكون معي وأنا أقيس وزني عشر مرات في اليوم الواحد، أو أنا أتردد على دورة المياه كل ربع ساعة، وأتقيأ كل يوم، وألقي بجوفي أربعين حبة من الملينات وأتلوى غثيانًا ليومين أو أعجز عن تذكر تفاصيل الأشياء واسترجاع المعلومات. كل شيء جاهز ومستعد تمامًا ليشعرني بالذنب إذا أكلت: الناس، الأفلام، المجلات، واجهات المتاجر، عروض الأزياء والتعليقات الجمالية العابرة التي تعلق بذهني طويلاً. وثن الجمال الكبير أراه في كل شيء يشبه «كلوديا شيفر» وثنٌ نحيل ولاذع ويخرج لسانه لي، موجود دائمًا في المرآة، مرآتي. يحدق بي بدهشة وترفع، وعندما أركض إليه في المرآة، لأعرض عليه جوعي وإحباطي وقلقي، أجده نائمًا بوداعة ولا شيء إلا وجهي الأصفر وهالاتي السوداء ومعدتي المتقلصة وقرفي ومرضي الغريب الذي لم يبدأ الطب ولا المشافي عندنا في الاهتمام به حتى الآن، ولم أعرف أنني مريضة به إلا صدفة، عندما عثرت على مقالة تصف أعراض مرض الـ(بوليميا نرفوزا).

شيخة.. ما هذا الذي يحدث لي؟ »

شيخة:

«... منال، إدمان الشراء علة معروفة، معروفة طبعًا في الخارج وليس هنا، اسمها «بوليميا الشراء» التسوق بشكل شره ومرضي لا يمكن أن يكون سلوكًا طبيعيًا. قلت لك أكثر من مرة إنك تبحثين في طيات الثياب وعلى أرفف المتاجر عما تفتقدينه في نفسك، لن تعثري عليه هناك، حيث تبحثين أبدًا... أبدًا يا منال، ثقي بي! لي فكرة: هل تعرفين أن كل ١٠ غرامات من الفستق تحتوي على ٦٥ سعرة حرارية!»

فاتن:

«ندى، لا أستطيع أن أطمئن ولا أن أقلق عليها. هي تؤكد أن كل شيء طبيعي.لكن... أدري، صمتها حائط شفاف أستطيع أن أشاهد ما وراءه عن بعد، لا أن ألمسه، لقد ذهبت شيخة بعيدًا، إلى حيث لا أعلم»

شيخة:

إلى «لا أحد»... لقد ازداد وزني بالأمس وحده كيلوغرامين، هل من أحد مستعد لسماع القصة الطويلة؟

لم يلحظني أحد، أي أحد، إلا «الصيدلي» الذي نظر إلى الحبوب والأدوية التي طلبتها، ثم تطلع إليَّ وسأل فجأة: «ماذا تفعلين بهذه الأشياء؟». دفعت ثمنها بسرعة وخرجت من الصيدلية هربًا، لم أعد إليها مرة أخرى.



جميع هذه الأصناف داخل كرتونة على شكل هدية

١-	٢-	٣-	٤-
٥-	٦-	٧-	٨-
٩-	١٠-	١١-	١٢-
١٣-	١٤-	١٥-	١٦-

١ - **العليا** - الرواد للعود والعسل ت: ٤٥٠٧٠٥٨
حي الملك فهد شارع الأمير أحمد مقابل محطة التسهيلات
٢ - **الربوة** - حي الريان الشجرة الطيبة للعود ت: ٤٩٦٧٧٨٢
٣ - **سوق الموسى** - عهود للعود ت: ٤٦٢٠٠٨٧ جوال: ٠٥٢٢٨٦٩٧٠
٤ - **حوطة سدير** - تسجيلات الرابية ت: ٤٤٣١٩٤١ جوال: ٠٥٥٤٧٩٨٩٤
٥ - **الروضة ٢** - الكندي ت: ٤٩٣٥٤١٤
٦ - **الشفاء** - حي بدر، عطارة السوادي ت: ٤٢٢٤٥٩٦
٧ - **العزيزية** - أبوراشد للعود ت: ٤٩٥٤٢٢٥
٨ - **حي السلام** - مكتبة دار كندة ت: ٤٩٣٢٦٥١
٩ - **الربوة** - مقابل سوق المجد، مكتبة الناسخ ت: ٤٩٦١٢١٢ **الروضة** ت: ٤٩٣٤٥٥٥
١٠ - **الروضة ٢** - مخرج ١١، مكتبة الأوائل ت: ٢٤٩٦٣٣٩
١١ - **العريجاء** - عطارة الديرة ت: ٤٣١٢٩٣١
١٢ - **طريق الملك فهد** - تسجيلات أحد ت: ٤١٣٠٠٠٠ **طريق خريص** ت: ٢٠٨٠٠٠٠
١٣ - **الروضة** - مملكة العطارة ت: ٢٤٩٣٢٩٥ - **النسيم** - عطارة الكويت ت: ٢٣١٧٤٩٤
١٤ - **ظهرة البديعة** - البورمي للعود ت: ٤٣١٢٧٥٢ - **الشفا** - أسواق العودة ت: ٢٧١٣٣٨٨
١٥ - **شارع التخصصي** - مكتبة الصفحات الذهبية ت: ٤٦٥٦٦٣٦
١٦ - **الدرعية** - صيدلية الشريم ت: ٤٨٦٢٧٢٢ جوال: ٠٥٨٦٨٧٣٠٢
١٧ - **أسواق المجد** - فهد للعود، بوابة (١) ت: ٤٩٦٧٩٤١
١٨ - **القرية الشعبية** - الشيخ للعود ت: ٤٣٣٣٨٢٢
١٩ - **مكتبة المؤيد** - الجوازات ت: ٤٠٢٠٣٩٦ - **البديعة** ت: ٤٢٦٣٨٦٨ - **الروضة** ت: ٤٩٢٢٥٨١
٢٠ - **الربوة** - تسجيلات الشجرة الطيبة ت: ٤٩١٠٥٢٦ صدى الامجاد ت: ٤٧٩٣١١٤
٢١ - **أم الحمام** - مكتبة دار الحكمة ت: ٤٨٢٥٤٢٢
٢٢ - جميع صيدليات السقاف بالرياض ت: ٢٤١٠٩٣٤
٢٣ - **الخرج** - السوق العام، عطارة بن النفيس ت: ٥٤٥١٤٩٨ - ٥٤٨٤١٦٧
٢٤ - **الخرج** - مندوبنا جوال: ٠٥٤٤٣٢٧٦٠
٢٥ - **المجمعة** - الشبانة للعود ت: ٤٣٢٤٦٠٠ جوال: ٠٥٥٢٦١٣٢٠
٢٦ - **المزاحمية** - عطارة الرحاب، أسواق البلدية ت: ٥٢٢٢٠٧٦
٢٧ - **القويعية** - مركز العقارية للمواد الغذائية ت: ٦٥٢٠٤٠٢
٢٨ - **طريق القصيم** - تموينات محطة الفايز ت: ٥٢٣٩٤٧٧ جوال: ٠٥٥١٥٦٣٢٣
٢٩ - **القصيم** - مندوبنا ت: ٢٤٢٠٢٩٣ جوال: ٠٥٤٢٨٠٢٩٢
٣٠ - **بريدة** - الدخيل للعود ت: ٣٢٥٠١٩٠ - ٣٦٩٧٠٨٥
٣١ - **الأفلاج** - مبرة الأفلاج الخيرية ت: ٦٨٢٢٢٣٥ جوال: ٠٥٣٤١٣١٤٢
٣٢ - **شقراء** - تسجيلات بدر الاسلام ت: ٦٢٢٣٠٥٠ جوال: ٠٥٥٢٢١٥٢٦
٣٣ - **الزلفي** - زمزم للتسويق ت: ٤٢٢٤٤٩٤ جوال: ٠٥٥١٢٢٨٧٦
٣٤ - **وادي الدواسر** - النويعمة تسجيلات الميامن ت: ٧٨٦٠٢٢٦ جوال: ٠٥٥١١٥٩٤٨
٣٥ - **جدة** - المجموعة الذهبية ت: ٦٩٨٨٨٨٦
٣٦ - **جدة** - تسجيلات أحد ت: ٦٨٠٨٢٤٠ - **بريدة** - أحد ت: ٣٨٢١٣٣٣
٣٧ - **مكة المكرمة** - مطاحن العوالي ت: ٥٢٧٢١١٦ - **الشرائع** ت: ٥٢٢٧١٨١ جوال: ٠٥٤٥٣٠١٠٨
٣٨ - **مكة المكرمة** - النحل الجوال ت: ٥٥٨٤٩١٢ - **المدينة** ت: ٨٢٦٧٨٣٧ - **جدة** ت: ٦٧٠٥١١٢
٣٩ - **الطائف** - محامص العزيزية ت: ٧٣٨١٠٨٣ جوال: ٠٥٥٧١٣٣٢٨
٤٠ - **الطائف** - ش عكاظ، تسجيلات زاد المسير ت: ٧٣٢١٥٠٥ جوال: ٠٥٥٧١١١٢٦
٤١ - **الخرمة** - عطارة الخير، سوق الشقيحي ت: ٨٣٢٠٨٢٢ جوال: ٠٥٥٧١٥٩٥٦
٤٢ - **المدينة المنورة** - تسجيلات الفلاح جوال: ٠٥٦٣٣٧٦٧٠
٤٣ - **المدينة المنورة** - م مروج النحل ت: ٨٢٣٠٧٢٥ جوال: ٠٥٥٥٢١٧٠٠
٤٤ - **الدمام** - حي المزروعية، تسجيلات القادسية ت: ٨٣٢١١١٠
٤٥ - **الجبيل** - مجمع الفناتير، تسجيلات النور ت: ٣٤٦٠١٠٠
٤٦ - **الجبيل** - مندوبنا جوال: ٠٥٥٩٠٢٨٦٠
٤٧ - **حفر الباطن** - مندوبنا جوال: ٠٥٥٩٠٨٥٣٨
٤٨ - **سكاكا الجوف** - مؤسسة البادي ت: ٦٢٤٢٤٥٦ جوال: ٠٥٥٣٨٨٠٤٨
٤٩ - **طبرجل** - تسجيلات اليرموك ت: ٦٢٨٠٩٠٤ جوال: ٠٥٣٠٣٦٧٨٦
٥٠ - **سكاكا** - صفوة العود ت: ٦٢٦٢٦٦٣ جوال: ٠٥٢٩٥٧٥٠٢
٥١ - **شرورة** - تسجيلات مكتب الدعوة ت: ٥٣٢٢٨٨٤ جوال: ٠٥٧٣٢٨٨٦٩
٥٢ - **تبوك** - تسجيلات الجاليات ت: ٤٢٢٠٥٤٨ جوال: ٠٥٥٣٧٥٠٧٣
٥٣ - **الباحة** - م. أحمد الغامدي ت: ٧٢١١٠١٨ جوال: ٠٥٥٧٧٥٧٨٥
٥٤ - **محافظة قلوة** - تسجيلات المنار ت: ٧٣١٢١١٧ جوال: ٠٥٥٧٢٦٧٩١
٥٥ - **سبت العلايا** - الشارع العام، المكسرات ت: ٦٣٠١٠٤٢ جوال: ٠٥٤٧٤٩٧٣٩
٥٦ - **بيشة** - المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات ت: ٦٢٢٢٤٧٤ جوال: ٠٥٢٥٣٥٩٦٥
٥٧ - **أبها** - المناصيف للعود ت: ٢٢٥٠٢١٢ جوال: ٠٥٦٧٣٦٤٣٦
٥٨ - **خميس مشيط** - الشربة ت: ٢٢٢٢٣٤٦ جوال: ٠٥٥٧٤٣٣٥٧٠
٥٩ - **جيزان** - الداير، صيدلية المالكي جوال: ٠٥٥٧٦٩٥٤٩

خصم خاص لمبيعات الجملة والجمعيات الخيرية

احذروا التقليد **خدمة التوصيل مجاناً داخل الرياض اغتنموا الفرصة** **دائماً نحن الأميز**

الرواد هاتف ٤٥٠٧٠٨٥ - ٤٥٣٣٨٦٧ - جوال ٠٥٤٢٩٨٧٥٢

فظيعٌ جهل ما يجري!



زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

لا تقولوا إن «البردّوني» يتحدث هنا عن «صنعاء» فقط.

البردوني شاعر كفيف، فهو قادر على أن يرى «الظلام» في كل مكان.. في فلسطين والعراق والجزائر، وليس في صنعاء فقط!

المشكلة.. أن الظلام في العالم العربي لم يعد يراه المكفوفون فحسب، بل حتى المبصرين يرونه، الفارق أن المكفوفين يشعرون أنهم يرون ظلامًا وسط حقل من النور «المعنوي»، بينما يرى المبصرون نورًا «حسيًا» وسط حقل من الظلام!

فظيعٌ جهل ما يجري ... وأفظع منه أن تدري
وهل تدرين يا صنعا ... من المستعمر السري
غزاة لا أشاهدهم ... وسيف الغزو في صدري

يمانيون في المنفى ... ومنفيون في عدن
جنوبيون في صنعا ... شماليون في عدن
يمانيون يا أروى ... ويا سيف بن ذي يزن
ولكنا برغمكما ... بلا يُمن بلا يمن
بلا ماضٍ.. بلا آتٍ ... بلا سرّ.. بلا علن

١٩٧٣م

*   *   *

ومثلما أن البردوني يرى الظلام، فإنه أيضًا يرى الظلام المضاد، أي ذلك القائم على مبدأ مقاومة الظلام بالظلام!

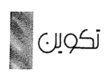
لماذا العدو القصي اقترب ... لأن القريب الحبيب اغترب
لأن الفراغ اشتهى الامتلاء ... بشيء فجاء سوى المرتقب!
لأن الملقن واللاعبين ... ونظارة العرض هم من كتب
لأن أبا لهبٍ لم يمت ... وكل الذي مات ضوء اللهب
فقام الدخان مكان الضياء ... له ألف رأس وألفا ذنب
ولم يمض شيء يسمى غريبًا ... ولم يأت شيء يسمى عجب
لأن الصباح دجى، والدجى ... ضحى ليس يدري لماذا غرب
فلا الصدق يبدو كصدق ولا ... أجاد أكاذيبه من كذب!

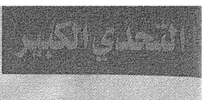
١٩٧٤م

*   *   *

ما الذي تغير بين عامي ١٩٧٤ و ٢٠٠٤م في العالم العربي؟

لا شيء، سوى موت البردوني: وأشياء أخرى كثيرة .. ليس من بينها «الأمل»!

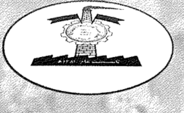

تكوين



أن تصنع هذا . . . .

وأن تمنع هذا . . . .

وأن تحافظ على هذا . . . .



وأن تحفظ هذا وهذا وكل هذا للأجيال القادمة .

أسمنت اليمامة

تواجه التحدي بحزم وإصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة .


عالم من الخيارات
المراعي
ALMARAI
لبن بالفواكه
مانجو
Fruit LABAN
Mango
زادي
كاسترد بطبقة الحلي
كاسترد بالشوكولاتة
عصير برتقال
طبيعي ١٠٠٪
لبن طازج
حليب طازج
زبادي (روب) طازج
كاسترد بالفانيلا
المراعي
ALMARAI
جودة تستحق الثقة